الكامل

في اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

باب[١]

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنا أن نخْرُجَ فيه من حزْن إلى سَهْلٍ ومن جِدٍّ إلى هَزْلٍ. ليستريحَ إليه القارئ. ويَدْفَعَ عن مُسْتمِعِه الملالَ. ونحنُ ذاكرون ذلك إن شاءَ الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعى]

قال بكْرُ بن النَّطاح فى كَلِمة يمدحُ فيها[٢] مالك بن علىّ الخُزَاعِىّ:

عَرضتُ عليهَا ما أرادت من المُنَى ... لتَرْضَى. فقالتْ قُمْ فجِئْنَا بكوْكَبِ

فقلتُ لها هذا التَّعَنُّتُ كلّهُ ... كمن يَتَشَهى لحم عَنقاءَ مُغْرِبِ[٣]

فلو أننِى أَصْبَحتُ فى جُودِ مالكٍ ... وعِزّته ما نالَ ذلك مَطْلَبى[٤]

فَتًى شَقيتْ أموالهُ بسماحِهِ ... كما شَقِيَتْ قَيسٌ بأَسيافِ تَغْلبِ

[للخليع يمدح عاصما الغسانى]

وقال الخَليع[٥] فى كلمةٍ له[٦] يمدح بها عاصما الغَسَّانىَّ:

أقولُ ونفسِى بين شوقٍ وحَسْرَةَ ... وقد شَخَصتْ عينى ودَمْعى على خَدِّى[٧]

أرِيحى بقَتْلٍ مَنْ تَرَكتِ فُؤَادَهْ ... بِلَحْظَتِهِ بينَ التَأَسُّفِ والجَهْدِ

(١) هذا العنوان ثابت فى الأصل. س، وهو ساقط من ر.

(٢) ر: «مدح». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) قال فى اللسان: «العنقاء: طائر ضخم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا فى الدهور. ثم كثر ذلك حتى سموا الداهية عنقاء مغربا ومغربة». مادة ـ عنق.

(٤) فى س. هذا البيت قبل سابقه.

(٥) الخليع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٧) شخصت عينى: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

فقالت: عـذابٌ بالهوى[1] قبل مِـيتَةٍ ... وموتٌ إذا أَقْرَحْتَ قلبكَ من بعْدى[2]

لقــد فَطَنَتْ للجَــوْرِ فَطْنَةَ عــاصِمٍ ... لِصُنْعِ الأيادِى الغُـرِّ فى طَلَبِ الحمْـدِ

سأشْـكوكِ فى الأشْعَـارَ غيـرَ مُقَـصرٍّ ... إلى عاصمٍ ذى المكُرمَـات وذى المَجْد

لعلَّ فـتَى غَـسَّـانَ يجـمعُ بيـننا ... فَـتـأْمَنَ نفـسى مـنكمُ لَوْعَـةَ الصَّـدِّ

[لأبى العتاهية فى العتاب]

وقال إسماعيل بن القاسمِ[3]:

إن السَّــلاَم وإنّ الْبِــشْــرَ من رَجُلٍ ... فى مِـثْلِ ما أَنْـتَ فيـه ليس يكفـينِى

هذا زمــانٌ أَلَحَّ الـناسُ فــيـــه على ... زَهْوِ الملـوكِ وأَخْــلاقِ المســاكــينِ

أمَــا علمتَ جــزاك الله صــالحــةً ... عنِّى وزادكِ خــيــرًا يــابْنَ يَقْطينِ

أنِّى أريدكَ لـلدنيــا وعــاجلِـهــا ... ولا أريـدكَ يــومَ الدِّيـنِ لِـلـدِّيـنِ

[ليزيد بن محمد يمدح إسحاق بن إبراهيم]

وقال يَزيدُ بن محمد [بن المُهَلَّبِ][4] المهَلبىُّ فى كلمة يمدحُ بها إسحاق بن إبراهيم:

إنْ أكنْ مُـهْـدِيًا لكَ الشـعـر[5] إنّــى ... لاَبنُ بيـت تُهْـدَى له الأشــعــارُ

غــيــرَ أَنــى أراكَ من أهل بَـيْتٍ ... مـا على الحُـرِّ ـ أَنْ يسُـودُوهُ ـ عـارُ

* * *

وقال فى كلمةٍ أخرى له[6]:

وإذا جُــــدِدْتَ فـكلُّ شـىءٍ نافـعٌ ... وإذا حُــددت فكلُّ شىءٍ ضــائرُ[7]

وإذا أتـاكَ مُــــهَلّبىٌّ فـى الوغـى ... والســيفُ فى يده فـنِعْمَ النّـاصِـرُ

(١) ر: «فى الهوى». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.
(٣) هو المكنى أبا العتاهية.
(٤) من س.
(٥) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «المدح».
(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. س.
(٧) حددت: منعت، يقال: حـده عن الأمر يحده حدا. منعه عنه خيـرا كان أم شرا. وجددت. أى رزقت الجد. وهو الحظ.

[في مقتل مصعب بن الزبير]

وقال عبدُ الله بن الزُّبَيْر لما أتاه قتلَ مُصْعَب بن الزبير: أَشَهِدَهُ المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ؟ قالوا: لا. كان المُهَلَّب فى وجُوه الخَوارج. قال: أَفَشَهِدَهُ عَبَّادُ بن الحُصيْن الحَبَطىُّ؟ قالوا: لا. قال: أَفَشَهِدَهُ عبدُ الله بن خازمٍ السُّلَمِىّ؟ قالوا: لا. فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ.

فقلتُ لها عِيثى جَعَارِ وجَرِّرِى ... بلحْمِ امرِئٍ لم يَشهَدِ اليومَ ناصِرُه[1]

جَعَارِ: اسمٌ من أسماء الضَّبُع. وهى صفةٌ غالبةٌ؛ لأنه يقال لها: جاعِرَة. فهذا فى بابه كَفَسَاقِ. ولَكَاعِ. وحَلاَقِ. للمَنِيَّةِ. وقد فَسَّرنا هذا البابَ مُستَقْصًى على وجوهه الأربعة.

[ابنة جارية همام بن مرة]

ويُرْوَى أن ابنةَ جاريةٍ لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبَان قالتْ له يومًا:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلى اللائى يَكُنَّ مَعَ الرجالِ

فقال: يا فَسَاقِ! أردت صفيحةً[2] ماضية. فقالتْ:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلى صلْعاءَ مُشْرِقَةِ القَذَالِ[3]

فقال: يا فَجارِ! أردت بَيْضَةً حصينةً[4]. فقالتْ:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلى أَيرٍ أَسُدُّ به مَبَالِى

قال: فقتلها.

[من أخبار سعيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشَّمَقْمَقِ - وهو مَرْوَانُ بن محمد، وزَعَم التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيدةَ قال: أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيى بن سُلَيْمٍ الكاتِبُ. مِن

---

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدى.
(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.
(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.
(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسانَ. من بُخَارِيَّة عُبَيْد الله بن زياد. وكان أبو الشمقمق ربَّما لَحَنَ، ويَهْزِلُ كثيراً ويُجِدُّ. فيكثُرُ صوابُه ـ قال يمدحُ مالكَ بْنَ علِيٍّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سَعيدَ ابن سَلْمٍ الباهليَّ:

قد مَرَرْنا بمالك فوجَدْنا ه جواداً إلى المَكارِمِ يَنْمِى[1]
ما يبالِى أتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ أم أتاهُ يأجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمِ[2]
فارْتَحلنا إلى سَعيدِ بنِ سَلْمٍ فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِى[3]
وإذا خبزُهُ عليه « سَيَكْفِيكَهُمُ الله » ما بَدَا ضَوْءُ نَجْمِ
وإذا خاتمُ النبى سُلَيْمَا نَ بن داوُدَ قد عَلاهُ بخَتْمِ
فارتَحَلْنَا من عِنْدِ هذا بحَمْدٍ وارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هذا بِذَمِّ

* * *

وقال عبدُ الصمد بنْ المعَذَّل يرثى سَعيدَ بن سَلْمٍ:

كَمْ يتيمٍ جَبَرْتَهُ بعدَ يُتْمِ وفَقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمِ[4]
كُلَّما عَضَّتِ الحوادثْ نادَى رضِىَ الله عن سَعيدِ بنِ سَلْم

* * *

وقال سعيدْ بن سَلْمٍ : عَرَضَ لى أعرابىٌّ فمدَحَنِى فَبَلَغ[5]. فقال:

أَلاَ قلْ لسارى الليلِ لا تَخْشَ ضَلَّةً سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوْءُ كلِّ بلادِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سَيِّدٍ جَوَادٌ حَثَا فِى وَجهِ كلِّ جَوَادِ[6]

قال: فتأخَّرتُ عن برِّه قليلا. فهجانى فَبَلَغ[7]. فقال:

لكلِّ أَخِى مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ وليس لِمَدْحِ الباهلىِّ ثَوَابُ
مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَديحُ مَهَزَّةٌ فكانَ كَصَفْوَانٍ عليه تُرابُ[8]

---

(١) ر: «كريمًا». وما أثبته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبته عن الأصل. س.
(٣) ر: «فانتهينا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».
(٦) أى حثا التراب فى وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.
(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشَّمَقْمَق:

قال لِى الناسُ زُرْ سَعِيدَ بن سَلْم قلتُ للناسِ لا أَزُورُ سَعِيدَا

وأَمِيرِى فَتَى خُزاعَةَ بالبَصْـ ـرَةِ قد عَمَّها سماحًا وجُودَا

ولَنِعْمَ الْفَتَى سَعِيدٌ ولكنْ مالكٌ أَكْرَمُ البَرِيَّةِ عُودا

فقال سعيدٌ: لَوَدِدتُ أنه لم يكنْ ذَكَرنِى مع مالك، و [أنه][1] أَخَذَ منِّى أُمْنِيَّتَهُ.

* * *

وقال أبو الشمقمق أيضا:

هيهاتَ تَضْرِبُ فى حَدِيدٍ بارد إن كنتَ تَطْمَعُ فى نوالِ سعيد

واللهِ لو ملَكَ البحار بأَسْرِها[2] وأتاهُ سَلْمٌ فى زمانٍ مُدُود

يَبْغيهِ منها شَرْبَةً لِطُهوره لأَبَى وقال: تَيَمَّمَنْ بصَعِيد

* * *

ومِثْلُهُ قولُ الآخرِ:

لو أَنَّ قَصْرَكَ يابْنَ يوسفَ كُلَّهُ إبَرٌ يَضِيق بها فَضَاءُ الْمَنْزِلِ

وأَتاكَ يوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً ليخيطَ قَدَّ قميصِه لم تَفْعَلِ

* * *

وقال مُسْلمُ بن الوَلِيدِ:

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ خَرِيمُها وبُخْلُكَ بُخْلُ الباهِلىِّ سَعِيد

سَعِيدُ بن سَلْمٍ أَلأَمُ الناسِ كُلِّهِمْ وما قومُهُ من لؤمه ببعيدِ[3]

يزيدُ له فَضلٌ ولكنَّ مَزْيدًا تَدارَكَ منَّا مَجْدَهُ بِيَزِيدِ

خزيمَةُ لا بَأْسٌ بهِ غيرَ أنهُ لَمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَدِيدِ

---

(1) تكملة من س.

(2) س: «لو ملك البحور».

(3) ر: «من نجله». وما أثبته عن الأصل. س.

وقال عـبدُ الصمد بن المعَـذَّلِ، يرثِى عمرَو بن سـعيدٍ، وكان عـمرٌو هَلَك بُعَيْدَ[١] سَعِيدٍ بيسير:

رُزِينا أبا عَـمْـرٍو فـقلنا: لنا عَـمْـرٌو ... سَيَـكْفيكَ ضَـوْءُ البَدْرِ غَـيْبُوبَةَ الـبَدْرِ

وكـانَ أبو عـمـرو معُـاَرًا حَـيـاتَهُ[٢] ... بعـمرٍو فلمَّـا ماتَ مـاتَ أبو عَمْـرو

* * *

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسـعيدِ بن سَلْمٍ: يا سَعيدُ مَنْ بَيْتُ قَيَسٍ فى الجاهلية؟ قال: يا أميرَ المؤمنيـن، بنو فَـزارةَ، قال: فَمَنْ بيتُهم فى الإسـلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، الشريفُ[٣] مَنْ شَرَّفْتُمُوه، قال: صدقتَ أنتَ وقومُكَ.

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن علىّ بن سليمـان الهاشمىُّ، قال: حدثنى رجلٌ من أهل مكَّة، قال: رأيت فى منامى سـعيَد بن سَلْمٍ فى[٤] فى حياته و [فى][٥]. نعْمَته، وكـثرة عَدَدِ ولـَده، وحُسْـنِ مذهبـه، وكمال مُـرُوءَته، فقلـتُ فى نفسـى: مَا أَجَلَّ مـا أُعْطِيَهُ سعـيد بن سَلَمٍ! فقـالَ لى قائلٌ: وما ذَخَـره الله له فى الآخرةِ أكثرُ.

* * *

وكان سعـيدٌ إذا استَقْبَلَ السَّنَةَ التى يسـتقبل[٦] فيهـا عددَ سنيه أعتقَ نَـسَمة وتصدَّقَ بعـشَرَةِ آلافِ درهمٍ، فقـيل لمدينىٍّ: إنَّ سعيـدَ بن سَلْم اشترى نفـسَه من ربه[٧] بعشرة آلاف درهمٍ، فقال: إذًا لا يَبيعه.

[مما قالته العرب فى ذم باهلة]

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيد:

أبنِى سـعيـدٍ إنّـكمْ من مَـعْـشَرٍ ... لا يَعْـرِفـونَ كـرامـةَ الأضـيـافِ

(١) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر: «حياته». بفتح التاء.
(٣) كلمة الشريف ساقطة من ر.
(٤) ر: «أريت سعيد بن سلم فى النوم».
(٥) تكلمة من ر. س.
(٦) ر: «يستأنف». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) كذا فى الأصل، س وفى ر: «إن سعيدا يشترى نفسه. . . .».

قَـومٌ لبـاهِلَةَ بن يَعْـصُـرَ إنْ هُمُ ... نُسبـوا حَـسِبْتَـهُـمُ لعبـدِ منافِ
قَـرنُوا الغَـدَاءَ إلـى العَشـاءِ وقَـرَّبوا ... زَادًا لَعَـمْـرُ أبـيكَ ليس بـكافِ
وكَـأنَّنى لـمَّـا حَطَطْتُ إليـهمُ ... رَحْلـى نَزَلْـتُ بأَبْرقِ الـعَـزَّافِ(١)
بَيْـنَا كـذاكَ أتاهم كُـبَـرَاؤُهُمْ ... يَلْحُـونَ فى التـبـذير والإسْـرافِ

وأنشدنى المازِنىُّ:

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِـن فَـضْلـه ... ولا تـسـألـنّ أبـا وائـلـه
فـمـا سـألَ اللهَ عـبـدٌ له ... فـخـابَ ولوْ كـان من باهِـلَهْ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى بعضُ أصحابنا:

تَرى البـاهِلىَّ عـلى خُـبْـزِهِ ... إذا رَامَـهُ آكِـلٌ آكِـلَـهُ]

وأنشدنى رجل(٢) من عبد القَيْسِ:

أبـاهِلَ يَـنْبـحُـنى كلبُكُـم ... وأسـدُكُـمُ ككِلاَبِ الـعَـرَبْ
ولو قـيلَ للـكلب يـا باهِلـى ... عَـوَى الكلبُ من لُؤْم هذا النَّسَبْ

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم قـال: حدثنى أبو قلاَبَةَ الجُرْمىُّ قال: حـجـجنا مَرَّةً مع أبى جَزْءِ بن عَمرو بن سعيد، قال: وكُنَّا فى ذُرَاهُ(٣). وهو إذ ذاكَ بَهِىٌّ وضِىٌّ، فجلسنا فى المسجـد الحرامِ إلى أقوامٍ(٤) من بنى الحاردث بن كَـعْبٍ، لم نَرَ أفْصَحَ منهم، فَرَأَوْا هيئَةَ أبى جَزْءٍ وإعظَامَنَا إيَّاه مع جمالِهِ، فقال قائلٌ منهم له: أمِنْ أَهل بيت الخليـفة أنتَ؟ قـال: لا، ولكن رجلٌ من العَـرب، قال: ممن الرجلُ؟ قـال: رجلٌ(٥) من مُضَرَ، قال: أَعْرَضَ ثَوبُ الـمُلـبسِ! من أَيِّها عافاك اللهُ؟ قال: رجلٌ

(١) العزاف. بتشديد الزاى: جبل من جبال الدهناء.
(٢) ر: «وأنشد أبوالعباس لرجل». وما أثبته عن الأصل، س.
(٣) ذراه: كنفه. (٤) ر: «قوم».
(٥) ساقطة من ر.

من قيسٍ، قال: أينَ يُرادُ بكَ، صرْ إلى فصيلتكَ التى تُؤْويكَ! قال: رجلٌ من بنى سعد بن قيسٍ، قال: اللهم غَفْرًا! من أَيِّهَا عافاكَ اللهُ؟ قال رجل من بنى يَعْصُرَ، قال: منْ أيها؟ قال: رجلٌ من باهلَةَ، قال: قُمْ عَنَّا! قال أبو قلابةَ: فَأَقبلتُ على الحارثىِّ فقلتُ: أتعرفُ هذا؟ قال: هذا ذكَرَ أنه باهلىٌّ، قال[1] فقلتُ: هذا أميرٌ ابنُ أميرٍ ابنُ أميرٍ... قال: حتى عَدَدتُ خمسةً.

هذا أبو جَزْءٍ أميرٌ، بنُ عمرو ـ وكان أميرا ـ بنُ سعيدٍ ـ وكان أميرا ـ بن سَلْمٍ ـ وكان أَميرا ـ بن قتيبةَ ـ وكان أميرا.

فقال الحارثىُّ: الأميرُ أَعْظَمُ أَم الخليفةُ؟ فقلتُ: بَلِ[2] الخليفةُ. قال: أفا الخليفةُ أعظم أَم النَّبىُّ؟ قلتُ: بَلِ النبىُّ. قال: والله لو عَدَدتَ له فى النبوّة أضعافَ ما عددتَ له فى الإمْرة[3]، ثم كان باهليًّا ما عَبَأَ اللهُ به شيئا. قال: فكادَتْ نفسُ أَبى جَزْءٍ تفيض[4]. فقلتُ له[5]: انْهَضْ بنا، فإنَّ هؤلاء أَسوأُ الناسِ أَدبا[6].

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ للرجلِ إذا سُئِل عن شىء فأجابَ عن غيرِه «أَعْرَضَ ثوبُ المُلْبِسِ» أى أَبْدَى غيرَ ما يُرادُ منه].

* * *

وحُدِّثتُ أَنْ أَعرابيًّا لقى رجلا من الحاجِّ. فقال له: ممن الرجلُ؟ قال: باهلىٌّ، قال: أُعيذك بالله من ذلك. قال: إى والله. وأَنا مع ذلك مولى لهم.

فأقبل الأعرابىُّ يقبِّلُ يديه ويتمسَّحُ به، قال له الرجلُ: ولِمَ تفعلُ ذاك؟ قال: لأنى أَثِقُ بأنّ اللهَ عَزّ وجلّ لم يَبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنة.

[فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى]

ويَزعمُ الرواة[7] أن قُتيبَةَ بن مُسْلمٍ لما فتحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى[8]. إلى أَثَاثٍ لم

(١) ساقطة من ر.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «الإمارة».
(٤) ر: «تخرج».
(٥) ساقطة من ر.
(٦) ر: «آدابا».
(٧) ر: «الرقاشى».
(٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يُرَ مثلُه، وإلى آلات لم يُرَ مثلها[١]. فأرادَ أن يُرِىَ الناسَ عظيمَ ما فتحَ اللهُ عليه، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القــوم الذين ظَهَرَ عليهم. فأَمَرَ بدارٍ ففــرِشَتْ، وفى صَحْنها قُدُورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالمِ. فــإذا بالحُضَيْنِ بن المنذر بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرَّقَــاشِىِّ قد أقبلَ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبهم، والحُضَيْنَ شيخٌ كبيرٌ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلمٍ قال لقُتيبةَ: ائذنْ لــى فى معاتَبته. قال: لا تُردْهُ فإنه خبيثُ الجواب، فأبى عبدُ الله إلاَّ أن يأذنَ له ـ وكان عــبدُ الله يُضعَّفُ، وكان قــد تَسَوَّرَ حائطًا إلى امــرأة قبلَ ذاك ـ فأقبلَ على الحُضَيْن [ابن المنذر][٢]. فقال: أَمِنَ الباب دخلــتَ يا أبا ساسانَ؟ قال: أَجَلْ أَسَنَّ عمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطان، قال: أرَأَيتَ هذه القدورَ؟ قال: هى أعظمُ من ألاَّ تُرَى، قال: ما أَحْـسبُ بكرَ بنَ وائلٍ رأَى مثلَها! قــال: أجَلْ، ولا عَيْلانَ، لو كان رآها سُمِّىَ شَبْعانَ، ولـم يُسَمَّ عَيْــلانَ، قال لَهُ عبدُ الله: يا أبا ساسان، أتَعرِفُ الذى يقولُ:

عَــزَلْنـا وأَمَّــرنَا وبكْـرُ بن وائلٍ ... تَجُـرُّ خُصَـاها تَبْـتَغِى من تُحَـالِفُ

قال: أَعْرِفَه، وأعرفُ الذى يقولُ:

وخَـيْـبَـةَ مَنْ يَخِـيـبُ على غَنِىٍّ ... وباهِلَـة بن يَعْـصُــرَ والرِّكَــاب

يريدُ يا خَيْبَةَ من يخيب. قال: أفتعرفُ الذى يقولُ:

كأَنَّ فِـقَاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِـسْمَعٍ ... إذا عَــرِقَت أَفْـواهُ بكْر بن وائِلِ[٣]

قال: نعم[٤]. وأعرفُ الذى يقولُ:

قــومٌ قُــتَـيْــبَــةُ أُمُّــهُــمْ وأَبوهُــمُ ... لــولا قُتَيْبَةُ أصْبحـوا فى مَجْـهَلِ

قال: أما الشعــرُ فأراكَ تَرْويه، فهل[٥] تقرأُ من القرآن شيـئا؟ قال: أَقرأُ منه الأكثَر الأطيَبَ: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الإنْسَانِ حينٌ منَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[٦]. قال[٧]: فأَغْضَبَه. فقال: والله لقد بـلغَنى أنَّ امرأَةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهى حُبْلَى

---

(١) ر: «لم يسمع بمثلها». (٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١ .

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

من غيره. قال: فما تحرَّك الشَّيخْ عن هَيْئَته الأُولَى، ثم قال على رِسْله: وما يكونُ! تَلدُ غلامًا على فِرَاشي فيقالُ: فلانُ بن الحُضَيْن. كما يقالُ: عَبدُ الله ابنُ مسلمٍ. فأقبلَ قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبْعِد اللهُ غيرَكَ.

[قال أبو العباس[1]]: الحُضَيْنُ[2] بن المنذر بن الحارث بن وَعْلَةَ. وكان الحضينُ بيده لواءُ عليّ بن أبى طالب رحمه الله على ربيعة، وله يقولُ القائلُ:

لِمَنْ رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها ... إذَا قيلَ قَدِّمْهَا حُضَينُ تَقدَّمَا

[للأعشى يمدح هوذة بن علي]

وللحارث بن وَعْلَةَ يقولُ الأعشَى - وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ. فعَرج[3] عنه إلى هَوْذَةَ بن عليٍّ ذى التَّاج. وهوذة من بنى حَنيفَةَ بن لُجَيم بن صَعْب بن عَلىٍّ ابن بكرِ بن وَائل، والحارثُ بن وعْلَةَ من بنى رَقَاش، وهى امرأةٌ، وأَبوهم مالكُ ابن شَيْبَانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن عَلىّ بن بكرِ بن وائل. فقال الأعشَى يَذْكر الحارِثَ بن وَعْلة وهَوذة بن علىٍّ:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنابَةٍ ... فكانَ حرَيْثٌ عن عَطائىَ جامِدَا

إذَا ما رأَى ذا حاجَةٍ فكأنما ... يرَى أَسَدًا فى بيتِهِ وأساوِدَا

لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَة فى النَّدَى ... شَمَائِلَهُ ولا أَبَاه مُجَالِدَا

وَإِنَّ امْرأً قد زُرْتُه قبلَ هذه ... بجَوٍّ لَخَيْرٌ منك نَفْسًا ووالِدَا

تَضَيَّفْتُه يوما فقَرَّبَ مَجْلِسِى ... وأَصْفَدَنِى عَلى الزَّمانَة قائِدَا

وأَمْتَعنِى على العَشَا بولِيدَةٍ ... فأُبتُ بخير منك يَا هَوْذَ حامِدَا

فتى لو يبارِى الشَّمسَ أَلْقَتْ قناعَها ... أَو القَمَرَ السَّارى لألْقَى المَقَالِدَا

يَرَى جَمْعَ ما دُونَ الثلاثين قُصْرَةً ... ويَعْدُو على جمع الثلاثينَ واحِدَا

وهى كلمةٌ.

---

(١) من س. (٢) ر: «هذا الحضين».
(٣) ر: «وعرج».

قوله: «أتيتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيرُه على لفظه[1]: حُوَيْرِثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له تصغيرُ التَّرْخيم، وهو أن تَحْذفَ الزوائدَ من الاسم ثم تصغِّر حروفَه الأصلية. فتقولَ في تصغير أحمدَ: حُمَيْد لأنه من الحَمد. وفي الحارث: حُرَيْثٌ، لأنه من الْحَرْث. وفي غَضْبَانَ: غُضَيْب، لأنه من الغَضَب، لأن الألف والنونَ زائدتان، وكذلك ذواتُ الأربعة، تقول في تصغير «قنديلٍ» على لفظه «قُنَيْديل». فإن صغَّرته مرخَّمًا حذفتَ الياءَ فقلتَ: «قُنَيْدِل»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

وقوله: «عن جَنَابَة»، يقولُ: عن غُرْبَة وبُعْد. يقالُ: هُمْ نِعْم الحيُّ لجارِهم جار الجَنَابَة. أي الغُرْبَة. يقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلٌ جانب، أي غريبٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾[2]. وقال الْحُطَيْئَةُ:

واللهِ ما مَعْشَرٌ لامُوا امرَأً جُنُبًا ... في آل لأيِ بن شَمَّاسٍ بأكْيَاس

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ:

فَلا تَحْرِمَنِّي نَائِلا عن جَنَابَةٍ ... فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد: جُنُبٌ قال للجميع: أَجْنَابٌ، كقولك: عُنُقٌ وأعناقٌ، وطُنُبٌ وأطنابٌ. ومن قال للواحد: جَانِب، قال للجميع: جُنَّابٌ. كقولك: راكبٌ ورُكَّابٌ، وضاربٌ وضرَّاب. قالت الْخَنْسَاءُ:

ابْكِي أَخَاكِ لأَيتَامٍ وأَرمَلةٍ ... وابْكِي أَخَاكِ إذا جَاوَرْتِ أَجْنَابا

وإن كان من الْجَنَابَة التي تُصيب الرجلَ قلتَ: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأةُ والجميعُ، وقد تجوزُ وليس بالوجْه. رجُلان جنبان، وامرأةٌ جُنُبَةٌ، وقومٌ أَجْنَابٌ.

وقوله:

* يَرَى أَسدًا في بيته وأساودا *

---

(١) س: «على اللفظ».

(٢) سورة النساء: . آية ٣٦ .

يريد جَمْع أسْـوَدَ سالخ، وأسودْ هاهنا نعتٌ، ولكنّه غـالبٌ، فلذلك جَرَى هاهنا مَجْـرى الأسمـاء، لأنه يَدُلُّ على الْحَيَّـة، و «أَفعل»، إذا كان نعـتًا بنفـسه فجمعهُ: «فُعْلٌ»، نحو: أَحْمَر وحُمْر، وأَسْودَ وسُود، وإذا كان نعتًا فأُجْرِيَ مُجْرَى الأسماء فجـمعُه: «أفاعِل» نحو أسَاوِد، وأَجَـادلَ، وأدَاهِمَ، إذا أردت القَيْد، لأَنَّهُ نعتٌ غالبٌ يَـجْرِي مَجْـرَى الأسماء، وإن أردتَ أَدْهَمَ ـ الذى هـو نعتٌ محضٌ ـ قلتَ: دُهْمٌ، قال الأشهَبُ بن رُمَيْلَة:

أُسُـودُ شَرًى لاَقتْ أُسُـودَ خَـفِيَّـةٍ ... تَسـاقَوْا على حَـرْد دماءَ الأسـاوِدِ

فأَجراه مجرى الأسماء. نحو: الأصاغِر، والأكابر، والأحامد.

وقوله:

لَعَمْرك ما أشبَهْتَ وعْلَةَ فى النَّدى ... شمائله ....

فإنه جـعل: «شمائلَه»، بدلا من: «وَعْلَةَ»، والتَّقـديرُ: ما أَشْبَهْتَ شـمائلَ وعْلَة.

والبدلُ على أربعة أضرب:

فواحد منها أن يُبْدَلَ أَحدُ الاسْمَيْن من الآخر إذا رجعًا إلى واحد. ولا يُبَالى أَمَعْرفتَيْن كانا أم معرفةً ونكرة، وتقولُ: مررت بأخيك زيد، لأنَّ «زيدًا» هو الأخُ، وكذلك: مررتُ برجلٍ عبد الله، فهذا واحدٌ.

وآخـرُ أن يُبْدَلَ بعضُ الشيء منه. نـحو: ضـربتُ زيدا رأسَهُ، لـمَّـا قلتَ: ضربتُ زيدًا، أردتَ أن تُبَيِّنَ موضعَ الضربِ منه.

فمـثْلُ الأوَّل قولُ الله تبـاك وتعالى: **﴿اهْدنا الصِّرَاطَ الْمسْتَقـيمَ * صِرَاطَ الذينَ أنْعمْتَ عَلَيهِم﴾**[1]. وَقولُه: **﴿وإنْكَ لتهْـدَى إلى صِرَاطٍ مسْتَقِـيمٍ * صِرَاطِ الله﴾**[2]. و **﴿لَنَسْفَعًا بالنَّاصيَةِ * ناصيَةٍ كَاذبَةٍ خاطئَةٍ﴾**[3].

ومثْلُ البدَل الـثانى قولَه: **﴿ولله عَلَى الناسِ حِجُّ الْـبَـيْتِ مَنِ اسـتَطاعَ إلَيْـه سَبِيلا﴾**[4].

---

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧ .
(٢) سورى الشورى ٥٢, ٥٣ .
(٣) سورة العلق ١٥، ١٦ .
(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من«الناس»، ومثْلُه، إلا أنه أُعيدَ حرفُ الخَفْض: ﴿**قال المَلأُ الّذينَ استكبَروا منْ قومه للّذين استُضْعفُوا لمَنْ آمنَ منْهُمْ**﴾[1].

والبدَل الثالث مثْلُ ما ذكرنا فى البيت، أَبْدَل: «شمائله» منه. وهى غيرُه، لاشتمال المعنى عليها، ونظيرُ ذلك: أَسْأَلُكَ عن زيد أَمْره. لأَن السؤالَ عن الأُمْر. وتقولُ على هذا: سُلب زيدٌ ثوبه، فالثوبُ غيرُهُ، ولكن به وقعَ السَّلْبُ. كما وقعت المسألَة عن خبرِ زيد، ونظيرُ ذلك من القرآن: ﴿**يسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهر الْحَرامِ قتَال فيه**﴾[2]. لأنَّ المسْألَةَ إنما كانت عن القتال: هل يكون فى الشهر الحرام؟ وقال الشاعر [وهو الأخْطَلُ][3]:

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها ... تَركَتْ هَوَازنَ مِثْلَ قَرْنِ الأعْضَبِ[4]

وبدَلٌ رابعٌ. لا يكونُ مثْلُه فى القرآن ولا فى الشِّعْر، وهو أن يَغْلَطَ المتكلِّمُ فيستدرك[5] غَلَطَهُ، أو يَنْسَى فيذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقة ما يَقْصدُ له، وذلك قوله: مررتُ بالمسجد دارِ زيد، أراد أن يقولَ: مررتُ بدار زيد، فإمَّا نَسِىَ، وإمَّا غلِطَ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذى قَصدَ له فى موضع الذى غَلِطَ فيه.

وقوله: «بِجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمامَة.

وقوله: «تَضَيَّفْتُه يومًا»: إما هو «تَفَعَّلْتُهُ»، من الضِّيافة. يقال: ضِفْتُ الرجلَ، أىْ نزلتُ به، وأَضافَنِى، أَى أَنْزَلَنِى.

وقوله: «وأَصْفدَنى»: يقولُ: أعطانى، وهو الإصْفَادُ، والصَّفَدُ الاسمُ، والإصْفَادُ المصدرُ، قال النابغةَ:

* فلم أعرِّضْ أَبيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ *

ويقال: صَفَدت الرجلَ فهو مَصْفُودٌ، من القَيْد، ولا يقال فى القيد أصفدت، ولكن صفَدْتهُ صفْدًا، واسمُ القيْد الصَّفَدُ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**مُقرَّنينَ فى الأصفادِ**﴾[6]. كقولك: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأَصْنَامٌ.

---

(١) سورة الأعراف ٧٥ .
(٢) سورة البقرة ٢١٧ .
(٣) من س .
(٤) الأعضب: الكبش المكسور القرن.
(٥) ر: «فيدرك».
(٦) سورة ص ٣٨ .

وقوله: «فتى لو يُبارى الشمسَ»، يقـول: يُعارض، يقالُ: انبَرَى لى فلان، أى اعترضَ [لى[1]] فى هذا المعنى، وفـلانٌ يُبارى الرِّيحَ، مِنْ هذا، أى يـعارضُ الريح بِجُوده، فهذا غير مهموز. فأمَّا: بَارَأْتُ الكَرِىَّ فهو مهموز، لأنَّه من أَبْرَأَنى وأبرأتُه. ويقال: بَرَأَ فلانٌ من مَـرضه، وبَرِئَ يافتَى؛ والمصدرُ منهمـا البُرْءُ فاعلمْ، وبرَيْتُ القلمَ غيـرُ مهمـوز. واللهُ البَارئُ المصَـوِّرُ. ويقال: ما بَرأَ اللهُ مـثلَ فلان، مهمـوز، وقولك: «البَرِيَّةُ»، أصلُه من الهمزِ، ويُخْـتارُ فيه تخفـيفُ الهمزِ، ولفظ التخفيف والبدل واحد، وكذلك يُخْتارُ فى «النَّبىِّ» التخفيفُ، وَمن جعلَ التخفيفَ لازمًا قـال فى جمـعه: أنبـياء، كـما يُفْـعَلُ بذوات الياء والواو، وتقـول: وَصىٌّ وأوصياءُ، وتقىٌّ وأتقياءُ، وشقىٌّ وأشقياءُ. ومَن هَمزَ الواحدَ قال فى الجمع: نُبآءَ، لأنه غيـرُ مُعْتَلٍّ، كمـا تقول: حكيمٌ وحكماءُ، وعليمٌ وعـلماءُ وأنبياءُ لغـة القرآنِ والرسولِ ﷺ . وقال العباسُ بن مِرداس السُّلَمىُّ:

يا خـاتَم الـنُّبَـآءِ إنكَ مُـرْسَلٌ بالحقِّ كلُّ هُدَى السَّبيل هُدَاكـا[2]

وقوله:

* أو القَمَرَ السَّارى لألْقَى المَقَالدَا *

إنما سكّن[3] اليـاءَ ضرورةً، وإنما جـازَ ذلك لأنَّ هذه اليـاءَ تَسْكُنُ فى الرفع والخَفْض، فـإذا احتـاجَ الشاعـرُ إلى إسكانها فى النصـب قاسَ هذه الحركـةَ على الحركتين: الضمَّـةِ والكَسرةِ الساقطتين؛ فشَبَّهَها بهمـا، فَجعَلَها كالألف التى فى: «مثنى» التى هى على هيئةٍ واحدة فى جميع الإعراب، قال النابغة:

رَدَّتْ عليـه أقـاصِيــهِ ولبَّــدَهُ ضَرْبُ الوَلِيدَةِ يا مِـسْحاةُ فى الثأْدِ[4]

فأسْكنَ الياء فى: «أقاصيه». وقال رُؤْبَةُ:

كـأنَّ أيـدِيهنَّ بالقَـاعِ الـقَـرِقْ[5] أَيْدِى جَـوَارٍ يَتَـعَـاطين الوَرِقْ[6]

---

(١)تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن». (٤) الثأد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما انبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر: «والورق هو ورق الشجـر، يضرب بالعصا فيـتناثر فتلتقطه الجوارى بسـرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَّى مَسَاحِيهنَّ تقْطيط الحُقَقْ[1] *

[ويُروَى: «تقطيطَ»، بالنصب، وهو أجودُ، لأن بعدَه:

* تفْليلُ مَا قارَعْنَ مِنْ سُمْر الطُّرَقَ *

والطُّرَقُ: جمع طُرْقةٍ][2].

وقال آخرُ:

كـفَى بالنَّـأى من أسـمـاء كـاف   وليس لِحُـبِّـهـا ما عِـشْتُ شـافِ

وأما قوله:

وأمْـتَـعَنِى علـى العَـشَـا بوليـدةٍ   فـأُبْتُ بخيـرٍ منك يا هَوْذَ حَامِـدا

فإنه كان يتحدّث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المُخاطبة.

والعرب تتْرُك مخـاطبةَ الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومـخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**حتَّى إذَا كُنْتمْ فى الْفُـلْك وجَريْنَ بهمْ بريح طَيِّبة**﴾[3]. كانت المخاطبةُ للأُمَّةِ، ثم صُرفت[4] إلى النَّبى ﷺ إخْبَارًا عنهم. وقال عَنْترَة:

شَطَّتْ مَزَارُ العـاشِقِينَ فَأَصـبحت   عَـسَـرًا علَىَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَـخْـرَمِ

فكان يحدِّث[5] عنها ثم خاطبها. ومثلُ ذلك قول جرير:

وتَرَى العَـواذلَ يَبْـتَدِرْنَ مَـلامَـتِى   فـإذا أَرَدْنَ سِـوى هَواكِ عُـصِـينَا

وقال الآخر:

فـدى لك والدى وسـراة قـومى   ومـــــا لـى إنه مـنـه أتانـى

وهذا كثيرٌ جدًّا.

---

(١) المساحى هنا: الحوافر، على التشبيه.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر. وتفليل: تكسير . مـا قارعن. ما ضربن بها. والطرق: حـجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(٣) سورة يونس ٢٢ .

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «انصرفت».

(٥) ر: «يتحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمْعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *

أى قليلا. من الاقتصار. ويُرْوَى: «ويَغدو». و «يَعْدُو» جميعًا.

[من أخبار هوذة بن على]

وكان هَوْذةُ بـن علىٍّ ذا قَدر عـالٍ، وكان[1] له خَرَزاتٌ تنظَمُ فـتُجْعَلُ على رأسِه. تَشَبُّهًا بالملوك.

وحـدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُـبَيْـدةَ. قال: مـا تَتَوج مَـعَدِّىٌّ قَطُّ، إنما كـانت التيجانُ لليمَن، قال: فسأَلْته عن قول الأعشى لهْوذة[2].

مَنْ يَرَ هوذَة يَسْـجُدْ غـيـرَ مُتَّـئِب ... إذا تَعَـمَّمَ فـوقَ التاجِ أو وَضَـعَـا

قال: إنما كانت خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ له[3].

* * *

وكتبَ رسولُ الله ﷺ. إلى هوذةَ. كما كَتَبَ إلى الملوك.

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجيْم أصحابَ اليمامةِ، ويقولُ بعض النسَّابين:

إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أَتَى اليمامـةَ وهى صَحْراءُ، فاختَطَّهَا، فجعَل يَرْكُض حوالَيْهَا برمحه فى الأرض على مـا أصاب من النخلِ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التَّمر، فلمـا طَلَعَ لهم التَّمرُ بَعدُ لم يهـتَدُوا لصُعود النَّخْل، فـأقبلوا يَجُدُّونَه، حتى فَكَّرُوا فأعَدُّوا له السَّلالم، فلما عَمرَت اليمامَةُ جَعَلَت العربُ تَنْجعُهمْ لموضع التمـر فيُجَاورُونَ العَـزِيزَ منهم، وكان يقالُ لمن دخلهـا من هؤلاء: السَّوَاقِط؛ ممن كانوا.

* * *

ويقالُ إن اليمامة والبَحْـرَيْن والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك كانت لطَسْمٍ وجَدِيس، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بزَرْقاءِ اليمَامةِ، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله:

---

(١) ر: «وكانت». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنو شروان لما دخل عليه هوذة بن على أعجب به. فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، ومن ثم سمى هوذة ذا التاج. نقله الموصفى.

[مـا نَظَـرَتْ ذاتُ أَشْـفَـار كَنَظْـرَتِهـا حَقًّـا كما نطقَ الذِّئبىّ إِذْ سَجَـعَا][1]
قـالتْ أرَى رَجُـلا في كَـفِّـه كـتِفٌ أ يَخْـصفُ الـنعلَ لَهـفى أَيَّة صَـنَعَـا
وكـذَّبُوها بمـا قـالت فَـصَبَّـحَـهُمْ ذو آل غَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشِّرَعَا[2]

* * *

وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبي عُبيدةَ والأَصْمَعى عن أبى عَمْرو قال: قال لى رجلٌ من أهل القريتين: أُصِبْتُ هاهنا دَراهمَ، وَزْنُ الدرهم ستـة دراهمَ وأربعة دَوانيقَ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيس، فخفتُ السلطانَ فأَخفيتُها.

وقد ذكر ذلك زهَيْرٌ فى قوله:

عَهِدى بهم يومَ بـاب القريتين وقد زالَ الهمَاليجُ بالـفرُسْان واللُّجُم[3]
فـاسـتبـدلتْ بعـدَنا دَارًا يمَـانِيَـةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنى دَارِهَا ظَلِمُ[4]

[لجرير يهجو بنى حنيفة]

وقال جرير يهجو بنى حنيفة:

هَجَـانِىَ الناسُ م الأحْـيَـاء كُلهِم حتى حنَيـفة تَفْسُو فى مَنَاحِـيهَا[5]
أصحـابُ بخل وحيطان ومَـزْرَعَةَ سُيـوفهمْ خُشُبٌ فـيها مَـسَاحِيـهَا
دَلَّتْ وأعطتْ يدًا للسِّلْم صـاغرةً منْ بعد مـا كاد سيفُ الله يُفْنِيـها
صـارت حنيـفـةُ أثـلاثًا فَـثُلْثُـهُمُ أَضْحَواْ عَـبِيدًا وثلْثٌ من مَوَالِـيهَا

قوله: «مَناحِيـهَا»، المَنْحَاةُ: مَقَامُ الـسَّانيةِ على الحوض، والحائطُ: البـستان وقوله:

---

(١) ما بين العـلامتين من زيادات ر. والذئبى هو سطيح الكاهن؛ وهو ربيع بن ربيـعة بن مسعـود بن عدى؛ وكان ضعيفا منبسطا لا يقدر أن يقعد (من شرح ديوان الأعشى ٧٤).

(٢) الشرع: الأوتار. واحده شرْعة.

(٣) ر: «عهد بها»، وما أثبته رواية الديوان ١٥٠، والأصل، س. وباب القريتين، التى فى طريق مكة؛ وهى قرية كانت لطسم وجديس، والهماليج: جمع الهمـلاج؛ وهى الدالة فى سيرها سرعة ويخترة؛ يريد بها هنا الإبل.

(٤) يمانية: ناحية ا ليمن، وظلم: اسم جبل.

(٥) زيادات ر: «تعـبر بنو حنيـفة بالفـسو؛ لأن بلادهم بلاد نخل، فـيأكلون ويحـدث فى أجوافـهم الرياح والقراقير».

* مِنْ بعد ما كاد سيف اللهِ يُفنيها *

يعنى خالدَ بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته بمسيْلمَةْ الكذَّاب. وللنسَّابينَ بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ.

* * *

وقال جْرير:

أبَنِي حَنيفَةَ نَهْنِهُوا سُفَهَاءَكُمْ ... إني أخاف عليكُمُ أن أَغْضَبَا(١)

أبنى حنيفةَ إننى إن أَهْجُكُمْ ... أَدَعِ اليمامَةَ لا تُوَارِى أَرْنَبَا

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنفية]

وقال عُمَارَة بنُ عقيل:

بَلْ أيُّهَا الراكبُ الماضى لطيَّته ... بَلِّغ حنيفةَ وانْشر فيهمُ الخَبرا

أكان مَسْلَمةُ الكذّابُ قال لكم ... لن تُدْركُوا المَجْد حتى تُغضبُوا مُضَرا

مَهْلا حنيفةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكمُ بَرْكَهَا أَسْرعْتُم الضَّجَرا

البَرْكُ: الصَّدْرُ، إذا فتحت الباءَ ذَكَّرْتَ، وإن أردتَ التأنيثَ كسرتَ الباءَ، قلتَ: بِرْكة، قال الجَعْدىُّ:

ولوْحَا ذِرَاعَيْن فى بِرْكةٍ ... إلى جُؤْجُؤ رَهِلِ المُنْكِبِ(٢)

* * *

وزَعم الأصمعىُّ أن زِيادًا كان يُقال له: أَشْعَرُ بَرْكا لأنه كان أَشْعَرَ الصَّدْر.

وغيرُ الأصمعىّ زعم(٣) أن هذا كان يقال للوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيْطِ بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة.

---

(١) نهنهوا سفهاءكم: كفوهم وازجروهم.

(٢) الجؤجؤ: الصدر. أو مجتمع رءوس عظام الصدر، والمنكب: مجتمع العضد والكتف. ورهله: استرخاؤه من السمن.

(٣) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «يزعم».

وذكروا أن عَدِىَّ بن حاتم بن عبد الله الطائىَّ قال يومًا: ألاَ تَعْجَبُونَ لهذا، أَشْعَرُ بَرْكًا! يُوَلَّى مثلَ هذا المصر! والله ما يُحْسِنُ أَنْ يَقْضِىَ فى تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المِنْبَر: أنشد اللهَ رجلا سمّانى أشعر بركا إلا قامَ! فقامَ عدىُّ بن حاتمٍ فقال: أَيها الأميرُ، إن الذى يقومُ فيقولُ: أنا سميتُكَ أَشْعَرَ بَرْكًا لَجرىءٌ، فقال: اجلس يا أبا طَرِيفٍ؟ فقد بَرَّأَكَ اللهُ منها. فجلسَ وهو يقولُ: واللهِ ما بَرَّأنى اللهُ منها.

* * *

وكانت أمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أُمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله، وهى أَروَى بنتُ كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بْن عبد منَاف. وأُمُّها البَيْضَاءُ بنت عبد المُطَّلب بن هاشم، ومن ثمَّ قال الوليد لعلىِّ بن أبى طالب رحمه الله: أنا أَلْقَى رسولَ الله ﷺ بأُمِّى من حيثُ تَلْقَاه بأبيك.

وكان يقال للبَيْضَاء بنت عبد المطلب: قُبَّةُ الديبَاجِ. واسمها أُمُّ حكيمٍ، ولذلك قيل لعثمان وللوليد[1] يابن أروَى، وَيا بنَ أُمِّ حكيم .

* * *

وقال الوليد لبنى هاشمٍ لهذا النّسب[2] حين قُتلَ عثمان رحمه الله:

بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاَحَ ابنِ أُختكمْ ... ولا تُنْهِبُوهُ لا تحلُّ مَنَاهِبُهْ
بنى هاشمٍ كيفَ الهَوَادَةُ بيننا ... وعندَ علىٍّ درْعُهُ وَنَجَائبُهْ
هُمُ قَتلوه كَىْ يكونوا مكانَه ... كما غَدَرَتْ يومًا بكسْرَى مَرَازِبُهْ

وهذا القول باطلٌ. وكان عُرْوة بن الزبير إذا ذَكر مقْتَلَ عثمان يقولُ: كان علىٌّ أَتْقَى لله من أَن يقتل عثمان[3]. وكان عثمانُ أَتْقَى لله مِن أَن يقتله علىّ[4].

(١) كذا فى الأصل: س. وفى ر: «أو للوليد».
(٢) كذا فى الأصل س. وفى ر: «السبب».
(٣) ر: «من أن يعين فى قتل عثمان».
(٤) ر: «من أن يعين فى قتل».

وقال الوليدُ بن عُقْبةَ:

أَلاَ إِنَّ خَـيْـرَ النَّاسِ بعـد ثلاثة ... قَتيلُ التّجيبىّ الذى جاء من مصر(١)
ومـا لىَ لا أَبْـكِى وَتبكِـى أَقـاربى ... وَقد حُـجِبَتْ عنا فُصولُ أَبى عَـمْرو!

[لليلى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان]

وقالت ليَلْىَ الأخيَلِيَّةُ، أنشدنيه الرِّيَاشىُّ عن الأصْمعىِّ:

أَبْعَـدَ عثمان تَرْجُـو الخيـرَ أُمَّتُـه ... وكـانَ آمَنَ مَنْ يمشـى على سـاقِ
خَليـفـة الله أَعطاهُمْ وخَـوَّلهمْ ... مـا كـان مـن ذَهبٍ جَمٍّ وأوراقِ
فـلا تُكَذِّبْ بـوعـد الله وارْضَ به ... ولا تُوَكَّلْ علـى شىءٍ بإِشْـفـاقِ
ولا تقـولنْ لِشَىْءٍ: سـوف أَفْـعَلُه ... قـد قـدَّرَ اللهُ مـا كلٌّ امـرئٍ لاقِ

[لآخر يرثيه أيضا]

وقال الآخرُ:

أَلاَ قُلْ لقَـومٍ شاربى كـأسِ عَلْقَمٍ ... بقـتْلِ إمـامٍ بالمـدينة مـحْـرِمِ
قـتَلْتُمْ أَمينَ الله فـى غـيـر ردَّة ... ولا حَدَّ إِحْـصَانٍ ولا قَـتْلِ مُسْلم
تَعَـالَوْا فَـفَـاتُونا فـإن كـان قَـتْلُه ... لواحـدة منهـا يَـحِلُّ لكم دَمى(٢)
وإلاَّ فـأَعظمْ بالذى قـد أتيـتُمُ ... ومَنْ يأتِ مـا لم يَرْضَـهُ اللهُ يَظْلمِ
فـلا يَهْنِـئَنَّ الشـامـتين مُـصـابُهُ ... فحَظُّهُمُ مَن قـتله حَرْبُ جُرْهُمِ(٣)

* * *

وَأنشدنى الرِّياشىُّ عن الأصمعىِّ:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبى:]

لعَـمْـرُ أبيـكَ فـلا تَذْهَـلَنْ ... لقـد ذَهَبَ الخـيُـرِ إلا قليـلا
وقـد فـتَن الناسُ فـى دِينـهمْ ... وخلَّى ابنُ عَـفَّـانَ سـرًّا طويلا

---

(١) ر: «التجوبى» صوابه فى الأصل. س. منسوب إلى تجيب. قبيلة.

(٢) ففاتونا، فحاكمونا، وفى ر: «فحل»، على الفعل الماضى، وما أثبته عن الأصل.

(٣) نقل المرصفى عن الطبرى أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق.

ومثله قول الراعى:

قتَلوا ابنَ عفَّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... ودَعَا فلم أَرَ مثلَهُ مَخْذولا
فتفرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذاكَ عَصَاهُمْ ... شِقَقًا وأصبح سَيْفُهمْ مسلولاَ[1]

قوله: «مُحْرِمًا» يريد فى الشهرِ الحرام، وكان قُتلَ فى أَيَّام التشريق. رحمه الله.

[لأيمن بن خريم يرثيه أيضا]

وقال أَيْمن بن خُرَيْم بن فاتك الأسَدِىُّ. وكانت له صحبةٌ:

تفَاقدَ الذَّابحُو عثمان ضاحيَةً[2] ... أىَّ قتيل حَرام ذُبِّحوا ذَبَحوا
ضَحَّوْا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم ... يخْشَوْا على مطمح الكفِّ الذى طَمَحُوا
فأىَّ سُنَّة جَوْر سنَّ أوَّلُهمْ ... وبابِ جَوْرٍ على سُلْطانهم فَتَحُوا
ماذا أرادوا أَضلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... منْ سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزَّاكى الَّذى سَفَحُوا
فاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمِينَ على ... تمام ظِمْءٍ كما يُسْتَوْرَدُ النَّضَحَ[3]
إنَّ الذين تَوَلَّوا قتله سَفَهًا ... لُقُّوا[4] أَثامًا وخُسْرَانًا فما رَبِحُوا

الظِّمْءُ: ما بين الشَّرْبَتَيْن، وقولُه: «ضَحَّوا بعثمان»: إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى، قال زهيرٌ:

ضَحَّوْا قليلا على كُثْبَانِ أَسْنُمَةٍ ... وَمِنهم بالقَسُومِيَّاتِ معتُرَكِ[5]

أى نزلوه ضُحًى. ويقال: بيَّتوا ذاك. أى فعلوه ليلا. قال الله جل وعز: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾[6]. وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) شققا: جمع شقة، بالكسر، وهى الشطبة.

(٢) ضاحية: علانية.

(٣) استوردتهم: من استورد الماء؛ أى ورده، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها.

(٤) رواية الديوان ١٦٥:

* وعَرَّسُوا ساعة فى كُثْبِ أَسْنُمَةَ *

وما أورده المبرد، هى رواية الأصمعى أسنمة: موضع بعَينه. كذلك القسوميات، مواضع، والمعترك المزدحم.

(٦) سورة النساء ١٠٨ .

أَتَوْنى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا — وكانوا أَتَوْنى بأَمر نُكَرْ

لأُنْكِحَ أَيِّمَهُم مُنْذِرًا — وهل يُنكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لِحُرّ!

وقوله:

* من سَفْح ذاكَ الدمِ الزاكى الذى سَفَحُوا *

أى فى صَبِّ ذاك الدم، يقال: سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إلاَّ أَنْ يكونَ مَيْتة أَوْ دمًا مَسْفُوحًا﴾(١).

وقوله: «على تَمام ظِمْءِ» فهذا مَثَلٌ، وأَصلُ الظِّمْءِ: أن تشربَ الإبل يومًا ثم تُغَبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء، فما بين الشَّرْبتين ظِمْءٌ، فيكونُ الظِّمْءُ يومين، فيقال له: الرِّبْعُ، كما يقال فى الحُمَّى، لأنهم يَعْتَدُّونَ بَيْومَىْ شَرْبها. والْخِمْسُ: أَن تَظْمأَ ثلاثةَ أَيامٍ، والنَّضَحُ: الحوضُ.

والأثام: الهلاَكُ، قال الله عزَّ ذكرُه: ﴿وَمَن يفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أثامًا﴾ ثم فسَّرَ فقال: ﴿يضاعَفْ لَه الْعذابُ يوْمَ الْقيَامَة ويَخْلُدْ فيه مُهانًا﴾(٢). فجزم «يُضَاعفْ» لأنه بدَلٌ من قوله: «يلْقَ أَثامًا» إذْ كانَ إيَّاه فى المعنَى، وأَنشدنى أبو عبيدة:

جزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ إذ لَحِقْنَا — عُقُوقًا والعُقُوق من الأثام

وقوله: «على مطْمَح الكَفِّ» يقول: على رَفْعها وإبعادِها، يقال: طَمَحَ بَصَرُه، إذا ارتفع فَأَبْعَدَ النَّظرَ، قال امرؤ القيس:

لقد طَمَحَ الطمَّاحُ من بُعْدِ أَرْضِهِ — لِيُلْبِسَنى من دائه مَا تَلَبَّسَا

---

(١) سورة الأنعام ١٤٥ .

(٢) سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

باب

فى التَّشْبيه

قال أبو العباس: وهذا بابٌ طريفٌ نَصل به هذا البابَ الجامعَ الذى ذكرناه وهو بعضُ ما مرَّ للعرب من التشبيه المُصيب، وللمحدثين[1] بعدهم.

* * *

فأَحْسنُ ما جاء بإجماع الرُّواةِ ـ: ما مَرَّ لامرئ القيس فى كلامٍ مختصر، أى بيتٍ واحدٍ، من تشبيه شيء فى حالتين مختلفتين[2] بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كأَن قلوب الطَّيرِ رَطبًا ويابسًا — لَدى وَكْرِهَا العُنابُ والْحَشفُ البَالى[3]

فهذا مفهومُ المعنَى، فإن اعترضَ معترضٌ فقال: فهلاَّ فَصَلَ فقال: كأنه رطبًا الْعُنابُ وكأنه يابسا الحشَفُ! قيل له: العربىُّ الفصيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمى بالقولِ مفهومًا، ويَرَى ما بعد ذلك من التكرير عيًّا، قال الله جل وعزَّ، وله المثلُ الأعلى: ﴿**ومنْ رَحْمَته جَعَل لكُم الليلَ والنَّهَارَ لتَسكُنُوا فيه ولَتبْتغُوا منْ فَضْله**﴾[4]، علمًا بأن المخاطَبينَ يعلمون[5] وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب.

* * *

ومنْ تمثيلِ امرئ القيس العجيبِ قوله:

كأَنَّ عُيونَ الوَحْش حَولَ خِبَائِنَا — وأَرْحُلِنَا الجَزْعُ الذى لم يثقَّبِ[6]

ومن ذلك قوله:

إذا ما الثَّريَّا فى السماءِ تعرَّضَتْ — تَعرُّضَ أَثناءِ الْوِشَاحِ المفصَّلِ[7]

---

(١) ر: «والمحدثين»: وما أثبته عن الأصل، س. (٢) ساقطة من ر.

(٣) الحشف البالى: ردىء النمر؛ قال شارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها».

(٤) سورة القصص ٢٣. (٥) ر: «يعرفون».

(٦) الجزع: خرز فيه بياض وسواد. شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخرز. وجعله غير مثقب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.

(٧) تعرضت: أى أرتك عرضها. أى ناحيتها، والوشاح المفصل: الذى جعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة. والأثناء: جمع ثنى.

وقد أَكْثَرُوا فى الثُّرَيَّا[1]. فلم يأتُوا بمن يقـاربُ هذا المعنى، ولا بما يقـاربُ سُهولةَ هذه الألفاظ.

* * *

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغة:

فـإنَّكَ كـالليل الَّذِى هُوَ مُـدْرِكى وإنْ خلْتُ أَنَّ المُـنْتَـأَى عـنك واسِعُ

وقوله:

خَطاطيفُ حُجْـنٌ فى حِبَالٍ مَـتينةٍ تمُـدُّ بـهـــا أيـدٍ إلىَّ نَـوَازِعُ[2]

وقوله:

فـإنـكَ شـمسٌ والملوكُ كـواكبٌ إذا طَلَعَتْ لـم يَبْـدُ منهنَّ كـوكبُ

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّة:

ورَدْتُ اعْـتِـسَافًـا والثـريَّا كـأنهـا على قِـمَّةِ الرأس ابنُ مَاءِ مُـحَلِّقِ[3]

وقوله:

فـجـاءَت بنَسْجِ العَنكبـوتِ كـأنَّه على عـصَوَيْهـا سَابِرِىٌّ مُشَبْـرَقِ[4]

وتأويله[5] أنه يَصِفُ مـاءً قديمًا لا عَهْـدَ له بالورَّادِ[6]. فقد اصـفرَّ واسْوَدَّ، فقال:

وماء قديم العـهد بالناس[7] آجن كأن الدَّبا مـاء الغضـا فيـه تبصق[8]

---

(١) ر: «وقد أكثر الناس فى الثريا».

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حديدة معقوفة الرأس. ونوازع: جواذب، يقول: ولك خطاطيف أُجَرُّ بها إليك. فليس عنك مهرب.

(٣) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلق على مرتفع (من شرح ديوانه ٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوبا الدلو، والعرقويان: خشبتان.

(٥) ر: «وتأويل هذا».

(٦) ر: «بالواردة».

(٧) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبته هو رواية الديوان والأصل: س.

(٨) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا. الجراد. والغضا: شجر له هدب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ فى وصف الماء الآجنِ، حيث يقول:

إذا وَرَدَتْ ماءً كَأَنَّ جِمَامَهُ من الأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعًا وصَبِيبُ

فقال ذو الرُّمَّة فى وصف هذا الماء، فَقَرنَ بتغيُّره بُعْدَ مَطْلبه. فقال:

فأَدْلَى غُلاَمِى دَلْوَهُ يَبْتَغى بها شِفاءَ الصَّدَى واللَّيلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ أَنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيه، فجاءَتْ - يعنى الدَّلْوَ - بنَسجِ العنكبوت. كأَنه عَلَى عَصَوَيْها سَابِرِىٌّ مُشَبْرَقٌ. والسَّابِرِى: الرقَّيق مِن الثياب والدروع[1]. والمشبرق: الممزق. وأنشد أبو زيد:

لهَوْنا بسرْبالِ الشَّبَابِ مُلاوَةً[2] فأَصبحَ سِربُالُ الشَّباب شبارقًا

* * *

ومن التشبه العجيب قولُ ذى الرُّمَّة فى صفة الظليم:

شَخْتُ الجرازة مِثْلُ البيتِ سائِرُهُ مِن المسوح خِدَبٌ شَوقَبٌ خَشِبُ

الشَّخْتُ: الضَّئِيلُ اليابسُ الضَعِيفُ. الجُزارةُ القوائم. وقوله: «مِثْلِ البيت سائِرْه مِن الْمسوحِ». يعنى إذا مدَّ جنَاحَيْه. وإنما أخذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ:

صَعْلُ كأنَّ جَنَاحَيْه وجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أَطافتْ به خَرْقاءُ مَهْجُومُ

الصَّعْلُ: الصغيرُ الرأسِ. الخَرْقاءُ التى لا تُحِسن شيئًا. فهى تُفْسِدُ ما عرَضتْ له. قال الحُطَيْئَة:

هُم صَنَعُوا لِجَارِهِمُ وليستْ يَدُ الخرقاءِ مِثلَ يَدِ الصَّنَاعِ

والمهجومُ: المهدُوم، وفى الخبر أنه لما قُتِل بِسْطامُ بن قَيْس لم يبْقَ بيتٌ فى بكر بن وَائِلٍ إلاَ هُجِم، أى هُدِمَ، والْخِدَبُّ: الضَّخمُ. والشَّوقَبُ الطويلُ. والخِشْبُ: الذى ليس بلَينٌ على مَنْ نزل به.

* * *

ومن التشبيه الْمصِيبِ قوله فى صفةِ رَوْضَةٍ:

---

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد ببيت ذى الرمة.

(٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَـرْحَـاءُ حَوَّاءُ أَشْـرَاطِيَّـةٌ وَكَـفَتْ فيهـا الذِّهابُ وَحَـفَتْـهـا البرَاعِـيمُ

قَرْحَاءُ: يريدُ الأنْواءَ. وقوله: «حَوَّاءُ» يقول: تضرب إلى السَّوَاد لشدة ريها وخُضْرَتِها، وكـذلك قال المفسرون[1] فى قـول الله جلَّ وعـزَّ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2]. تَضربان إلى الدهمة، لشدة خُضْرَتِهمَا وريِّهما.

وقوله: «أشْـراطِيَّةٌ» ليس مما قَصَـدْنَا له، ولكنه ممَّا يَجْرِى فنفسّـره. ومعناه: أنَّهَا مُطِرَتْ بنْوءِ الشَّرَطَيْنِ[3].

وحدثنى الزِّيَادِىُّ قال: سـمعتُ الأصمعىَّ ـ وسُئِل بحَضْـرَتى، أو سألتُه عن قوله: «أشراطيـةٌ» ـ فقال: باسْتـه واسْت عِرْسه! وذاك أَنَّ الأصمعـىَّ كان لا يُنْشدُ ولا يُفَسِّـر ما كـان فيـه ذِكْرُ الأنْوَاء، لقَـوْل رسول الله ﷺ: «إذَا ذُكِرَت الـنجُومُ فأَمْسكُوا». لأنَّ الْخَـبَر فى هذا بعينه. «مُطِرْنَا بنَوْء كذا وكذا»، وكـان لا يُفَسِّرُ ولا يُنْشدُ شعراً فيـه هجاءٌ. وكان لا يفسِّرُ شعرًا يوافقُ تفسيـرُه شيئًا من القرآنِ، هكذا يقولُ أصحابه، وسُئِلَ عن قول الشَّماخِ:

طَوَى ظِمْأَها فى بَيْضَةِ القيظ[4] بعدَمَا جَـرَى فى عِنَانِ الشِّعْـرَيَيْنَ الأمَاعِـز[5]

فَأَبَى أن يفسرَ «فى عنانِ الشِّعْرَيَيْنِ».

قوله[6]: «الذِّهَابُ[7]» فهى الأمْطَـارُ اللَّيِّنَةُ الدّائمـةُ، ويقالُ: إنها أَنْجَعُ المطرِ فى النَّبْت، وكذلك العهادُ، وأَنْشَدَ الأصمعىُّ:

أمـيـرٌ عَمَّ بالنَّعْـمَـاء حـتى كَـأَنَّ الأرْضَ جَلَّـلَهـا العِـهَاد[8]

والبَرَاعِيمُ؛ واحدها[9] بُرْعـومَة، وهى أَكمـةُ الرَّوْض قبلَ أَن تَـتَفَتَّقَ. يـقال

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».

(٢) سورة الرحمن ٦٤ .

(٣) الشرطان: مثنى شرَط بالتحريك وهى من الحمل قرناه.

(٤) ر: «بيضة الصيف».

(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئهـا فى السير. والظمء: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها الماء، وبيضة القيظ: شدته. وقوله: «جرى فى عنان الشعريين الأماعز» جعل للشعريين الصور والغميصاء ـ وهما كوكبان يطلعان فى القيظ ـ عناناه طرفـاه محيطان برأس الأماعز، وهى الأمكنة الغليظة (من رغبة الآمل).

(٦) ر: «وأما قوله».

(٧) الذهاب: جمع ذهبة.

(٨) جمع عهدة.

(٩) ر: «واحدتها».

لواحدها: كمٌّ[1]. وكمامٌ، فمن قال: كـمَامٌ، فجمعه أكِمَّةٌ، مـثلُ صمامٍ وأصِمَّة، وزمامٍ وأزِمَّة، ومن قال: كِمٌّ، فالجماعَ أكمامٌ، قال الله عزَّ وَجلَّ: ﴿**وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ**﴾[2].

* * *

ومن ذلك قولُ الآخَرِ، أَحسِبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر:

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب]:

كَـــأنّ القلبَ لَيْلَـةَ قـيلَ يُغْـــدَى ... بلَـيْلَى الـعـــــامــــرِيَّـة أو يُرَاحُ[3]
قَطاةٌ عَـــزَّهـا شَـــرَكٌ فــبــاتَتْ ... تجـــــاذبـه وقــــــد عَـلقَ الجـنَاحُ
[لهــا فَـرْخَـانِ قَـد غَلقـا بوكْـرٍ ... فَـعُـشُّـهُـمـا تُـصَـفِّـقـهُ الرِّياحُ[4]
فــلا بــالليلِ نَـالتْ مَـــا تُـرَجِّى ... ولا بالصـبحِ كـــان لهــا بَراحُ][5]

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانىُّ[6] للحَجَّاجِ:

هَلا بَرَزْتَ إلى غَـــزَالةَ فى الوَغَى ... بل كَـــان قَلْـبُك فى جَنَاحَـىْ طائرِ

فهذا يجوز أن يكونَ فى الخفَقانِ وفى الذهابِ ألبَتَةَ.

* * *

ومن التشبيه المحمودِ قول الشاعرِ:

طَلـيقُ الله لـم يَمْـنُنْ عـليـــــه ... أبو داوُدَ وابــنُ أبى كــــثـــــيـــرِ
ولا الحـجَّـاجُ عَـيْنَىْ بِنْتِ مـاءٍ[7] ... تقَلِّبُ طَرْفَـهـا حَـذَرَ الصُّـقـورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور.
(٢) سورة الرحمن ١١ .
(٣) ر: «تعالجه»، وفى نهاية الأبيات. و«يروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب».
(٤) غلقا: من الغلق. وهو الحبس.
(٥) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر .
(٦) هو عمران بن حطان.
(٧) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

ونَصَبَ «عَيْنَىْ بنت ماء» على الذمّ، وتأويلُه: إنه إذا قال: «جاءنى عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يقوله[1] إلا وقد عرفه بالفسق والخبث[2]. فنَصْبه «أعنى» وما أشبهه من الأفعال، نحو «أذْكُر»، وهذا أبلغُ فى الذمّ، أن يُقيمَ الصفةَ مقامَ الاسم، وكذلك المدحُ. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿والْمقيمينَ الصَّلاَةَ﴾ بعد قوله: ﴿لكنِ الرَّاسخونَ فى العلْمِ منْهُمْ﴾[3]. إنما هو على هذا. ومَنْ زعم أنه أرادَ: «ومنَ المقيمينَ الصَّلاَةَ» فمخطئٌ فى قول البصريين، لأنهم لا يَعْطفون الظاهر على المضمرِ المخْفُوض، ومَن أجازه من غيرهم فعلى قبحٍ، كالضرورَة. والقرآنُ إنما يحمل على أشرف المذاهب. وقرأ حمزَة: ﴿الَّذى تَسَاءلُونَ به والأرْحَامِ﴾[4]. وهذا مما لا يجوزُ عندنا إلا أن يُضطَرَّ إليه شاعرٌ، كما قال:

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونا وتشْتمُنَا   فاذْهَب فما بِك والأيَّام من عَجَبِ

وقرأ عيسى بن عُمر: ﴿وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحطَبِ﴾[5]. أرادَ: وامرأتُهُ في جِيدِهَا حَبْلٌ منْ مَسَد، فنصبَ «حَمَّالَةَ» على الذَّم. ومَن قالَ إنَّ «امرأتُهُ» مرتفعةٌ بقوله: ﴿سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَب﴾ : فهو يجوزُ. وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المظْهَرُ المرفوعُ على المضمر حتى تؤكِّدَ، نحو: ﴿اذْهَبْ أنْتَ وَربُّكَ فَقَاتلاَ﴾[6]. و: ﴿اسكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[7]. فأمَّا قولُه: ﴿لوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنا وَلا آبَاؤُنَا﴾[8]. فإنه لمَّا طَالَ الكلامُ وزيدتْ[9] فيه «لا» احتَملَ الحذفَ وهذا على قبحه جائزٌ فى الكلام[10]. أعنى: ذهبتُ وزيدٌ، وأَذْهَبُ وعمرو، قال جَرير:

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ من سَفَاهَةِ رَأْيِهِ   مَا لم يكُنْ وأبٌ له لينَالا

وقال ابنُ أَبى ربيعة :

قلت إذْ أقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى   كَنِعَاجِ المَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلا[11]

---

(١) ر: «يقول» .
(٢) ر: «بالخبث والفسق».
(٣) سورة النساء ١٦٢ .
(٤) سورة النساء ١ .
(٥) سورة المسد ٤ .
(٦) سورة المائدة ٢١ .
(٧) سورة البقرة ٣٥ .
(٨) سورة الأنعام ١٤٨ .
(٩) ر: «وزادت»، وما أثبته عن الأصل، س .
(١٠) لفظ «فى الكلام» ساقط من ر .
(١١) الملا: الفلاة .

ومما يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغةِ الذُّبْيانِّى[١]:

لَعَمْرى وما عَمْرى علىَّ بهَيِّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطَلا علىَّ الأقارُعُ[١]

أقَارِعُ عَوفٍ لا أُحَاوِلُ غيرها ... وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغى مَنْ تُجادِعُ[٢]

وقال عُرْوَةَ بن الوَرْدِ العَبْسىُّ:

سقَوْنى الخمرَ ثم تكَنَّفُونى ... عُداةَ اللّهِ مِن كَذِبٍ وزورِ

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائىِّ رفعًا ونصبًا:

إن كنْتِ كارهة مَعِيشَتنا ... هَاتَا فَحُلِّى فى بَنى بَدْرِ

الضاربين، لَدَى أعِنَّتِهم ... والطاعِنينَ وخَيْلُهُمْ تَجْرِى

وإنما خَفَضُوهما على النعت، وربّما رفَعوهما على القطعِ والابتداء.

وكذلك قوْلُ الْخِرْنقِ بنتِ هَفَّانَ الْقَيْسية، من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَب:

لا يَبْعَدَنْ قَومِى الذين هُمُ ... سُمُّ العُداة وآفَةُ الْجُزْرِ

النَّازِلِينَ بكلِّ مُعْتَرَكِ ... والطَّيِّبِينَ معاقدَ الأزْرِ

وكل ما كان مِن هذا فعَلى هذا الوجه[٤].

وإن لم يُردْ مَدْحًا ولا ذَمًّا قد استَقَرَّ له فَوَجْهُهُ النعتُ. وقرأَ بعضُ القرَّاءِ: ﴿فتَبَارَكَ اللهُ أحْسَنَ الْخَالقِينَ﴾[٥].

وأكثرُ ما تُنشِد العربُ بيتَ ذى الرُّمَّةِ نصبًا، لأنَّه لمَّا ذكر ما يَحِنُّ إليه ويصبُو إلى قُرْبه أَشَادَ بذكْر ما قد كان يَبْغِى، فقال:

دِيَارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنَا ... ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولاَ عَربُ

وفى هذه القصيدة من التشبيهِ المُصيبِ قولُه:

---

(١) ساقط من ر.

(٢) البطل: ضد الحق. والأقارع: هم بنو قريع بن عوف بن كعب.

(٣) تجادع: تشاتم، وفى ر: «تخادع».

(٤) كذا فى الأصل. س، وفى ر: «فعلى هذا أكثر إنشاده».

(٥) سورة المؤمنون ١٤.

بُيَضَاءُ فى دَعَجٍ، صَفْرَاءُ فى نَعَج كأنها فِضَّة قد مَسَّها ذَهَبُ[1]

وفيها من التشبيه المصيب قولُه[2] :

تَشْكُو الخِشَاش ومَجْرَى النَّسْعَتَيْن كما أَنَّ المريضُ إلى عُوَّادِهِ الوصِبُ[3]

والْخشاشُ[4]: ما كان فى عَظْمِ الأَنْف، وما كَانَ فى المَارِن فهو بُرَةٌ، يقالُ: أَبْريْت الناقَةَ ، فهى مُبْرَاةٌ، قال الشَّمَاخُ - وهذا من التشبيهِ العجيبِ:

فَقَرَّبْتُ سُبْرَاة تخَالُ ضُلُوعَها من الماسِخياتِ القِسِىَّ المؤطّرا[5]

ومَاسِخة، من نصرِ[6] بن الأزْدِ، وإليهم تنسب[7] القِسِىُّ الماسِخِيَّة.

وأحسنُ ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها قولُ الراعى:

وكأنما انتَطَحَتْ على أَثْبَاجِها فُدرٌ بِشَابَةَ قد يَمَمْنَ وُعُولا[8]

الفَادِرُ: المسنُّ من الوُعول.

وذو الرُّمَّة أخذ ذلك من المُثَقَّب العبدىِّ، قال المثقّب[9]:

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ

* * *

ومن التشبيه المستحسنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ:

كأَنَّ إبريقهم ظَبْىٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بسبا الكتَّانِ مَلْثُومُ[10]

فهذا حسن جدا.

* * *

(1) الدعج: سواد العين. والنعج: البياض الخالص. ورواية الديوان ٥ : «كحلاء فى برج»؛ والبرج: سعة فى بياض العين.

(2) ساقطة من ر .

(3) النسعة والنسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره، وأن من الأنين.

(4) ر : «الخشاش» بحذف الواو .

(5) أصل الإطر: عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه. وفى ر : «الموترا»، والموتر: المشدود.

(6) ر: «نصر من الأزد».

(7) ر: «نسبت».

(8) الأثباج: جمع ثبج، وهو معظم الظهر. وفيه محانى الضلوع. وشابة: جبل بعينه. يَمَمْنَ: قصدن، وخفف فى البيت للشعر.

(9) ر: «أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى».

(10) الشرف: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله. مفدم: مغطى بالفدام، وهو من وصف الإبريق. وسبا الكتان، يريد سبائب الكتان؛ والسبائب: جمع سبيبة؛ وهى شقة بيضاء. ملثوم؛ من اللثام؛ وهو ما يوضع على الفم؛ واستعاره للإبريق.

وقال أبـو الهِنْدِى، وهو عبـدُ المؤمنِ بن عبـد القُدُّوسِ بن شَـبَثٍ بن رِبْعِىٍّ الرِّيَاحِىُّ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ. وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يربوعٍ بالكوفةِ:

مُـفَـدَّمَـةٌ قَـزًّا كـأنّ رِقـابَـهـا ... رِقـابُ بَنَاتِ الماء أَفـزعَـهـا الرَّعْـدُ

[من أخبار أبى الهندى]

وكان أبو الهندىّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ، على كرم مَنْصِبِه، وشرف أسْرَتِه، حتى كاد يُبْطِلُه.

وكان عَجِيبَ الجوابِ، فجلس إليه رجلٌ مَـرَّةً يُعْرَفُ ببرْزِينِ المناقِـيرِ، وكان أَبوه صُلِبَ فى خرَابة، والخِـرَابة عندهم: سَرَقُ الإبل خاصَّة. فـأقبلَ يُعَرِّضُ لأبى الهِنْدِىّ بالشراب، فلما أكْثَرَ عليه قال أبو الهندى: أحدهم يَرَى القَذاةَ فى عين أخيه ولا يَرَى الجِذْعَ فى إست أبيه.

وفى الخِرَابَة يقول الراجزُ:

والخَـاربُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخَـارِبا ... وتلك قُـرْبَى مِـثْلَ أَنْ تُنَاسِـبَـا

أن تُشْبِهَ الضرائِبُ الضَّرَائِبَا[1]

وقال الآخر:

إيتِ الطريـقَ واجْـتَنِبْ أَرْمَـامَـا ... إنَّ بهـا أكْـتـلَ أَو رِزامـا[2]

خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا[3]

[زاد أبو الحسن: * لم يَتْرُكا لِمُسْلِم طَعَامَا *]

نَصَبَ «خُوَيْرِبَيْن» علـى «أعْنِى» لا يكون غيرُ ذلك، لأنه إنما أَثْبَتَ أحـدَهما بقوله: «أو».

---

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهى السجية والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكتل ورزام: لصان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّار الليثىُّ بأبى الهندى وهو يَميلُ سُكْرًا، فقال له: أَفْسَدْتَ شرفَك! فقال أبو الهندىِّ: لو لم أفْسِد شرفى لم تكنْ أنتَ والىَ خراسانَ.

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّار مرة، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيت الله ومَحَلِّ حرمه[1] فَدَعْ لى الشرابَ حتى يَنْفِر الناسُ، واحْتَكِمْ علىَّ، فَفَعَلَ. فلما كان يومُ النّفرِ أخذ الشرابَ فوضَعَه بين يديه. وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

رَضِيع مدامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُه ... فَظل عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَدِيرَا علىَّ الكأْسَ إنى فقَدْتُها ... كما فَقَدَ المفْطُومُ دَرَّ المَرَاضِعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَلِيد الكنانىِّ، وكان أبو الوليد ناسكًا فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنه، فَهَرَبا منه. وقال أبو الهندى:

قلْ للسَّرِىِّ أَبى قيسٍ: أَتُوعِدُنا ... ودارنا أصبحتْ من داركم صَدَدَا[2]
أبا الوَلِيد أَمَا والله لَو عَمَلَتْ ... فيكَ الشمولُ لما حَرَّمْتَها أبدا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها ... ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدَا

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه، وربما عَرَضَ الشىء والمقصودُ غيره، فيذكر للفائدةِ تقع فيه، ثم يُعادُ إلى أصلِ الباب.

قال أبو العباس: وقال عُرْوَةُ بن حزامٍ العُذْرىُّ:

كأنَّ قطاةً عُلِّقَتْ بجناحِها ... على كَبِدِى من شِدَّةِ الخفَقَانِ

ويقال: إن المرأةَ إذا كانت مُبْغضَةً لزوجها، فآية ذلك أن تكون عند قرْبه منها مُرْتَدَّةَ النَّظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراء[3]، وإذا كانت محبَّة له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه، وإذا نَهَضَ نظرت من وَرائه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها، فقال رجلٌ: أردتُ أن أعلمَ كيف حالى عند امرأتى، فالتفتُّ وقد نهَضْتُ من بين يديها فإذا هى تُكَلِّح[4] فى قفاىَ.

(١) ر: «ومحمل «وفوده».
(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أى قريبة.
(٣) ر: «من ورائه»؛ وما أثبته عن الأصل.
(٤) التكليح: التكشير فى عبوس.

وقال الفَرَزْدَقُ في هذا المعنى، والنَّوَارُ تخاصمهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوام:

فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنّها ... مُولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قِيلُها
إذا جَلَسَت عند الإمامِ كأنما[1] ... تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِها تَسْتَحِيلُها

قوله: «مُولَّعَة». يقول: كأنها[2] مُولَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرّة هاهنا. وقوله: «ترى رُفقةً يقال: رِفْقَةٌ ورُفَقةٌ. ومعنى «تَسْتَحِيلُها» تَتَبَيَّنُ حالاتِها، قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

إذا خرجت تَسْتَحِيلُ الشُّخُوص[3] ... من الخوفِ تَسْمَعُ ما لا ترَى[4]

* * *

ومن عجيب التشبيهِ قولُ جريرٍ مما يُكْنَى عن ذكره:

ترَى الصِّبْيَانَ عاكِفةً عليها ... كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شَابا[5]

ويقالُ: إن الفرزدقَ حين أنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عنفقته توَقُّعا لعَجُزِ البيتِ.

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جرير في صفة[6] الخيل:

يَشْتَفْنَ للنَّظرِ البَعِيد كأنما ... إرْنانُها ببَوَائِنِ الأشْطَانِ

قوله: «يَشْتَفْنَ» و«يَتَشَوَّفنَ» في معنى واحد. وقوله: «كأنما إرْنَانُها بَبَوائن الأشْطَانِ»، أراد شدة صَهِيلها. يقول: كأنما يَصهَلْنَ في آبارٍ واسعةٍ تَبِينُ أشطانُهَا عنَ نواحيها.

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجَعْدِيِّ:

وَيصْهَلُ في مثلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ ... صَهِيلا يُبَيِّن للمعْرِب

---

(١) ر: «كأنها»؛ وما أثبته عن الأصل؛ س.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) كذا في الأصل س؛ وفي ر: «مروعة تستحيل الشخوص» وهي رواية الديوان ٤٧ .
(٤) وفي زيادات طبعة المرصفي: قوله: «مروعة» يقول: كل شيء يدنيني من الظفر بها يروعها وينفرها.
(٥) العنفقة: ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر.
(٦) قال المرصفي: «هذا خطأ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بني تغلب، وهو في ديوانه ٨٨٢ .

المُعْرِب: العالمُ بالخيلِ العِرَاب.

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرة:

غـادَرْن نَضْلَةَ فـى مَـعْـرَكٍ يَجُـرُّ الأسِنَّـةَ كـالمُـحْـتَطِبْ[1]

يقول: طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه، فَظَلَّ يَجُرُّها، كأنه حاملُ حطبٍ.

* * *

ومن التبشبيه المتجاوز المُفْرِط قولُ الخَنْسَاء:

وإنَّ صَخْـرًا لتَـأْتَمُّ الهُـدَاةُ به كـأنه عَلَـمٌ فى رأسِـه نارُ

فَجَعَلت المهتَدِى يأتَمُّ به، وجعلتْه كنار فى رأسِ عَلَمٍ، والعَلم: الجبلُ، قال جريرٌ:

* إذا قَطَعْن عَلَمًا بَدا عَلَمْ *

وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وله الجَوَار المنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلام﴾[2].

ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ العَجَّاج:

* تَقَضِّىَ البازِى إذا البَازِى كَسَرْ *

والتَّقَضِّى: الانقضاض. وإنما أراد سرعتَها، والعربُ تُبْدلُ كَثيرًا الياءَ من أحد التَّضْعيفَيْن، فيقولون: تَظَنَّيْتُ والأصلُ: «تظنَّنْتُ»، لأنه «تَفَعَّلْتُ» من الظَّنِّ، وكذلكَ: تَقَضَّيْتُ؛ من الانقضاض، أى تقَضَّضْتُ، وكذلك تسَرَّيْتُ، ومثل هذا كثيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المسْتَطْرَف قولُ بَشَّار:

كـأنَّ فُـؤادَهُ كُـرَةٌ تَنَزَّى حِـذارَ البَيْن إنْ نَفَعَ الْحِذارُ

---

(١) الضمير فى «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسى؛ قال المرصفى.

(٢) سورة الرحمن ٢٤ .

[يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ ... مخَافَةَ أن يكونَ به السِّرَارُ][1]

وفى هذه القصيدة:

جَفَتْ عينى عن التَّغْميض حتى ... كأنَّ جُفُونَها عنها قِصَارُ
أقولُ ولَيْلَتى تَزْدادُ طولا ! ... أما لِلَّيلِ بعدَهُمُ نَهَارُ

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر:

فإذا ما لَمَسْتَها فَهَباءٌ ... تَمنعُ اللَّمْسَ ما يُبيحُ الْعُيونَا
درسَ الدَّهْرُ ما تَجَسَّمَ منها ... وتَبَقَّى لُبَابَهَا المكنونا
فهىَ بِكْرٌ كأنها كلُّ شىء ... يتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أن يكونَا
فى كُؤوسٍ كأنهنَّ نجومٌ ... جارياتٌ بُرُوجُها أيدينَا
طالعات مع السُّقاةِ علينا ... فإذا ما غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

فهذه قطعة من التشبيهِ غايةٌ، على سُخَفِ كلامِ المُحْدَثِينَ.

* * *

وقال الحنفىُّ: وهو إسحاق بن خَلَف ـ فى صفة السيف:

أَلْقى بجانب خَصْرِه ... أَمْضَى منَ الأجَلِ المتاحِ[2]
وكأنما دَرَّ الهَبا ... ءَ عليه أنفاسُ الرِّياح

* * *

وقال مُسْلم بن الوليد الأنصارىُّ فى مدحِهِ يَزيد بن مزْيَد:

يَمْضى المَنايَا كما تمضى أسنَّتُه ... كأن فى سَرْجِهِ بَدرًا وضِرغامًا[3]

* * *

(1) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستتر فيها القمر ويختفى.

(2) ر: «فكأنما» وما أثبته عن الأصل.

(3) ر: «تمضى»، وما أثبته عن الأصل.

وقال دِعْبِلُ بن عليٍّ في صفة المصلوب[1]:

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ ... تِسْعِين منهمْ صُلِبوا في خَطِّ[2]

من كلِّ عالٍ جِذْعُه بالشطِّ ... كأنه في جِذْعِه المشتطّ[3]

أخو نُعاسٍ جَدَّ في التَّمَطِّي ... قد خامَرَ النَّوْمَ ولم يَغِطِّ[4]

* * *

وقال يَزيدُ المُهَلَّبيُّ في مثله[5]:

قامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بساقِهِ ... آلفَ مَثْواهُ على فِراقِهِ

* كأنما يضحك في أشداقه *

أراد بياضَ الشريط في فيه.

* * *

وقال أعرابيٌّ في صفةِ مصلوبٍ، وهو الأخْطَل:

[قال أبو الحسن: الأخطلُ الذى يعنى رجلٌ مُحْدَثٌ من أهل البصرة، ويعرفُ بالأخَيْطِلِ، ويُلَقبُ بِبَرْقوقَا، وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به].

كأنَّه عاشقٌ قد مَدّ صفْحَتَه ... يومَ الفِراق إلى توديع مُرْتَحِلِ

أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوثَته ... مُواصِلٌ لِتَمَطِّيه من الكَسَلِ[6]

[وقال مسلمُ بن الوَليدِ:

وضعته حيث ترتاب الرياح به ... وتحسد الطير فيه أضبع البلد][7]

وقال حَبيبُ بن أوْس [قال أبو الحسن: يعنى به إسحاق بن إبراهيمَ الطاهِرِيَّ]:

---

(١) ر: «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.

(٣) كذا في الأصل، ويريد بالمشتط الطويل، وفي ر: «المشتط».

(٤) الغطيط: صوت نفس النائم.

(٥) في زيادات ر: «وقال آخر في صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبي»، وما أثبته من الأصل.

(٦) اللوثة: الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قــد قَلَّصتْ شَفَــتاهُ من حَــفيظتــه ... فَخيلَ من شدَّة التقليص مُبْتَسما(١)

وقال أيضًا فى رجل يَنْسُبُه إلى الدّعْوَة(٢):

وتَنَقُّلٌ من مَـعْـشَـرٍ فى مَـعْـشَـرٍ ... فـكـأنَّ أمَّـكَ أَوْ أبـاكَ الـزِّئـبـقُ

يقال: زئْبَقٌ، وزئبرٌ، مهموزان، ودرهمٌ مُزأبَقٌ، وثوبٌ مُزأبَرٌ(٣).

* * *

ومن إفراط التشبيه قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلِىِّ يصفُ سرعةَ إبله فى العَدْو:

كــأنَّهُم يَسْـــعَـــوْنَ فى إثْــر طائر ... خَفيفِ المَشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يُبــادِرُ جُنْـحَ الليلِ فـهـو مـــهـابِذٌ ... يحُثُّ الجناحَ بالتـبـسُّطِ والـقـبْضِ

وقــال أوْسُ بن حَــجَر [قــال أبو الحــسن: أهلُ الكوفـةِ يَرَوْنهــا لعَبـيـدِ بن الأبْرصِ]:

كأنَّ ريقَـتَهَا بعــدَ الكرَى اغْتـبَقَتْ ... من مــاء أدْكَنَ فى الحانوت نضَّــاحِ

أو من مُـعـتَّـقَـةٍ ورْهَاءَ نَشْـوَتُهــا ... أو من أنابِيـبِ رُمَّـان وتفَّــاحِ(٤)

وقال ابنُ عَبْدَل يهْجو رجلا بالْبَخر:

نكَـهْتَ علىَّ نَـكْهَـــةَ أَخْــدَرِىٍّ ... شَـتِـيم شــابك الأنيَـابِ وَرْدِ(٥)

وفى هذا الشِّعْر:

فــمـــا يَدْنُو إلَـى فـيـــه ذُبابٌ ... ولو طُلِـيت مُــشَــافِرهُ بـقنْدِ(٦)

يَرَيْنَ حَــلاوةً ويَـخَـفْن مَــوْتًا ... وَشِـــيكًا إنْ هَمَـــمْن لـه بِوِرْدِ

---

(١) التقليص: التقبض. وفى ر: «من شدة التعبس».

(٢) فى زيادات ر: «وهو إسحــاق بن إبراهيم الطاهرى» ودفعها المرصـفى، وقال: هو عتبـة بن أبى عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصـرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدق بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئير: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز.

(٤) الاغـتبـاق: شرب العـشى. والأدكن: مـا تعلوه الدكنة؛ وهى لون بين الحـمرة والسـواد أراد به الزق. والورهاء: الريح التى فى هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدرى من وصف الحمار الوحشى.

(٦) القند: عسل قصب السكر.

الذُّبابُ: الواحد من الذِّبَّان، وأدنى العَدَدَ فيه أذبَّةٌ، والكثيرفى الذِّبَّان، ولكنه ذكر واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس، والأسدُ أنتنُ السِّباعِ فمًا، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطير فمًا.

قال بعضُ المحدَثين فى رجل يهجوه، والمَهْجُوّ داود بن بكر، وكان وَلِىَ الأهْوازَ وفارسَ، والشعرُ لأبى الشَّمَقْمَق:

وله لحيةُ تَيْس ... وله منْقارُ نَسْر
وله نَكْهَةُ لَيْث ... خالطَتْ نكْهَةَ صَقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة:

من يكن إِبْطَه كآباطِ ذا الخَلْقِ فإِبطْاىَ فى عِدَادِ الفِقاحِ(١)

لِىَ إِبْطانِ يَرْميانِ جَليسى ... بشبيه السُّلاحِ(٢) أو بالسُّلاح
فكأنِّى من نَتْنِ هذا وهذا ... جالسٌ بين مُصْعبٍ وصُباح

يعنى مصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيْرىَّ، وصباحَ بن خَاقَانَ المنْقَرىّ. وكانا جليسين لا يكادان يفترقان، وصديقيْن مُتَوَاصلَيْن، لا يكادان يتصارَمَانَ. فَحُدِّثْتُ أنّ أحمدَ بن هشَام لقيهما يومًا، فقال: أمَا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعنى إسحاق بن المَوْصلىِّ، فقالا: ما قال فينا إلا خيرًا، قال: قال:

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصُبَاحٌ ... فعصَينا مُصعبًا وصُباحا
وأبينَا غيرَ سَعْى إِليها ... فاسْتَرَحناَ منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيرًا، ولكنَّ(٣) المكروهَ ما قال فيك، إذْ يقول:

وصافيةً تُعْشى العُيونَ رَقيقة ... رَهينة عامٍ فى الدِّنَان وعامِ
أدرنَا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهنًا ... من الليل حتى انجابَ كلُّ ظلام(٤)
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى كأنَّنا ... من العِىِّ نحكِى أَحْمَدَ بنَ هِشام

* * *

(١) الفقاح: جمع فقحة. وهى حلقة الدبر.
(٢) السُّلاح: العذرة.
(٣) ساقطة من ر. (٤) الموهن: نحو نصف الليل.

واعلمْ أن للتشبيه حَدًّا؛ لأن الأشياء[1] تَشَابَه من وجوه، وتبايَنُ من وجوه؛ فإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من أين وقع[2]، فإذا شُبِّه الوجْه بالشمس والقمر[3] فإنما يُرادُ به[3] الضِّيـاءُ والرَّوْنقُ، ولا يُرادُ به[3] العظَمُ والإحْـرَاقُ. قـال اللهُ جل وعـز: ﴿كأَنَّهن بَيْضٌ مكْنُونٌ﴾[4]، والعربُ تُشَبِّـهُ النساءَ ببيْضِ النَّعَام، تـريدُ نقَاءَه ورقّة لونه[5]، قال الراعى:

كـأنَّ بَيْضَ نعَـامٍ فى مَـلاحِفِـهـا ... إذا اجْـتبلاهُنَّ قَـيْظٌ لَيلُهُ وَمِـدُ[6]

وَقيلَ للأوْسيَّة ـ وهى امرأَةٌ حكيمةٌ فى[7] العرب ـ بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أىُّ مَنْظَرَ أحسن؟ فقالت: قُصُورٌ بِيضٌ، فى حدَائق خُضْر، فأَنشدَ عمرُ ابن الخطاب لِعدى بن زيد:

كَـدُمَى العَـاجِ فى المَحَـاريب أَو ... كالبَيْضِ فى الرَّوْض زَهْرُهُ مُـسْتَنِيرُ

وقال آخَرٌ:

كالبَيْضِ فى الأدْحى يَلمَعُ بالضُّحى[8] ... فـالحُـسْنُ حُـسْنٌ والـنَّعـيمُ نعـيم

وقال جريرٌ:

ما استَوْصَفَ الناسُ من شَىْءٍ يَروقُهُم[9] ... إلا رَأَوْا أمَّ نُوحٍ فـوقَ مـا وصَـفُـوا

كـأنهـا مَـزْنَةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ ... أو دُرَّةٌ ما يُوَارِى ضوءها الصدف[10]

المُزْنة: السحابة البيـضاءُ خاصة، وجمعُهـا مُزْنٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿أَأَنْتُم أَنزلْتمـوهُ مِنَ المُزْنِ﴾[11]، فالمرأةُ تُشَـبَّهُ بالسـحابة لتَـهاديها وسُـهولة مـرِّها، قال الأعْشَى:

---

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبته عن الأصل.
(٢) ر: «من حيث وقع».
(٣) ساقطة من ر.
(٤) سورة الصافات ٤٩ .
(٥) ر: «ونعمة لونه».
(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجىء فى صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.
(٧) كذا فى الأصل، وفى ر، س: «من العرب».
(٨) الأدحى: مبيض النعام تدحوه برجلها، ثم تبيض فيه.
(٩) ر: «عن شىء بروقهم»، وما أثبته عن الأصل، س.
(١٠) ر: «لا يوارى لونها» .
(١١) سورة الواقعة ٦٩ .

كـأَنَّ مِشْـيَتَـهـا من بيتِ جارتهـا   مَـرُّ السَّحـابةِ لا رَيْثٌ ولا عـجلُ

الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلْحَـقُه العَيْنُ منها، فأما الْخفَّةُ فـهى كأسرعِ مارٍّ، وإنْ خفى ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿وترى الجبال تحسبُها جامدةً وهى تمرُّ مرَّ السَّحاب﴾[1].

* * *

والعرب تُشَبِّـهُ المرأةَ بالشمس، والقمر، والغـصن، والكثيب[2]. والغَزال، والبقرةِ الوحشيَّةِ، والسحابةِ البـيضاء، والدُّرَّة، والبَيْضَة، وإنما تَقْصد من كل شىءٍ إلى شىءٍ.

قال ذو الرُّمَّة:

ومَـيَّـةُ أَحْسَنُ الثَّـقَلَيْن جِـيـدا[3]   وسـالِفَـة وأَحْـسَنُهُم قَـذالا[4]

فلم أرَ مِـثْلَهَـا نَظَرا وعـيـنًا   ولا أمَّ الغَـزال ولا الـغـزالاَ

تريكَ بيـاضَ غُـرَّتهـا ووَجْـهـًا   كَـقَـرْن الشَّـمْس أَفْـتَقَ ثم زالاَ

أصـابَ خَـصاصَـةً فـبَـدَا كِليـلا   كـلاَ وانْغَلَّ سـائِرُهُ انْغـلالاَ[6]

الجِيدُ: العُنُقُ، والسالفة: ناحيةُ العُنُق، والقَذالاَن: ناحيتَا القفَا من الرأس.

وقوله: «أفتقَ ثم زَالا»، يقال: أَفتقَ السـحابُ، إذا انكشفَ انكشافةً فكانت منه[7] فُرْجَةٌ يسيـرةٌ بين السحابتين. تقول العرب: دامَ علينا الغَـيْمُ ثم أَفتقْنا، وإذا نُظر إلى الشمس والقمر من فتْقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً.

وقوله: «كلاَ» يريدُ فى سرعةِ ما بدا ثم غاب.

---

(١) سورة النمل ٨٨ .

(٢) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

(٣) الديوان: «خدا».

(٤) الديوان: «وأحسنه».

(٥) الديوان: «تريك بياض لبتها».

(٦) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلا، أى ضعيفا؛ ليس مبين الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل فى الحساب. (من شرح الديوان).

(٧) ر. «صفه» وما أثبته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كأَنَّهُنَّ الْيَاقوتُ والمَرْجَانُ﴾[١]. وقال تبارك وتعالى: ﴿كأمْثَالِ اللُّؤلؤ المَكْنُون﴾[٢].

والمكنونُ: المَصُونُ، يقال: كَنَنْتُ الشيءَ، إذا صُنْتَه. وأكْنَنته، إذا أخفيته، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أوْ أَكْنَنْتمْ فى أنفسكِمْ﴾[٣]. وقد يقالُ: كَنَنْتُهُ، أَخفيتُه.

وقد قال جريرٌ فى يَزيدَ بن عبد المَلِك، وأمُّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية بن أبى سُفْيان:

الحَزْمُ والجودُ والإيمانُ قد نزَلوا ... على يَزيدَ أمين الله فاحْتَلَفُوا[٤]
ضَخمُ الدَّسيعَةِ والإيمان، غُرَّتُه ... كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنتَصِفُ[٥]

وقال ذو الرُّمَّة:

فياظَبْيَةَ الوعْساء بَيْنَ جُلاجلٍ ... وبَيْنَ النَّقا آأَنْت أَمْ أمُّ سالم[٦]

وقال ابنُ أبى ربيعةَ:

أَبصَرْتُها ليلة ونسْوتُها ... يَمْشينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ
يَرْفُلْنَ فى الرَّيْطِ والمُرُوط كما ... تَمشِى الهُوَيْنَى سواكِنُ البَقَرِ[٧]

فهذه تشبيهاتٌ غَريبات مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوى[٨]:

قد رأينا الغزال والغُصْنَ والنَّجْمَيْنِ شمْسَ الضُّحى وبدْرَ الظلاَم

فوَحَقِّ البَيَانِ يَعْضُدُه البُرْ ... هان فى مَاقِطٍ أَلَدَّ الْخِصَام

---

(١) سورة الرحمن ٥٨ . (٢) سورة الواقعة ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٤) احتلفوا ، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.

(٥) الدسيعة: العطية. سميت دسيعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.

(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلاجل: جبل بعينه.

(٧) الريط: جمع ريطة؛ وهى الملاءة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط : جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.

(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

مـا رَأَيْنَا سوَى الحـبيـبة شـيْئًـا[1] جَـــمع الحُـــسْـنَ كُلَّه فى نـظام
فهى تجْرِى مَجْرَى الأصَالة فى الرأْ ى ومجـرَى الأرْواحِ فى الأجـسام

البـرهان: الحـجـةُ، قـال الله عـز وجل: ﴿قُلْ هَـاتُوا بُـرْهَانكـم إنْ كنـتم صَادقين﴾[2]. أى حجَجكم. والمَاقطُ: موضعُ الحرب، فضربه مَثَلا لموضعِ المناظرة والمحَاجَّـة. والألَد: الشديدُ الخصـومة، قال الله تبـارك وتعالى: ﴿وتُنْذِر به قـوْمًا لُدًّا﴾[3]. وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخصْام﴾[4].

* * *

وقالت ليْلَى الأخْيَلِيَّة[5]:

كـأنَّ فَـتَى الفـتْيَـان تـوبةَ لم يُنخْ بنجْــدِ ولم يَـطْلُعْ مع المتَــغَـوِّرِ
ولـم يَقْـدَعِ الخَـصْــمَ الألدَّ ويملأ الـ ــجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نكْباءَ صَرْصَرِ[6]

السَّدِيفُ: شِقَقُ السنام.

[الرياح ومواقعها]

والنَّكْباءُ: الريحُ بين الرِّيحينِ، لأن الرياحَ أربعٌ، ومـا بين كلّ ريحين نكباءُ، فهى ثمان فى المعنى.

فما بين مَطْـلعِ سُهَيْل إلى مَطْلعِ الفجـرِ جَنوبٌ ، وإنما تأتى الجنوبُ من قِبَلِ اليمَنِ، قال جريرٌ:

وحَـبَّـذَا نَفَـحـاتٌ مـن يَمـانِيَـةٍ تأتيك من جـبل الرَّيَّانِ أحْيَـانا[7]

وإذا هبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى الصَّبَا تقابِلُ القِبْلَةَ، فالعرب تسميها القبُولَ، قال الشاعرُ[8]:

إذ قلتُ هذا حِينَ أسْلُو يَهـيـجُنى نَسيمُ الصَّبا من حيثُ يطَّلع الفجْرُ

---

(1) ر: «سوى المليحة».
(2) سورة البقرة ١١٠.
(3) سورة مريم ٩٧ .
(4) سورة البقرة ٢٠٤ .
(5) من كلمة ترثى بها توبة بن الحمير.
(6) لم يقدع: لم يكف.
(7) الريان: جبل من بلاد طيئ؛ وفى ر: «من قبل الريان».
(8) هو أبو صخر الهذلى.

وإذ أتَتْ من قبل الشَّامِ فهى شَمَالٌ، قال الفرَزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلِين شَمالَ الشَّامْ نَضرِبُنا ... بحَاصِبٍ كنَديفِ القطْن مَنثورِ

* وهى تقابلُ الجنوب، وكذلك قال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشمْأَلِ

وإذا جاءت من دُبُر البيتِ الحرامِ فهى الدَّبُورُ، وهى تهُبُّ بشدة، والعربُ تسميها مَحْوَةَ. عن أبى زيد، لأنها تمحو السحابَ. ومَحْوَةُ معرفةٌ لا تنصرفُ، فأما الأصمعىُّ فزعمَ أن «مَحْوَةَ» من أسماء الشَّمال. وأنشدَا جميعًا:

قد بكَرَتْ مَحْوَةُ بالعَجَاجِ ... فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ

الرَّجَاجُ: حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها. وقال الأعْشَى:

لها زَجَلٌ كَحَفِيفِ الحَصا ... دِ صادَفَ بالليلِ رِيحًا دَبورا

* * *

ولهذه الرياح أسماءٌ كثيرةٌ، وأحكامٌ فى العربية، لأن بعضَهم يجعلها نعوتًا، وبعضَهم يجعلُها أسماءً، وكذلك مَصادرُها تحتاجُ إلى الشرح والتفسيرِ، ونحن ذاكرون ذلك فى عَقِبِ هذا البابِ، إن شاء اللهُ.

يقالُ: جَنَبَت الرِّيحُ جُنُوبًا، وشَمَلَتْ شمُولا، ودَبَرَتْ دُبُورًا، وصَبَتْ صُبُوًّا، وسَمَّتْ سُمُومًا، وحَرَّتْ حُرُورًا، مضمومات الأوائل.

فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائِلها، فقلتَ: جَنُوبٌ، وشَمولٌ، وسَمومٌ، ودَبُورٌ، وحَرُورٌ.

ولم يأتِ من المصادر شىءٌ مفتوحُ الأول، إلا أشياءُ يسيرةٌ، قالوا: توضَّأتُ وَضُوءًا حسنًا، وتطهرت طَهُورًا، وأُولِعْتُ بشىء ولُوعًا، وإنَّ عليه لقبُولا، ووقَدَتِ النارُ وَقُودًا، وأكثرُهم يجعلُ الوَقودَ الحطبَ، والوُقودَ المصدرَ.

ويقال: الشِّمالُ، على لغات ستٍ، يقال: شَمَالٌ، وشَأْمَلٌ، وشمالٌ، وشمَلٌ، وشَمْلٌ، وشَامَلٌ، غير مهموزٍ.

ويقال للشّمال: الجِرْبِيَاءُ، قال ابن أَحْمَرَ:

بجَوٍّ مِن قَسًا ذَفِرِ الخُزَامَى تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ به الحَنِينَا[1]

ويقال للجَنُوبِ: الأَزْيَبُ.

ويقال للصَّبَا: القَبُولُ، وبعضهم يجعلُه للجنُوب، وهو فى الصَّبا أشهرُ، بل هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهِيرُ، والأَيِّرُ، والهَيِّرُ، قال الشاعرُ:

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّتِ *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا، وذاك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ بالإطْعَامِ فى المشتاة[2] وشِدَةِ الزمانِ، كما قال طَرَفَةُ:

نحنُ فى المَشْتَاةِ نَدْعُو الجفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلَى: العامَّةُ، والنَقَرى: الخاصَّةُ، والآدبُ: صاحب المْأدُبة، يقال: مَأْدَبَةٌ ومَأْدُبَةٌ لِلدَّعْوَةِ، وفى الحديث: «إنَّ القرآنَ مَأْدُبَةُ الله».

قال أهلُ العلمِ: معناه مَدْعاةُ الله، وليس من الأدَب. وأكثرُ المفسرين قالوا القولَ الأولَ، وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الأول قولُ رسول الله ﷺ: «أنا الجَفْنَةُ الغرَّاءُ»، أى التى يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها، ويقال فى الدَّعوة: أَدَبَهُ يَأْدِبُه أَدْبًا، إذا دعاه، قال الشاعرُ:

وما أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالع عصانا فأَرْسَلْنَا المَنِيَّةَ تَأْدُبُهْ

* * *

وقولُنا فى الرياح: إنها تكونُ أَسْماءً ونُعُوتًا نُفَسِّره إن شاء اللهُ.

يقولُ أكثرُ العرب: هذه ريحٌ جَنُوبٌ، وريحٌ شَمَالٌ، وريحٌ دَبُور، فتجعلُ جَنُوبًا، وشَمَالا، ودَبُورًا، وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا قال الأعشى:

لها زَجَلٌ كحفيفِ الحَصَا دِ صادَفَ باللَيْلِ رِيحًا دَبُورًا

(١) قسا: موضع بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد رائحته، والخزامى: نوع من العشب، طويل العيدان، صغير الورق.

(٢) ر: «المشتى».

وقال زهيرٌ:

مكَللٌ بـأُصُـولِ النَّبْت تَنْسِـــجُــه ريحٌ شَمالٌ لضـاحِى مائهِ حُبُكُ[1]

وقال جريرٌ:

* ريحٌ خَرِيقٌ شَمَالٌ أو يَمانَيّةٌ *

فهذا يكونَ على النعت أجود، لأنه أوضحـه بــ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتـًا، لأنها منسوبةٌ، فـأما الحريق فهى الشَّـديدةُ من كل ريحٍ. قال حُمَـيْدُ بن ثَوْر:

بمُثْـــوى حَــرَامٍ والمطِيُّ كــأنه قنًا مُـــسْنَدٌ هَـبَّتْ لَهنَّ حَـــريق

والبَلِيلُ: الباردة من كل ريح[2]. وأصلُ ذلك الشمالُ.

[لجرير فى بنى مجاشع]

قال جريرٌ يُعَيِّرُ بنى مجاشعٍ بخذلانهم الزُّبْيَرَ بن العوَّام فى كلمةٍ يقول فيها:

إنى تُذَكِّـــرنى الزُّبيْــرَ حَـمَــامــةٌ تَدْعُـــو بأَعْلَى الأيـكَتَـيْـنِ هَديلا

يالهْفَ نفـســى إذْ يَغُـرُّكَ حَـبْلُهُمْ هَلا اتَّخَـذْتَ على القُيُـون كَفـيلاَ

قــالت قريـش ما أذلَّ مُـجَـاشعًـا جــارًا وأكْرَمَ ذا القـتـيل قَـتيـلاَ!

أَفَـبَعْـدَ مَتْـركِكُمْ خَليلَ مُـحَمَّـد ترجو القُـيُونُ مع الرسول سَبِـيلاَ!

أَفَتَى الـنَّدَى وفَتى الطعـان غَرَرْتمُ وأخَـا الشَّـــمـال إذا تَهُبُّ بَـلِيــلا

ويُروَى أن أحَيْـحَةَ بن الجلاَحِ الأنـصاريَّ - وكان يُبَـخَّلُ - كان[3] إذا هَبَّتِ الصَّبا طَلَعَ من أُطمه[4] فنظرَ إلى ناحية هُبُوبها، ثم يقولُ لها: هُبِّى هُبُوبَك، فقد أَعددتُ لك ثلثمائة وستين صاعًا من عَجْوَةَ، أَدْفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَرات، فَيُردُّ علىَّ منها ثلاثًا - أى لصلابتها - بعد جهْد مَا يلوك منها اثنتين.

---

(١) مكلل: محاط، وضاحى مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهى الطريقة، يصف ماء أحاط به النبت، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسرا.

(٢) ر: «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الأطم: الحصن يبنى بالحجارة.

[من اخبار لبيد بن ربيعة]

وكان لَـبيد بن ربَـيعةَ بـن مالك بن جـعفر بن كـلاَب شريفًـا فى الجاهلـية والإسـلام قد نَذَرَ ألاّ تَهـبَّ الصَّبَـا إلاَّ نَحـرَ وأطْعَمَ حـتى تَنْقضـىَ. فهـبت فى الإسلام[1] وهو بالكوفة مُقْترٌ مُمْلقٌ، فعلم بـذلك الوليدُ بن عقْبَةَ بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أميَّةَ بن عـبد شمس بن عبد مناف ـ وكان وَاليَهَا لعـثمانَ بن عَفَّان، وكان أخاه لأمِّه، وأُمُّهُما أَرْوَى بنت[2] كُرَيْز بن حبيب بن ربيعةَ بن عبد شمس[3].

وأمُّ أرْوَى البيـضـاء بنت عبد المطلب ـ فـخطب الناسَ وقال: إنكم قد عـرفتم نَذْرَ أبى عَقيل، وما وكَّد على نفسه، فـأعينوا أخاكم، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة[4].

وبَعَث الناسُ، ففضى نَذْرَه، ففى ذلك تقول ابنةُ لَبيد:

إذا هَبـتْ رياح أبى عَــقِــيل ... دَعَـونا عِنْدَ هبَّـتِـهـا الولَيـدا[5]

* * *

(١) ر: «بالإسلام».

(٢) ر: «ابنة».

(٣) حاشية الأصل: «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة».

(٤) زيادات ر: «وأبيات يقول فيها:

أرَى الجَـزَّارَ تُـشْـحـذُ مُـدْيتَـاهُ ... إذا هَبَّـتْ رياح أبى عَـقـيل

طويل البـاع أبيـض جـعـفـرىٌّ ... كـريم المجد كـالسيـف الصقيل

وفى ابـنُ الجـعـفـرىِّ بما لَـدَيْه ... على العِـلاَتِ والمـال القـليل

فلما أتتـه قال: جزى الله الأمير خيرا. قد عرف الأمـير أنى لا أقول شعرا، ولكن اخـرجى يابنية. فخرجت خماسية، فقال لها: أجيبى الأمير، فأقبلت وأدبرت.

(٥) بعده فى زيادات ر:

طويل البـاعِ أبيـض عَبْـشـمِـيًّـا ... أعـان عـلى مُـرُوءَتـه لبـيـدا

بأمـثـال الـهـضـابِ كـأنَّ ركـبًـا ... عليـهـا من بنى حـامٍ قـعـودا

أبا وهـبٍ جـزاك الله خـيـرًا ... نحـرناها وأطـعـمنا الثـريدا

فـعُـدْ إن الكريم له مـعـادٌ ... وَظنى بـابن أروى أن يـعـودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنية. لولا أنك سألت . فقالت: إن الملوك لا يستحى من مسألتهم. فقال لها: يابنية، وأنت فى هذا أشعر».

ومَنْ جَعَلَ الشَّمالَ والجنوبَ أسماءً لم يـصْرفْهَا إذا سُمِّىَ بشىء منها رجلٌ؛ لأنك إذا سميتَ رجلا مذكـرًا باسم مؤنَّث على أربعة أحـرف فصاعدًا لا عـلامةَ للتـأنيث فيـه لم تَصْرفْـهُ فى المعرفـة، وصرفـته فى النكرة، نحـوَ عَنَاق، وأَتان، وعقرب. وإن كـان نعتًا انصرفَ، لأنك إذا سـميتَ رجلا مذكـرًا بنعت مؤنث لا علامـةً فيه صـرفتَه لأنـه مذكَّرٌ نُعِتَ به المؤنَث. نحـو حائِض. وطالق. ومُـتْئِم. ومُرْضِعٍ.

وإذا ذكرنا من البـاب شيئا فـما لم نذكره منه فـعلى مَجْرَاه ومِنْهاجِـهِ، قال الشاعر، فجعلَ ما وصَفْنا أسماءً:

حـالتْ وحـيل بهـا وغَـيَّـرَ آيَّهَـا	طول البلَى تَجْـرِى به الرِّيحَـان(١)
ريحُ الشَّـمَـــال مع الجنوب وتارَةً	رِهَمُ الرَّبيع وصبَـائبُ التَّـهتَـانِ(٢)

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيْر:

* رِيحُ الجَنَوب لِضَاحِى مَائِهِ حُبُكُ *

وَقولُنا: لاَ عَلامَةَ فيه للتأنيث لتَـعْرِفَ كيف حُكم علاماتِ التأنيت لأنَّ ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن:

فما كانت فيـه ألفُ التأنيث مقصورةً أو ممدودة فغير مـنصرف فى مَعْرفة ولا نكرة. لمذكَّـر كان أو مؤنث. فـالمقصـور نحوُ حُـبْلَى وسكْرَى، وما أشـبه ذلك. والممدودُ نحوُ حمراءَ، وصفراءَ، وصحراءَ، وما أشبه ذلك.

فإن كـانت ممدودة لغير التأنيث انـصرف إذا كان لمذكر فى المعـرفة والنكرة، زائدًا كان أو أصليًّا، فالأصلىُّ نحو سَـقَاء، وغذاء، وحذاء، ورداء - والزائدة نحو علْبَاء، وحرْباء، وقـوباء، يافتى، ومَن قالَ: قُوبَاءً يافـتى - أَنَّثَ ولَم يصْرف. لأن الأَوى مُلْحَقَةٌ، وهذه للتـأنيث، فأَمَّا الألفُ المقصورة التى لغير الـتأنيثِ، فإن كانت أصليةً انصرفتْ فى المذكر، ، نحوُ مَلْهًى، ومَغْزًى، ومُشْتَرًى.

وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفتْ فى النكرة. ولـم تنصرف فى المعرفةِ، نحو أَرطًى، وعَلْقًى، فيمن جعل الواحدة عَلْقاةً.

---

(١) حالت: أتى عليها حول .حيل بها: . أى أحيلت عما كانت عليه. والآى: جمع آية.

(٢) الرهم: جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأمَّا ما كـانت فيه هاءُ التأنيث فـهومنصرفٌ فى النكرة، وغيـرُ منصرف فى المعرفة، لمذكَّر كان أو مؤنَّث، عربيًّا كَانَ أو أعجميًّا.

فهـذه جملة هذا البـابِ، فأمَّا قـياسُه وشـرحُه فـقد أتينا عليـه فى الكتاب (المقْتَضَب).

* * *

ويقال[1] فى أكْثر الكلام: هَبَّتْ جَنوبًا، وهبَّتْ شَمالا، فُيسْتَغْنَى[2] عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحالَ إنما بَابُها أن تقعَ فيما يكون وصفًا[3]. قال جريرٌ:

هَبَّتْ شَمـالا فذكْرِى مـا ذكرتُكُم … عند الصَّـفاة إلـى شرقِىِّ حَـوْرانَا

وقال الآخرُ:

فــأَىُّ حىٍّ إذا هَـبَّت شــآمِـيَـــة … واستَدْفـأَ الكلْبُ بالمأسُور ذِى الذئَب

المأسُورُ، يعنى قَتَبًا[4]. وإنما الأَسْرُ الشّـدُّ بالقدّ[5] حتى يُحكَـم، وإنما قيل الأسيرُ مِنْ ذا. لأَنَه كان يُشَدُّ بالقدِّ. ثم قـالت العربَ لكلِّ مُحكم شديد أسير[6]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**نحنُ خَلَقْنَاهُم وَشددْنا أَسْرَهم**﴾[7].

وقولُه: «ذى الذأَب» يعنى الفضولَ التى وسَّعَتْه وأَسْبَغَتْه. يُقالُ: غَبِيطٌ مُذَأَبٌ أى ذو ذِئَبٍ. أى مُوَسَّعٌ، والغَبيطُ: مركَبٌ من مَرَاكب النساء.

[لأوس بن حجر]

وقال أوْسُ بن حَـجَر فى شـدة البرد وغَلَبَـة الشمـال يَرْثى فَضَـالةَ بن كلْدة الأسَدِى :

وَالحـافظ النـاسَ فى قَـحُـوطَ إذا … لم يُـرسُلوا تحتَ عـــائذ ربعَـــا
وَعَـزَّتِ الـشَّـمْـألُ الرِّيـاحَ وقـد … أَمْـسَى كَمِـيعُ الفـتـاة ملتَـفْعَـا[8]

(1) ر: «تقول».
(2) ر: «فتستغنى».
(3) ر: «تعتا».
(4) القتب: رحل على قدر السنام.
(5) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ.
(6) ر: «شديد الأسر».
(7) سورة الإنسان ٢٨ .
(8) الكميع: الضجيع.

وكانت الكاعبُ المَنَعَّمة الحسـ ـناءُ فى زادِ أهلها سُبُعَا

تحوط، وقَحُوط، وكَحْل، وحَجْرَة: أسماءٌ للسَّنة المجْدبَة. والعائذ: الحديثة النِّتاج، فتنْحَر أولادها فى السَّنة المُجْدبَة إبقاءً على ألْبانها وشحومها. والرُّبَعُ الذى يُنْتج فى الربيع. والهبع: الذى يُنْتج فى الصيف. يقالُ: ما لهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ. وإنما سمى: هُبَعًا. لأن الرُّبعَ أسنّ منه فيمشى مع أمهاته[1]. ولا يلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ فيستعينُ بعنقه فى المشى، يقالُ إذا فعل ذلك: هَبَع يهْبَعُ.

* * *

ويقال للريح الشمال: مؤْوبة ومُسْع، قال الهُذَلىُّ:

قد حال دونَ دَريسيْه مُؤَوِّبَةٌ نِسْعٌ لها بِعضاهِ الأرض تَهْزِيرُ[2]

الدَّريسَان: ثوبان خَلقَان. ومُؤَوِّبَةٌ، مُفَعِّلةٌ، من التأْويب، وهو سَيْرُ النهار لا تعريجَ فيه. قال أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسآد: سيرُ الليل لا تعريس فيه، وأنشدَ لسَلاَمَة بن جَندَل:

يومان يوم مَقامـاتٍ وأندية ويومُ سَيْر إلى الأعداء تأويب

وإنما يعْنى ريحًا، وقوله: نسْعٌ: أى شَمالٌ. والعضَاهُ: شجر ضخام[3]، فبعض العرب يقول للواحدة: عِضَاهَةٌ، وللجميع: عَضَاهٌ. على وزن دجاجة وَدَجاجٍ، وبعضهم يقول للواحدة: عِضَةٌ، فيقول فى الجمع عِضَيَاتٌ. وعِضَهاتٌ. فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعرُ:

هذا طريق يَأزمُ المآزما وَعِضَوَاتٌ تقطعُ اللهَازما[4]

ونظيرُ عِضَة سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب، والواو فى قول بعضهم، تقول فى جمعها سنوات، وسانيتُ الرّجل. وبعضهم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

---

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».

(٢) للمتنخل. ديوان الهذليين: ١٦ .

(٣) ر: «شجرة ضخمة».

(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهزمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحيين.

وهذا الحرفُ فى القرآن يُقْرأ على ضروب فمن قرأ: ﴿لَم يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ﴾[1]. فوصلَ بالهاء ـ فهو مأخوذٌ من: سانَهتُ. التى هى سُنَيْهة ومَن جعله من الواو قال فى الوصل: ﴿ لم يتَسَنَّ وانْظُرْ ﴾[2]. فإذا وقفَ قال: ﴿ لم يتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدة لبيان الحركة. بمنزلة الهاء فى قوله: ﴿فبهُدَاهم اقْتَده﴾[3] و ﴿كتَابيَهْ﴾[4]. و ﴿حسَابيَهْ﴾[6]. والمعنى واحدٌ. وتأويله: لم تُغَيِّرْهُ السِّنون، ومن لَم يَقْصدْ إلى السَّنَة، قال: لم يتأسَّنْ. والآسِنُ: المتغيِّر، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فيها أنهارٌ من ماء غير آسِنٍ﴾[7]. ويقال: أَسِنٌ فى هذا المعنى، كما يقال: رجل حَاذِرٌ وحَذِرٌ.

* * *

ويقال للرّيح الجَنُوب: النُّعَامَى، قال أبو ذُؤَيْب:

مَرَتْهُ النُّعَامى فلم يَعْتَرِفْ　　　خِلافَ النَّعَامَى من الشَّأْمِ ريحَا

ومعنى «مَرَتْه» استَدَرَّتْه، وفى الحديث: «ما هَبَّت الريحُ الجَنوبُ إلا أَسالَ اللهُ بهَا وَادِيًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلا:

فَتى خُلِقَتْ أخلاقُه مُطمئنةً　　　له نفَحاتٌ ريحُهُنَّ جَنوبُ

يريدُ أن الجنوبَ تأتى بالمطر والندى.

والعربُ تكرَهُ الدَّبُورَ، وفى الحديث أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأهْلكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

وقَلَّمَا يكون بالدَّبور المطَرُ، لأنّها تُجَفِّل السحابَ، ويكونُ فيها الرَّهَجُ والغَبَرَة. ولا تهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدة. فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتى على الزُّروع.

[لرجل فى الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلا:

---

(١) ر: «فى قول بعضهم».
(٢) سورة البقرة ٢٥٩ .
(٢) سورة الأنعام ٩٠ .
(٣) سورة الحاقة ١٩ .
(٥) سورة الحاقة ٢٠ .
(٦) سورة محمد ١٥ . .

لو كنت ريحًا كانت الدَّبُورَا أو كنتَ غَيْمًا لم تكُنْ مطيرَا
أو كنتَ ماءً لم تكونْ طهورًا أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا

* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا *

الرِّيرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌّ رَيرٌ ورَارٌ، فى معنًى واحدٍ، وقال السُّلَيْكُ:

* يَصيدُكَ قافلا والمْخُّ رارُ *

وقال آخرُ:

لو كنت ماء لم تكن بعذب أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب[1]

[السليك يرثى فرسه]

فأمَا قولُ السُّلَيْك فإنه يرثى فرسَه. وكان يقال له النَّحَّامُ، فقال:

كأَنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبتى أُصُلا محَارُ
على قَرْمَاءَ عاليةٌ شَوَاهُ كأن بياضَ غُرَّته خِمَارُ
وما يُدْريكَ ما فقْرى إليه إذا ما القومُ وَلَّوا أو أغاروا
ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الْحُضْر نصًّا يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارُ

قوله:

* كأن قوائِمَ النحَّامِ لـمَّا *

المحارة: الصَّدَفَة. يريدُ المَلاَسَة، وأنه قد ارتفعتْ قوائمُه للموت. والأُصُلُ: جمع أَصِيل، والأصيلُ العَشيُّ، يقال: أَصِيلٌ وأُصُلٌ، مثل: قضيب وقُضُب، وجمع أُصُل آصالٌ. وهو جمعُ الجمع، وتقديرُه: عُنُق وأَعْنَاق. وطُنُبٌ وأطنابٌ. ويقال فى جمع أصِيلة أصائل، مثلُ خَلِيفة وخلائف. قال الأعْشَى:

* ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ[2] *

---

(١) الندب: الخفيف السريع.

(٢) وصدره. * يوما بأطيب منها نشر رائحة *

وقال أبو ذؤَيْب :

لعَمْرِى لأنتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَه ... وأَقعُدُ فى أَفْيَائه بالأصائل

وقَرْماءُ. ممدودةٌ: اسم موضعٍ. وشَواهُ: قوائمُه. وقد فسرناه قبلَ هذا. وقوله: «ولَّوْا أو أغارُوا» إذا طَلَبُوا أو هَرَبوا. وقوله: «يَصيدُكَ» أى يَصيدُ لك يقال: صِدْتُكَ ظَبْيًا. قال الله عز وجل: ﴿وإذا كَالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]. أى كالُوا لهم، أو وَزَنُوا لهم. يقال: كِلْتُك ووَزَنْتُك. لأنه قد قال تعالى أوَّلا: ﴿إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفُونَ﴾[2].

فأما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهُبُوب: «اللهمَّ اجْعَلْها رياحًا ولا تَجْعَلْها ريحًا»، فإن العربَ تقولُ: لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رياحٍ. وتصديقُ ذلك قول الله عز وجل: ﴿اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فتُثِيرُ سَحابًا﴾[3]. وقول النبى ﷺ: «إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تذاءَبَتْ» قال الشاعر:

* تَسُحُّ إذا تذاءَبَتِ الرِّياحُ *

يقول: إذا تقابلت: يقال: تذاءَبَت الرياحُ، وتَناوَحَتْ، أى تقابلتْ، وتَناوَحَ الشجرُ، إذا قابلَ بعضه بعضًا، وإنما سميت النائحة نائحةً لأنها تُقابلُ صاحبتهَا.

فإذا خَلَصت الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوار، وإذا خَلَصَت شَمالا شَتْويَّة فهى من آيَات الجدْب. ومن ثمَّ تقولُ العربُ: فلا يُطْعَمُ فى الشَّمال، كما تقولُ: يطْعم فى الْمحل: قال أَوْسُ بن حَجَر: «وعَزَّت الشَّمْألُ الرِّياح» أى غَلَبْتها، فكانت أقوى منها، فلم تَدَعْ لها موضعًا وقوله: ﴿وعَزَّنى فى الْخطَاب﴾[4] أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة، ومن أمثالِ العربِ: «من عَزَّ بزَّ» وتأويلُه: من غَلَبَ استلب[5]. قالت الخنْسَاء:

كَأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى ... إذِ الناسُ إذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العباس : وحدثنى عمْرو بن بحرٍ الجاحظُ قال: رأيتُ رجلا من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلا من بنى فَزَارةَ. ثمَّ أَحدَ بَنِى بَدْرٍ بن عمرو، وكان الغَنَوى متمكنًا

(١) سورة المطففين ٣ . (٢) سورة المطففين ٢ .
(٣) سورة الروم ٤٨ . (٤) سورة ص ٢٣ . (٥) ر: «سلب» .

من لسانه؛ وكان الفزارىُّ بكيئًا[١]. فقال[٢] الغنوىُّ: ماؤُنا من بين الرَّقْم إلى كذا. وهم جيرانُنا فيه، فنحن أقصرُ منهم رشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لَنَا ريفُ السُّهول ومعاقلُ الجبال، وأرضُهم سَبِخَةٌ، ومياهُهم أَمْلاحٌ، وأَرْشِيَتُهم طوَال، والعربُ[٣] من عَزَّبَزَّ. فبِعزِّنا ما تَخَيَّرنا عليهم، وبِذلِّهم ما رَضُوا منّا[٤] بالضَّيْم.

وقوله: «كان الفزارىُّ بكيئًا» يقول: غيرَ قادر على الكلام، وأصلُ ذلك في الحَلَب، يقالُ: ناقة غَزِيرةٌ وناقةٌ بكىءٌ، وهى ضدُّ الغَزيرة، أى قليلةُ اللبن، ودَهِينٌ وصِمِرْد. فى معنى، يقالُ: بكَأَت الشاة والناقةَ، وبكؤتْ. قال الشاعرُ:

فَإذا ما حَارَدَتْ أو بَكُؤَتْ ... فُضَّ عن خاتَمِ أُخرَى طِينُهَا[٥]

وقال سَلاَمة بنُ جَنْدل:

يقولُ: مَحْبِسُها أَدْنَى لِمرتَعِها ... ولو تَدَاعى بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلوب[٦]

يقولُ: إنْ نَحْبِس الإبلَ على ضرٍّ ونقاتلْ عنها فهو أَدْنى بأن تَعزَّ فتَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبل، وإن ذهبت أَلبانُها، لأنا إنْ أَطْرَدْناها[٧]. وهَرَبْنَا طمِعَ فينا واسْتُذْلِلنا، ويقال فى الكلامِ: رجلٌ عَيِىٌّ بَكِىّ.

وقال أبو العباس: وهذا الغنوىُّ: إذا قابل[٨] بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أَعظَمَ الفِرْيَةَ، وبلغ فى البُهْتِ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بجمْهُور قيْس، وصارَ بهم إلى قول[٩] الأَخْطل:

وقد سَرَّنى من قَيْسِ عَيْلانَ أنني ... رأيتُ بنى العَجلانِ سادوا بنى بَدْرِ

---

(١) ر: «بكيا». وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عز بز»، س: «والعرب إذ ذاك من عزَّ بزَّ»، وما أثبته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقبله:

ولنا باطية مملوءة ... جونة يتبعها برزينها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرد داء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفض قوائمه، فضرب بهن الأرض كثيرًا، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: أمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر: «حاول».

(٩) ر: «إلى ما قال».

وكان زيادٌ يقــولُ ـ وهو الغايةُ فى السـياســة ـ أوصيكم بثلاثـة : العالم[1]، والشريف، والشَّيْخ. فوالله لا أوتى بوَضيعٍ سَبَّ شريفًا، أو شابٍّ وَثَبَ بشيخ، أو جاهلٍ امتهن[2] عالمًا إلا عاقبتُ وبالغْتُ.

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد]

وقال عُمارة لبنَى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ:

يأَيُّهـا السَّـائلى عَـمْـدًا لأُخْـبِـرَهُ ... بذات نفسـى وأَيْدى الله فوقَ يَدى
إنْ تَسْتَقمْ أَسَدٌ تَـرْشَدْ وَإن شَغَبَتْ ... فَـــلا يَلُمْ لائـمٌ إلاّ بَنِى أَسَـــد
إنى رأيتَكُـمُ يعْـصَى كـبـيـرُكُمُ ... وتكنَعونَ إلى ذى الفَجْرَة النّكد[3]
فـبـاعـدَ الله كـلَّ البُـعْـدِ داركُم ... ولا شفاكمْ من الأضْـغان والحَسد

فرأى عصيـانهم الكبيرَ من أقبح العيب، وأَدَلَّه على ضغْن بـعضهم لبَعض. وحَسَد[4] بعضَهم بعضًا. والوضيعُ يَنْقَلبُ إلى الشَّـرَيف؛ لأنه يَرَى مُقاولته فَخرا، والاجتَراء عليه ربْحًا. كما أن مُقاولة الشريف لِلّئيم ذُلٌّ وَضَعَة. قال الشاعرُ:

إذا أنتَ قَـاوَلْتَ الـلَّـئـيمَ فـإنما ... يكونُ عليك الفـضل حين تُقاوِلُهْ[5]
ولستَ كمن يَرْضَى بما غـيْرُهُ الرِّضَا ... ويمسح رأس الـذّئْبِ والذّئبُ آكـلُهْ

وسَنُشْبِع هذا المعنى إن شاء الله.

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ فى باب الفَتْك. وهو:

فـلا تَقْـــرَبَنْ أَمْـرَ الضَّـريمـة بامْـرِئٍ ... إذا رام أَمْــرًا عَــوَّقُـتـــهَ عــواذُله
[وقل لـلفــــــؤادِ إنْ تُرَى بـك نَزْوةٌ ... من الرَّوْعِ أَفْرِخْ أكْـثَرُ الرَّوع باطِلهْ][6]

الضَّرِيمة: العَزِيمة.

* * *

(1) ر: «بالعالم». (2) ر: «امتحن».
(3) تكنعون: تخضعون، والفجرة: الفجور، والنكد: اللئيم.
(4) ر: «وحسد» بسكون السين؛ والصحح ما أثبته عن الأصل.
(5) ر: «يكون عليك العتب».
(6) ما بين العلامتين من زيادات ر. وأفرخ: أى أخرج روعك وفزعك.

وقد امتنَعَ قوم من الجواب تَنَبُّلا، ومواضعُهم تُنْبِئُ عن ذلك، وامتنع قومٌ عِيًّا بلا اعتلال. وامتنع قومٌ عَجْزًا[١]. واعتلُّوا بكرهة السَّفَه، وبعضُهُمْ مُعْتَلٌّ برفعة نفسه[٢] عن خصمه، وبعضُهم كان يَسُبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَشيرة فيُعرِضُ عنه[٣] ويَسُبُّ سيدَ قومه، وكانت الجاهليةُ ربما فعلته بِقَى الذُّحُول[٤]. قال الراجزُ:

إنَّ بَجِيلا كلَّمَا هَجانى ... ملْتُ على الأغطش أو أَبَان
أو طَلْحة الخير فَتَى الفتْيَان ... أولاكَ قومٌ شَأْنُهُمْ كَشَانِى
ما نلْت مَن أعراضِهم كَفانِى ... وإن سكَتُّ عرَفُوا إحْسانى

وقال أحدُ المحْدَثِينَ:

إنّى إذا هَرَّ كَلبُ الْحَى قلتُ له: ... اسلمْ. وربكَ مَخْنُوقٌ على الجِرَرِ

قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه.

قال الشاعرُ:

ولا يبُادِرُ فى الشّتاءِ وليدنا[٥] ... القِدْرَ يُنْزلها بغير جِعَالِ

الجِعَالُ: الذى تنْزَل[٦] به البُرْمَة، وربما تُوقّيتْ به حرارتها.

قال الراجز:

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةٌ ... اتَّسعَ الخَرقُ على الراقِعِ

وهذا كثير غيرُ مَعيبٍ.

* * *

وفى مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض[٧] قول الأخطل:

---

(١) ر: «عجزوا». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.
(٣) كلمة «عنه» ساقطة من ر.
(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو الثأر.
(٥) ر: «وليدها».
(٦) ر: «الذى بوضع فيه البرمة». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) ر: «لتتكافأ». وما أثبته عن الأصل. س.

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ ... ولم يَشْفِها قَتْلى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ
ولا جُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنها ... كَبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ
ولَوْ ببَنِي ذُبْيَانَ بُلَّتْ رِمَاحُنا ... لَقَرَّتْ بهمْ عيني وباءَ بهمْ وِتْرِي

* * *

وقال رجلٌ من المحْدَثِينَ. وهو حمْدانُ بن أَبانَ اللاحقيُّ:

أَلَيْسَ من الكبائرِ أَنَّ وَغْدًا ... لآلِ مُعَذَّلٍ يهجو سَدُوسَا
هجا عِرْضًا لهمْ غَضًّا جَديدًا ... وأَهْدَفَ عِرْضَ والدِهِ اللَّبِيسَا

* * *

وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالده ... واللؤْم أَكرم من وَبرٍ ومَا وَلَدَا
قَوْمٌ إذا جَرَّ جانى قومِهمْ أمنُوا ... من لؤم أَحْسابهمْ أن يُقتلُوا قَوَدَا
اللُّؤْم داءٌ لوَبْرٍ يُقْتَلونَ به ... لا يُقْتلون بداءٍ غيرِهِ أبدا(١)

* * *

وقال رجل من المحْدَثِين(٢):

أمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... والمدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جَلِيلُ
فاذهبْ فأَنت طليق(٣) عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأَنتَ ذَلِيلُ

* * *

وقال آخرُ:

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِى له ... يَنْبَحُنِى من موضعٍ نائى
لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أَوْ ... لَوْ بِنْتَ لِلسَّامع والرائى
فعدِّ عن شتمى فإنى امرؤٌ ... حَلَّمنى قِلَّةُ أكفائى

---

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفى الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخر[١]:

فلو أنى بُليتُ بهاشمىٍّ ... خَؤُولَتُهُ بنو عَبْدِ المَدَان
صَبَرْتُ على عداوتِهِ ولكنْ ... تَعالَىْ فانظرى بمن ابتلانِى

* * *

[من أخبار ذوى الحلم]

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَاتٌ على الأحْنَف بن قَيْسٍ يسبُّه - وكان عَمْرُو بن الأهْتَمِ جعل له ألفَ درهمٍ على أن يُسَفِّهَ الأَحنفَ - فجعل لا يألو أن يسبّه سبًّا يُغْضب، والأحنفُ مُطْرِقٌ لا يكلمه[٢]. فلما رآه لا يكلمه أقبلَ الرجلُ يعضُّ إبهامه[٣] ويقولُ: يا سَوْأَتاه! والله ما يمنعه من جوابى إلا هوَانى عليه!

* * *

وفعَل ذلك آخرُ. فأمسكَ عنه الأحنفُ، فأَكْثرَ الرجل، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغَداء؛ فأَقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غَداءَنَا قد حضرَ فانْهَضْ بنا إليه إن شئْتَ، فإنكَ مُذْ اليوم تحْدُر بحمل ثِفَال.

والثِّفَالُ من الإبل: البطِيءُ الثقيلُ الّذِى لا يكادُ ينْبَعث.

* * *

وعُدَّتْ على الأَحنف سَقْطةٌ فى هذا الباب، وهو أن عمرَو بن الأَهْتَم دَسَّ إليه رجلا ليسفهه، فقال له: يا أبا بَحْرٍ[٤]، ما كان أبوك فى قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لم يسدْهُم، ولم يتخلَّفْ عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطنَ الأحنفُ أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَةٌ[٥] يمنح منها ويقرى، ولم يك أَهْتَمَ سلاحًا[٦].

* * *

(١) زيادات ر: «هو دعيل».
(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.
(٣) ر: «إيهامه». (٤) ر: «أبا بحر».
(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.
(٦) السلاح: كثير السلح. يعرض بأبى عمرو.

وجُعلَ لرجل ألفُ درهم على أن يسألَ عمرَو بن العاص عن أُمِّه ـ ولم تكن فى موضعٍ مَـرْضىٍّ [إنما كانت من عَنَزَة، ثم مـن بنى جلاَّنَ][1] ـ فأتاه الرجل، وهو بمصر أمـيرًا عليهـا. فقال: أردت أن أعرفَ أمَّ الأمـير، فقـال: نعم، كانت [امرأة][1]، من عَنَزَةَ. ثم مـن بنى جـلاَّن. تُسَـمَّى ليْلى وتلقَّـبُ النابغـة، اذْهَب فخذ[2] مَا جُعِل لك.

* * *

وقال له مرةً المنذر بن الجارود : أى رجل أنتَ لولا أمُّك! قـال: فإنى أحمدُ اللهَ إليك، إنى فكَّرْتُ فـيهـا[3] البارحـةَ. فأقبلتُ أَنقُلُهـا فى قبائلِ العرب. فـما خَطَرَتْ لى عبدُ القيس ببال[4].

* * *

ودخل عمرو مكةَ فـرأى قومًا من قريش قد جلسوا حَلْقَـةً، فلما رأوه رَمَوهُ بأبصارهم، فَعَـدل إليهم فقال: أَحْسبُكُـم كنتم فى شىء من ذكرى! قالوا: أجَل. كنا نمثل[5] بينك وبين أخيـك هشام أَيُّكما أَفـضل؟ فقال عـمرٌو: إنَّ لهـشام علىَّ أربعةً: أمُّه ابنة هشام بن المغيرة، وأمِّى مَـنْ قد عَرَفتم، وكان أحبَّ إلى أبيه منى، وقد عرفتم معرفة الوالدِ بالولدِ، وأَسلمَ قبلى، واستُشْهدَ وبَقيتُ.

* * *

قال أبو العـباس: وقـد أكثر النـاس فى الباب الذى ذكرناه، وإنمـا نذكُر من الشىْء وجوهه ونوادرَه.

قال رجلٌ لرجل من آل الزبير كلامًا أَقْذَعَ لـه فيه. فأعرضَ الزبيرىُّ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيـرىُّ علىَّ بن الحسين. فأعرضَ عنه. فـقال له الرجل الزبيرى: ما يمنعك من جوابى؟ فقال على: ما منعكَ من جواب الرجل!

* * *

---

(1) تكملة من الأصل. س.
(2) ر: «وخذ».
(3) ر: «فى هذا».
(4) ر: «على بال».
(5) ر: «نميل».

وقد رُوى قولُ القائل: لو قلتَ واحدة لسمعتَ عشراً. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشراً ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعرُ:

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسُبّنى فأَجوزُ ثُمَّ أقولُ لا يَعْنينى

* * *

وقال رجلٌ لرجلٍ ـ وسَبَّه فلم يلتفتْ إليه ـ: إياك أعنى. فقال له الرجلُ: وعنكَ أُعْرِض.

* * *

فأما قولُ الشَّعْبىِّ للرجلِ ما قال فمِنْ غَيْرِ هذا الباب، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ. وذاك أن رجلا سبَّ الشعبىَّ بأمور قبيحة نسبه إليها. فقال له[1] الشعبىُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك. وإن كنتَ صادقًا فغفر اللهُ لى.

* * *

وقال أبو العباس: قال رجلٌ لأبى بكر الصديق رحمه اللهُ: لأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدخلُ معك قبرَك. فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا معى.

* * *

[ويُحَدِّثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلا من أهل الشام دخل المدينةَ. فقال: رأيت رجلا على بغلة لم أرَ أحسنَ وجهًا ولا أحسنَ لباسًا ولا أفْرَهَ مَرْكبًا منه. فسألت عنه. فقيل لىَ: الحسنُ بن على بن أبى طالب. فامتلأتُ له بُغْضًا. فَصِرْتُ إليه. فقلتُ: أأنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابنُ ابنه. فقلتُ له: فيك وبك وبأبيك. أسُبُّهما. فقال: أحُسبُك غريبًا! قلتُ: أَجَلْ. فقال: إن لنا منزلا واسعًا، ومعونَةً على الحاجة ومالا نُوَاسِى منه. فانطلقْتُ وما أَجِدُ على وجهِ الأرض أَحبَّ إلىَّ منه][2].

* * *

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: ويتصل بهذا الباب ذكرُ من رغِبَ برجلٍ عن إرثِ رجلٍ لا يُشَاكله. وولاية رجلٍ لا يشابهُه. قال الشاعرُ[1]:

بكتْ دار بِشْر شَجْوَها أنْ تبدَّلَتْ ... هلالَ بن قَعْقَاع ببشْرِ بن غالب
وما هيَ إلا كالعروس تنقَّلتْ ... على رَغمها من هاشمٍ فى محارب[2]

[للفرزدق حين ولي ابن هبيرة العراق]

وقال الفرزدقُ حين وَلِى العِراقَ عمرُ بن هُبَيْرَةَ الفزاريُّ بَعقِب مَسْلَمة بن عبد المِلك[3]:

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغال عُشيَّةً[4] ... فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاك المَرْتَعُ!
ولقد علمتُ إذا فزارة أمّرتْ[5] ... أنْ سوفَ يطمَعُ فى الإمارة أَشْجَع[6]
فأرى الأمور تنكرتْ أعلامُهَا[7] ... حتى أمَيَّة عن فزارةَ تُنْزَعَ
عزل ابنُ بِشْر وابنُ عمرو قبلَه ... وأخو هراةَ لمثلها يَتَوقَّعُ

فلما وَلِى خالدُ بن عبد الله القَسْرىُّ على عُمَر بن هُبَيْرَة. قال رجلٌ[8] من بنى أسد يجيب الفرزدق:

عجبَ الفرزدقُ من فَزارة أن رأى ... عنها أُمَيَّة بالمشارق تُنْزَع

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى؛ نسبه أبو تمام إليه فى الحماسة ص ١٥١٣ - بشرح المرزوقى.

(٢) قال المرزوقى: شجوها. انتصب على أنه مفعول به. والشاعر يفضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التى كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فيها بدلا منه هلال - بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هى فى استبدالها إلا كعروس زوجت من بنى هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.

(٣) ديوانه ٥٠٨ : «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشام، وولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى». مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

(٤) الديوان:

* ومَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُوَدَّعًا *

(٥) الديوان: «لئن فزارة أمرت».

(٦) ر: «يطمع».

(٧) الديوان:

* إنَّ القيامةَ قدْ دَنَتْ أَشْرَاطُها *

(٨) نسبها المرصفى إلى إسماعيل بن عمار الأسدى.

فَلقد رأى عجبًا وأُحْدِثَ بعدَه أمرٌ تَضِجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ
بَكَت المنابرُ من فَزارة شَجْوَهَا فاليومَ من قَسْرٍ تَذُوبُ وتجزَعُ
وملوكُ خِنْدفَ أَسْلَمونَا للعدَى[1] لله دَرُّ ملوكنا ما تَصْنَعُ!
كانوا كتاركة بَنِيها جانبًا سَفهًا وغيرَهُمُ تَصُونُ وترْضِعُ

[للفرزدق أيضا فى هجاء عمرو بن هبيرة]

قال أبو العباس: وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعمرَ بن هُبَيْرَة عند ولايته العراقَ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك:

أميرَ المؤمنينَ وأَنت بَرٌّ أَمينٌ لستَ بالطَّبَع الحريص
أَأَطْعَمْتَ العراقَ ورافِدَيْه فزاريًّا أحَذَّ يد القميص[2]
تَفَيْهقَ بالعراق أبو المُثَنَّى وعَلَّم قومَهُ أَكْلَ الخَبيصِ
ولم يَك قبلَها راعِى مَخَاضٍ ليأمَنه على وَرِكَىْ قلوص

قوله: «لست بالطَّبَع الْحريص». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهمُ لشدة طمعه. وإنما أخذ هذا من طبع السيفِ، يقال: طبَعَ السيفُ، يا فتى! وهو سيفٌ طبع، إذا ركبه الصَّدَأ حتَّى يُغَطِّيَ عليه. والمَثَلُ من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ. يقال: طَبَع الله على قلب فلان. كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿**خَتَمَ اللهُ على قُلوبهم وَعَلى سَمْعهم**﴾. هذا الوقف. ثم قال: ﴿**وَعَلَى أَبصارهم غشَاوَةٌ**﴾[3] وكذلك: رينَ عَلَى قلبه، وغينَ على قلبه؛ فالرَّيْنُ يكونُ من أشياءَ تَأْلَفُ عليه فتغطيه. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**كلا بل رَان علَى قُلوبهم مَا كانُوا يكْسبُون**﴾[4]. وأما «غينَ على قلبه». فهى غِشاوةٌ تعتَريه. والغَيْنَةُ: القطعة من الشجَر الملتفِّ تُغطى ما تحتهَا، قال الشاعر:

كأَنِّى بَيْنَ خافِيَتَىْ عُقَابٍ أَصابَ حَمامةً فى يوم غَيْنِ[5]

(١) ر: «ذللتنا للعدى».
(٢) ر: «أأطمعت». وما أثبته عن الأصل. س.
(٣) سورة البقرة ٧ . وفى ر: «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.
(٤) سوة المطففين ١٤ .
(٥) نسبه المرصفى إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله: =

وقالَ بعضُهم: أرادَ فى التفاف من الظُّلْمة. وقال آخرونَ: أراد فى يوم غيم. فأبدل من الميم نونًا. لاجتماع الميم والنون فى الغُنَّة. كما يقالُ للحيَّة: أيْمٌ. وأَيْنٌ. واستجازت الشعراءُ أن تَجْمعَ الميم والنونَ فى القوافى. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّة. قال الراجز:

بُنىَّ إن البِرَّ شىءٌ هيِّنْ ... الْمَنْطِقُ اللِّينُ والطُّعَيِّمُ

وقال آخرُ[1]:

ما تَنقِمُ الحربُ العَوَانُ منِّى ... بازلُ عامَيْن حديثٌ سنِّى[2]

* لِمثْلِ هذا وَلَدتنى أمِّى *

والعِرَاقَانِ: البصرة والكوفة. والرَّافِدَانِ: دِجْلَة والفراتُ.

وقوله: «أَحَذَّ يدِ القميصِ»، الأحَذ: الخفيفُ. قال طَرَفَة:

* وأَتْلَعُ نهَّاضٌ أحَذ: مُلَمْلمُ *[3].

وإنما نَسَبه بالخفة فى يده إلى السرقة[4].

وقوله: «تَفهَّقَ»، أى امتلأ مالا[5]. يقال: بئر تَفْهَقُ. وغَديرٌ يَفْهَقُ، إذا امتلأ ماءً. قال الراجزُ:

لا ذَنْبَ لِى قد قلتُ للقومِ استَقُوا ... والقَوْمُ فى عُرْض غَديرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب:

نفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المَحلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابِيَةِ الشيخِ العِرَاقِى تَفْهقُ

=

فِداءٌ خالتى وفِدًا صَديقى ... وأَهْلى كُلُّهم لِبَنى قُعَيْن

فأَنْتَ حَبَوْتَنى بعنانِ طِرْف ... شَديد الشدِّ ذى بذل وَصَوْن

(١) نقل المرصفى عن ابن سيده. أنه أبو جهل بن هشام.

(٢) البازل من الإبل: ما استكمل السنة الثامنة. وطعن فى التاسعة. فإذا جاوز البزول قيل بازل عام أو عامين؛ وكذلك ما زاد؛ فإذا قيل ذلك للرجل فإنه يراد استكمال شبابه. قاله المرصفى.

(٣) رواية البيت بتمامه. كما فى ديوانه (٥٦ ـ مجموعة العقد الثمين).

وأَرْوَعُ نباضٌ أحَدُّ مُلَمْلَمٌ ... كمِرْداةِ صَخْرٍ منْ صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

(٤) ر: «السرق». (٥) ر: «ماء».

هكذا فى رواية أبى عُبيدة.

وقوله:

ولم يَك قبْلَها راعِى مَخاضٍ ... لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلوص

كانت بنو فَزارَةَ تُرمَى بِغشيانِ الإبل. ولذلك قال ابنُ دارَةَ:

لا تأمَنَنَّ فَزاريًّا خلَوْتَ به ... على قُلوصِكَ واكتُبْها بأَسْيَارِ

[للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق:

لعمرى لئن نابتْ فَزارَةَ نَوْبَةٌ ... لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَحبسُها قَسْرُ

لقد حَبَس القَسْرىُّ فى سجن واسط ... فتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فَتى لم تربُبهُ النصارَى ولم يكنْ ... غِذاءً له لحمُ الخنازيرِ والخَمْرُ

قوله: (١فتى شيظميا١) . الشَّيْظمىُّ: الطويلُ. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً فى مفَازَةٍ ... عَرَاقِيبَها بالشَّيْظَمِىِّ المواشِكِ(٢)

يريدُ حاديًا يَسُوقُها، وقوله: «ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ». يقول: ما يُحَرِّكه.

وقوله: «فَتى لم تُرَبْهُ النصارى» يُنَبِّه به على أمِّ خالد، وكانت نصرانيةً روميَّة، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيد للرُّوم، فأَوْلدها خالدًا وأَسَدًا، ولذلك يقولُ الفرزدقُ:

ألا قطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطيَّة ... أتتْنا تَهادى من دِمَشقَ بخالد

وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانت امُّهُ ... تَدينُ بأَنَّ اللهَ ليس بواحد!

بَنى بيعَةً فيها النَّصارَى لأمِّه ... ويَهْدِمُ من كُفْر مَنارَ المَساجِدِ

وقال:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالد ... وأصحابه لا طهَّر اللهُ خالدَا

بَنَى بيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّهِ ... ويَهْدِمُ مِنْ بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

(١ ـ ١) ساقط من ر.

(٢) ديوانه ٤٢٦ . والمواشك: السريع.

وكان سببُ هَدم خالد مَنار المساجد حتى حَطها عن دُورِ الناس أنه بلغه شعرٌ لرجلٍ من الموالى. موالى الأَنصار. وهو :

ليـــتنى فى الْمُـــؤَذِّنينَ حَـيَــاتِى ,   إنهم يُبْـصِـرونَ مَـنْ فى السُّطوح
فَـيُشِــيــرونَ أو تُشـيــرُ إليـهم   بالـهَـــــوى كـلُّ ذاتِ دَلٍّ مَلِـيح

فحطها عن دُور الناس. ويُرْوَى عنه فيما رُوِيَ من عتُوِّه أنهُ استُعْفِيَ من بيعة بناها لأمِّه. فقال لملإ مِنَ المسلمين: قَبحَ اللهُ دينهم، إن كان شَرًّا من دينكم!.

* * *

[للفرزدق عند هروبه من سجن ابن هبيرة]

وقال الفرزدقُ لابن هُـبَيْرَةَ حين[1] نُقِبَ له السـجنُ وهرب، فسـار[2] تحت الأرض هو وابنه حتى نَفَذَا[3]:

لَمَّـا رأيتَ الأرضَ قـد سُـدَّ ظهُـرها   ولم يَبْقَ إلا بـطنَهـا لـك مَـخْـرَجـا
دعَـــوْتَ الذى ناداه يونُسُ بـعـدَ مـــا   ثوَى فى ثلاث مُـظْلمـات فَـفـرَّجَـا
فأصبحتَ تحتَ الأرض قد سرْتَ سيرةً   ومـا سار سـارٍ مثـلها حيَن أَدْلَجَـا[4]
خـــرجتَ ولم يَـمْنُنْ علـيكَ طَلاَقَــةً   سوى رَبد التَّقْريبِ من نَسْلِ أَعْوَجَا[5]

فقـال ابنُ هُبَيرة: مـا رأيتُ أشرفَ من الفـرزدق! هجانِى أميـرًا. ومدحَنِى أسيرًا.

قـولُه: «حـيثُ أَدلَجَـا». تقـولُ: أَدْلجْتُ، إذا سـرتَ فى[6] أول اللـيل. وادَّلَجْتُ، إذا سرتَ من آخره فى السَّحر. قال زُهَيْرٌ:

---

(١) ر: « حيث » .
(٢) ر: «وسار».
(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .
(٤) ر: «حيث أدلجا». وهذه رواية الأصل والديوان.
(٥) ر: الديوان: «من آل أعوجا».
(٦) ر: «من».

بكَرْنَ بُـكورًا وادّلَجن بسُــحْــرَةٍ   فُـهنَّ لِوَادى الرَّسِّ كـالـيـدِ للفَم

وأَعْـوَجُ فرسٌ كـان لِغَنيٍّ، وقالوا: كـان لبنى كـلاب. ولا يُنْكَرُ هذا. لأن خبيبة[1] بنت ريَاح الغَنَويَّة ولدَتْ لبنى جـعفر بن كلاب. فَـلَعله أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفر بن كلابٍ من غَنيٍّ.

والعربُ تَنْسُبُ الخَـيْلَ الجيادَ إلى أَعْوجَ، وإلى الوَجـيه، ولاحِق. والغرابِ. واليَحْموم. وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدمات. قال زَيْد الخَيْل:

جَلَبْنَا الخَـيـل من أجـأ وسَـلمى   تخَبُّ نَزائـعًـا خَـبَـبَ الذئابِ[1]

جلَـبْنَـا كلّ طِـرْفٍ أَعْـــوَجىٍّ   وسَلْهَـبَـةٍ كـخـافِيَّـةِ العُـقَـابِ[2]

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيب؛ قال امرؤُ القيس فى طول الليل:

كـأنَّ الثُّريَّا عُلِّقَـتْ فى مَصَـامِهـا   بأَمْـرَاس كَـتَّـانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

فـهـذا فى ثَبات الليل وإقـامـتـه. والمصَامُ: المقَـامُ. وقيـل للممسك عن الطعام: صـائم، لثباته على ذلك، ويقـال: صـامَ النهارُ إذا قامت الشمسُ. قال امرؤُ القيس:

فَـدَعْهـا وسل الهمَّ عنك بِجَسْـرةٍ   ذَمُـولٍ إذا صـامَ النـهـارُ وهَجَّـرا

وقال النابغة:

خَيْـلٌ صِيامٌ وخَـيْلٌ غـيرُ صائـمةٍ   تحت العَجَاج وخـيلٌ تَعْلُكُ اللُّجَما

والأمـراسُ: جمع مَـرَس. وهو الحبلُ. قـال أبو زُبَيْدٍ يرثى غـلامهَ ويذكـر تعرضه للحرب[4]:

إمَّـــا تُقَـارَنْ بـكَ الرِّمَـاحُ فِـــلا   أَبـكـيـكَ إلا لِلـدَّلْـوِ والمـرَس[5]

* * *

(١) ر: « حبيبة ». وما أثبته عن الأصل.

(٢) النزائع: جمع نزيعة، وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه.

(٣) السلهبة، والسلهب أيضا الفرس الطويل.

(٤) ر: «وتعرض للحرب فقتل».

(٥) ر: «إما تعلق». وما أثبته رواية الأصل. س.

وقال فى ثَباتِ الليل:

فيالَكَ من ليلٍ كأنّ نُجومَهُ بكل مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَذْبُل

المُغارُ: الشديدُ الفَتْلِ. يقال: أَغَرْتُ الحبلَ. إذا شددتَ فتْله. ويَذْبُلٍ: جبلٌ بعينه.

* * *

وقال أيضًا:

كأنَّ أبانًا فى أفانين وَدْقه كبير أناسٍ فى بجَادٍ مُزمَّل

أبانٌ جبل. وهما أبانَان: أبانٌ الأسْوَد. وأبانٌ الأبيض، قال المُهَلْهِلُ[1] - وكان نزَلَ فى آخرِ حربِهم - حربِ البَسوسِ - فى جَنْب بنِ عَمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالكٍ، وهو مَذْحجٌ. وجَنْبٌ حَىٌّ من أحيائهم وَضيعٌ - فخُطَبَت ابنتُه ومُهِرَت أَدَما. فلم يقدر على الامتناع، فزوَّجَها، وقال:

أنْكَحَها فَقْدُها الأراقم فى جَنْبٍ وكان الْحباءُ من أَدَم[2]

لو بِأَبانَيْنِ جاءَ يخْطُبُها ضُرِّجَ ما أَنْفُ خاطبٍ بدَمِ

وقوله: «فى أفانين ودقه» يريد ضروبا من ودقه. والودق: المطر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فترى الودق يخرج من خلاله**﴾[3].

وقال عامر بن جوين الطائى:

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أَبْقلَ إِبْقالها

وقوله:

* كَبيرُ أُناَس فى بجَاد مُزَمَّلٍ *

يريدُ مُزَمَّلا بثيابه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يأيُّها المُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيلَ إلا قليلا**﴾[4]. وهو المُتَزَمِّل. بثيابه[5] والتاء مدغمةٌ فى الزاى. وإنما وَصَفَ

---

(١) ر: «مهلهل».

(٢) الأراقم: قبائل من تغلب؛ ويريد بالحباء هنا المهر. والأدم: الجلد.

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) سورة المزمل ١، ٢.

(٥) ساقطة من ر.

امـرؤُ القيس الغيثَ. فقال قومٌ: أراد أنَّ المطر قد حَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمِّل.

وقال آخـرون: إنما أراد ما كساه المطَرُ من خُـضرة النبت. وكلاهمـا حَسَنٌ، وذَكر الوَدْق لأن تلك الخضرة من عمله.

* * *

وقال الراجزُ يصفُ غيْمًا:

أقْـبَلَ فـى المسْـتَنِّ من ربَـابِهِ ... أَسْنِمَـةُ الآمـال فى سَـحَـابِهِ

أراد أَنّ ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبل، فتصيرُ شُحومُها فى أَسنمتها.

والرَّبابُ سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب، قال المازنىُّ[1]:

كـأنَّ الربابُ دُوينَ السَّحَـابِ ... نَعَـامٌ يُعَلَّقُ بالأرْجُلِ

وقوله جل وعزَّ: ﴿إِنِّى أرانى أَعْصِرُ خَمرًا﴾[2] أى أَعصرُ عِنبًا فـيصيرُ إلى هذه الحال.

* * *

وقال زُهَيرٌ:

كـأَنَّ فُتَـاتَ العِـهْنِ فى كل مَنزلٍ ... نَزَلْـنَ به حَـبُّ الفَـنَا لـم يُحَطَّمِ

الفَنا: شجرٌ بعينه، يُثْمِرُ ثمرًا أَحمرَ ثم يتفرَّقُ فى هيئة الـنّبِق الصّغار. فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أَنماطِهِنَّ إذا نَزلْنَ.

والْعِهْنُ: الصُّوف المُلَوَّن فى قول أكثر أَهل اللغة. وأما الأصمعىُّ فقال: كلُّ صوف عهنٌ. وكـذلك قال أهلُ اللغة: الحنْتَمُ الخزَفُ الأخضرُ. وقـال الأصمعىُّ: كلُّ خزَفٍ حنتمٌ. قال القُرَشِىُّ[3]:

مَنْ مُـبْـلغُ الحسْناءِ أَنَّ حليـلَهـا ... بمَيْسَانَ يُسْـقَى فى زُجاج وحَنْتَم

---

(١) نقل المرصفى من الأغانى أنه زهير بن عروة بن جلهمة.

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبه المرصفى إلى النعمان بن عدى بن نضلة.

وقالَ جريرٌ :

ما فـي مَقامِ ديار تَـغْلِبَ مَسْـجِدٌ   وبهـــــا كنائِسُ حَنْتَمٍ ودِنان

* * *

والتشبيهُ جـار كثيرٌ فى كلام العربِ، حتى لو قالَ قـائلٌ: هو أكثر كلامِهِمْ، لم يُبْعِدْ.

قـال الله عـز وجلَّ وله المَثَلُ الأعْلَى: ﴿**الزُّجاجَةُ كـأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾[1]. وقال: ﴿**طَلْعُهـا كأَنَّهُ رءُوسُ الشَّـياطين**﴾[2]. وقد اعـترضَ معتـرضٌ من الجهلة المُلْحدين، فى هذه الآية. فـقال: إنما يَمَثَّلُ الغائبُ بالحاضِـرِ، ورءوس الشياطين لم نَرَها، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها!

وهؤلاء فى هذا القـول كما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**بل كَذَّبْوا بمَا لـم يُحيطُوا بعلْمـه ولَمَّـا يَأتهمْ تأويلُهُ**﴾[3]. وهذه الآيةُ قـد جاء تفـسيرها على ضـربين[4]. أحدَهمَا أن شجرًا يقال له الأسْتَنُّ[5]. منكَرُ الصورة يقالُ لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله:

* تَحِيدُ من أَسْتَن سُودٍ أَسَافِلُهُ *[6].

وزعم الأصمعىُّ أن هذا الشجَر يسمى الصَّوْمَ.

والقولُ الآخرُ ـ وهو الذى يَسْـبقُ إلى القلب ـ أن الله جَلَّ ذكُره شَنَّعَ صورةَ الشياطِين في قُلوب العبادِ. فكان[7] ذلك أبلغَ من المعايَنةِ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ مما تَنْفِرُ منه كلُّ نفس.

---

(١) سورة النور ٣٥ .   (٢) سورة الصافات ٦٥ .   (٣) سورة يونس ٣٩ .

(٤) ر : «فى ضربين». وما أثبته عن الأصل. س.

(٥) نقل المرصفى عن أبى حنيفة الدينورى أنالأستن شجر يفشـو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس.

(٦) بقيته :

* مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما *

(٧) ر : «وكان».

[حديث أبى النجم العجلى مع هشام بن عبد الملك]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ فى إسنادٍ متصل أن أبا النَّجْمِ العِجْلِىَّ أنشدَ هشاما[1]:

* والشمسُ قد صارتْ كَعَيْنِ الأحْوَلِ *

لما ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفكر فى عين هشامٍ، فأغضبه، فأمَرَ بطرده. فطُرِد[2]. فأقَلَ أبو النَّجمِ رَجْعتَهُ. فكان[3] يأوى المسجد[4]، فأَرِقَ هشامٌ[5] ذات ليلة فقال لحاجبه: أبْغِنى رجلا عَرَبِيًّا فصيحًا يحادثُنى ويُنْشدُنى. فَطَلَبَ له ما طَلَبَ، فَوَقَفَ على أبى النَّجم، فَأتى. فلما دُخِلَ به إليه قال: أين تكون منذُ أقصيناكَ؟ قال: بحيثُ ألفتْنى رُسُلكَ، قال: فمن كان أبا مَثْوَاكَ؟ قال: رَجُلين: كَلْبِيًّا وتَغْلَبِيًّا. أتَغدَّى عند أحدهما. وأتعشىَّ عند الآخرِ. فقال له: مالَكَ مِنَ الوَلَد؟ قال: ابنتان. قال: أزَوَّجْتَهما؟ قال: زوَّجتُ إحداهما. قال: فيم أوصَيْتَها؟ قال: قلتُ لها ليلةَ أهْدَيْتُها:

سُبِّى الحماةَ وابْهَتى عليهَا ... وإنَّ أبَتْ فازْدَلفى إليهَا
ثم اقْرَعِى بالوُدِّ مِرْفَقيهْا[6] ... وجَدِّدِى الْحِلْفَ به عليهَا

* لاَ تُخْبرِى الدهرَ بذاكَ ابْنَيْهَا *

قال: أفأوصيتَهَا بغيرِ هذا؟ قال: نَعم، قلت:

أَوْصَيْتُ من بَرَّةَ قلبًا حُرًّا ... بالكَلْب خيرًا والحماة شرًّا
لا تَسْأَمِى نَهكا لها وضَرًّا ... والحَىَّ عُمِّيهمْ بِشَرٍّ طُرًّا
وإن كَسَوكِ ذهبًا ودُرًّا ... حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياة مُرًّا

---

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التى مطلعها.

* الْحَمْدُ للهِ الْعَلِىِّ الأجْلَلِ *

(٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «وكان».

(٤) ر: «المساجد».

(٥) ر: «أرق هشام ليلة».

(٦) الود: الوتد.

قـال هشـامٌ : مـا هكذا أوْصَى يعـقـوبُ ولـدَه، قـال أبو النجم: ولا أنا كيعقـوبَ، ولا بنتى كولده. قال: فما حالُ الأخـرى؟ قال: قد دَرَجَتْ بين بيوت الحيِّ، وتنفعنا[1] فى الرسالة والحاجة. قال: فما قلتَ فيها؟ قال: قلتُ:

كـأَنَّ ظَلامَـةَ أختَ شَـيـبـانْ ... يَتـيـمـةٌ ووالـداهَا حَـيَّـانْ
الرأسُ قَـمْلٌ كلـه وصـئْـبَـانْ ... وليس فـى الرِّجْلَيْن إلا خَـيْطَانْ

* فَهْىَ التى يُذْعر منها الشيطانْ *

قال: فـقال هشـام: يا غلام[2]، ما فـعلت الدنانير المخـتومة الـتى أمرتُك بقبـضها؟ قال: ها هى عندى، ووزْنُهـا خمسمـائة. قال: فادفعْـها إلى أبى النجم ليجعلهَا فى رِجلَىْ[3] ظَلاَّمَةَ مكانَ الخيْطَيْن، أفلا تراهُ قال:

* فهْىَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

وإن لم يَرَه. لما قرَّرَ فى القلوب من نكارَته وشَناعَته! وقال آخرُ :

وفى البَـقْلِ إن لم يَدْفَعِ الله شَـرَّهُ ... شَيَاطين يَعْـدُو بَعْضُهُنَّ على بعض

وزعَم أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمردٍ من جنٍّ أو إنس أو سَبُعٍ[4] أو حية[4] يقال له شيطانٌ. وأن قـوله: «تَشَيْطَنَ» إنما معـناه تخَبَّثَ وتَنكَّر. وقد قـال الله جل وعزَّ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾[5]. قال الراجز:

أبْصَـرْتُهـا تَلْتَـهِم الثُّـعْبـانَا ... شـيـطانةٌ تَزَوَّجَـتْ شـيطـانًا

وقال امرؤُ القيس :

أتوعِـدُنى والمشْـرَفِىُّ مُضَـاجِـعى ... ومَـسْنُونَةٌ زُرْقٌ كـأَنْيـاب أَغْـوَال!

والغولُ: لم يَخبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها.

* * *

ثم نرجعُ إلى تفسير شعر أَبى النجم[6]:

---

(١) ر : «ونعتنا» . (٢) ر : «لحاجيه».
(٣) ر : «رجل». (٤) ساقطة من ر .
(٥) سورة الأنعام ١١٢ . (٦) ر : «وأقول أبى النجم».

قوله: * سُبِّى الحماةَ وابْهَتِى عليها *

إنما يريد: ابهَتيها، فوضَعَ «ابهتى» فى موضع «اكْذبى» فمن ثَمَّ وصلَها بـ «على».

والذى يُستعملُ فى صلَة الفعل اللام، لأنها لام الإضافة، تقول: «لزيدٍ ضربتُ» و «لعمرٍو أكرمتُ» والمعنى: عمرًا أكْرَمتُ، وإنما[1] تقديرُه: إكرامى لعَمْرو. وضربى لزيد. فأجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصدر، وأَحسنُ ما يكون ذلك إذا تَقدَّمَ المفعول. لأن الفعل إنما يجىء وقد عَملَت اللامُ. كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إنْ كُنتُمْ للرُّؤيَا تَعْبُرُونَ﴾[2]. وإن أُخِّرَ المفعولَ فهو عربىٌّ[3] حسنٌ. والقرآنُ محيطٌ بجميع[4] اللغات الفصيحة، قال الله جل وعزَّ: ﴿وَأُمِرْتُ لأنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلمينَ﴾[5] والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكمْ﴾[6]: إنما هو: رَدِفكُمْ. وقال كُثَيِّرٌ:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروفُ الخفضِ يُبْدلُ بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنًى فى بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[7]، أى «عَلَى» ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطت دخلتْ «فى». لأنها للوعاء. يقال: «فلانٌ فى النَّخْلِ». أى قد أحاطَ به. قال الشاعر[8]:

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِىَّ فى جذْعِ نخلة ... فلا عَطَسَت شَيْبانُ إلا بأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمعُونَ فيه﴾[9] أى عليه. وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ منْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنَ خَلْفِه يَحْفَظُونَه مِنْ أَمْرِ الله﴾[10]، أى: بأمرِ الله. وقال ابنُ الطَّثْرِيَة:

---

(1) ر: «فإنما».
(2) سورة يوسف ٤٣.
(3) ر: «فعربى».
(4) ر: «بكل».
(5) سورة الزمر ١٢.
(6) سورة النحل ٧٢.
(7) سورة طه ٧١.
(8) هو سويد بن أبى كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧. وبأجدع. أى بأنف أجدع.
(9) سورة الطور ٣٨.
(10) سورة الرعد ١١.

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدمَا رأتْ حاجبَ الشمسِ اسْتَوَى فتَرفعا

وقال الآخرُ :

غَدتْ مِن عليه بعدَمـا تَمَّ خمسُها تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بزيزاءِ مَجْهَل[١]

أى من عنده.

وقال العامرى[٢]:

إذا رضـيتْ علىَّ بنو قُشـيْـر لعـمـر اللهِ أعـجـبنـى رضَـاها

وهذا كثيرٌ جداً .

وقوله : * وإنْ أبَتْ فازدَلِفِى إلَيْهَا *

يقول: تقربى، ومن ذا سُمِّيت المزْدلفةُ، قال العَجَّاج:

نَاج طَواهُ الأيْنُ مِمَّا وجَـفا طَىَّ اللَّيالى زُلَفًا فَـزُلفا

* سَمَاوَةَ الهلالِ حتى احْقَوْقَفَا *

يقال[٣]: زُلفةٌ وزُلَفٌ. كقولك: غُرْفةٌ وغُرَفٌ.

وقوله: * بالكلب خيرًا والحماة شرًّا *

كلامٌ مَعيبٌ عندَ النحويين، وبعضُهم لا يُجيزه؛ وذلك لأنه[٤] عَطَفَ على عاملَيْن. على الباء[٥] وعلى الفعل. ومنْ قال هذا قال: ضربتُ زيدا فى الدار، والحُجْرة عمرًا.

قال أبو العباس: وكان أبو الحسن الأخفشُ يراهُ ويقرأُ: ﴿**واخْتلاف اللَّيْل والنَّهار ومَا أنْزل اللهُ منَ السَّماء من رزْق فأحْيَا به الأرْضَ بَعْد مْوتها وتَصْريف**

---

(١) لمزاحم العقيلى فى وصف القطا، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال فى شرحه: «قال ابن السكيت فى قوله: «من عليه»: من فوقه. يعنى من فوق الفرخ. ومعنى: «تصل»، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل: «هو القحيف العقيلى».

(٣) ر: «تقول».

(٤) ر: «وذاك أنه».

(٥) ر : «بالباء».

﴿الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾[1]. فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدىُّ بن زيد:

أَكُلَّ امْرِئٍ تحْسِبِينَ أمْرأً ... ونار توَقَّدُ بالليل نَاراً

فعطفَ على «كلّ» وعلى الفعل.

وأما قوله:

* غَدَتْ مِنْ عليه بعد ما تمَ خِمْسُهَا *

فالخِمْسُ: ظِمءُ من أَظْمَائها، وهو أن تَرِدَ ثم تُغَبَّ ثلاثا. ثم ترد. فيُبْتَدُّ بيَوْمَىْ وِرْدِها مع ظِمْئِها. فيقال: خِمْسٌ، والرِّبْع كحُمَّى الرِّبْعِ.

وقوله: «تَصِلُّ» أى تَسْمَعُ لأجوافها صَليلا من يُبْس العطَش، يقال: المسمار يصِلُّ فى الباب إذا أُكْرِهَ فيه. قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَته فى هجَائه الفرزدق:

لو كنتَ حين غُررْتَ بَيْنَ بُيُوتنَا ... لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحَديدِ صَليلا

ويقال للحمارِ: الْمصَلْصِل. إذا أخرج صوتَه من جوفه حاداًّ خفيًّا.

قال الأعْشَى:

عَنْتريس تَعْدُو إذا حُرِّكَ السَّوْ ... طُ كعَدْو المصَلْصِلِ الجَوَّالِ[2]

وقال المفسرون فى قوله عز و جل: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[3]. قالوا[4]: هو الطين الذى قد جَفَّ، فإذا قَرَعَهُ شىءٌ كان له صَليلٌ. وتفسيرُ ذلك عند العربِ التِّقْنُ[5] الذى يَذهب عنه الماءُ فى الغدرانِ فيَتَشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ.

والقَيْض: قشْرُ البيضة[6] الأعلى، والذى يَلْبَسُ البيضةَ فيكونُ ما بينها وبين قشرها الأعلى. يقال له: الغرْقِىءُ. يقال: ثوبٌ كأنه غِرْقِىءُ البيض[7].

والزِّيزَاءُ: ما ارتفعَ من الأرض: وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا كان لمذكر. كالعِلْباء والحِرْباء، وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُفَسَّراً، على أَنَّا قد استقصيناه فى الكتَابِ (المقْتَضَب).

---

(١) سورة الجاثية ٥ . بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشاف ٤ : ٢٢٥.

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عنتريس: صلبة قوية، أخذه بالعرندسة. إذا أخذه بالجفاء والغلظ، والمصلصل: الصافى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦ . (٣) ر : «قال». (٥) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء.

(٦) ر: «البيض». (٧) ر: «بيض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التى يُجْهَلُ فيها، فلا يُهْتَدى لسَبيلِها.

ويقال للشىء إذا غَبَّ وتغيرت رائحتُه. صَلَّ وأَصَلَّ. فهوَ صالٌّ ومُصَلٌّ ويقال: نَتَنَ وأَنْتن. ويقال: خَمَّ وأخَمَّ. وذاك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا عَتَقَ اللحم فتغير: خَنِزَ وخزِنَ. وبيتُ طَرَفَة أحسنُ ما يُنْشَدُ:

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها ... إنما يَخْنز لَحْمُ المدَّخِرْ

ويقال لربِّ البيت وربَّة البيت اللَّذَين ينزل بهما الضَّيفُ: هى أُمُّ مَثْوَاهُ. وهو أبو مَثْوَاهُ. وأنشد أبو عُبيدةَ:

مِن أُمِّ مَثْوَى كريم قد نزلْتُ بها ... إنَّ الكريم على عِلاتِهِ يسعُ

وفى كتاب الله جل وعزَّ: ﴿أَكْرِمى مَثْواهُ﴾ معناه عند العرب إضافتُه.

* * *

ومن التشبيه المطردِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيرِ الناقةِ وحركة قوائمها، قال الراجزُ:

كأنها ليلة غب الأزرق ... وقد مددنا باعها للسُّوَّق

* خَرْقاء بين السُّلَّمَيْن تَرْتَقى *

قوله: «ليلة غِبَّ الأزْرَق»، إنما يعنى موضعًا، وأَحْسِبُه ماءً، لأنهم يقولون: نَطْفَةٌ زَرقاءُ. وهى الصافيةُ، قال زهير:

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقًا جمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المُتَخَيِّمِ[1]

وقال آخرُ:

فأَلْقَتْ عصا التَّسْيَار عنها وخَيَّمَتْ ... بأَرْجاءِ عَذْبِ الماءِ زُرْقٍ مُحافِرُ

وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوَّق

---

(١) ديوانه ١٣ : الجمام: ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين حضروا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندَها فى[1] السَّير. يقال: تَبَّـوعَتْ وانْبَاعَتْ، إذا مدَّتْ باعَها.

وقوله: خرْقاءُ بين السُّلَّمَيْن تَرْتقى

يقول: لكثرةِ حركة الخرقاء وقلةِ حذْقها بالصُّعود.

وقال الآخرُ:

كـأنَّهَـا نائحـةٌ تَفَـجَّع … تَبْكِى بشجوٍ وسِواهَا الموجع[2]

* * *

وقال الشَمّاخُ:

كـأنَّ ذرَاعَيْـهَـا ذراعـا مُـدلَّة … بُعـيْدَ السِّبـاب حاولَتْ أَنْ تَعَـذَّرَا[3]

مِن البيضِ أعطـافًا إذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ … فرَاشَ بن غَـنْمٍ أو لَقيطَ بَن يَعـمَرَا[4]

بهـا شَرَقٌ منْ زَعْـفَرَان وَعَنْبَـر … أطارتْ من الحُسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّـرا[5]

تقـولُ وَقـد بَلَّ الدُّموعُ خمـارَهَا … أَبَى عـفَّتى ومَنْصـبى أن أُعَـيَّـرا

كـأنَّ بذفْـرَاها مَنَاديـلَ فَـارَقَتْ … أَكُفَّ رجـال يَعْـصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا

كـأنَّ ابنَ آوَى مُـوثَقٌ تحتَ غَرْضِـها … إذا هو لـم يكْلِـمْ بِنَابَيْـه ظَفَّـرَا

شَبَّـه يديها بيدَىْ مُـدلَّة بجمال ومنـصب قد سابَّتْ وأقبلتْ تعتذر وتشـير بيديها. فَوصَفَ جمالهَا الذى به تُدلُّ؛ وَمَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرَتْهُ.

وقوله:

* أطارتْ من الحسن الرداء المحَّبرا *

---

(١) ر: «من السير». (٢) ر: «لشجو».

(٣) ديوانه ٢٩. قال فى شرح الديوان: شبـه ذراعيها وهى تتذرع فى سيرها بـذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أى فى عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس».

(٤) قال فى شـرح الديوان: «البيض: جـمع بيضاء. وهى نقـية العرض من الـدنس. والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب. ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أى أنها شريفة النسب. فهى لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشـرق: الضمخ. وأطارت: رمت. والمحبر: المزين. أى أنها مدلة بجـمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هى مُدِلَّةٌ بجمالهـا. فلا تَخْتَمِر فَتستُرَ شيـئا عن الناظر. لأنها تَبْتَهج بكل ما فى وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبى ربيعةَ المخزومىُّ حيثُ يقولُ:

فلمـا تَوَاقَفْنا وسَلَّمت أقـبلتْ وجُـوهٌ زَهاها الحُسْن أن تَـتَـقَنَّعَـا
تَبَـالَهْنَ بالعـرْفـان لَمَّا عَـرَفْنَنى وقلْنَ امـرؤٌ باغٍ أكَلَّ فـأَوْضَـعَـا
وقـرَّبن أسبَـابَ الهَـوَى لمقَـتَّلٍ يَقـيسُ ذراعًا كـلما قـسْن إصْـبَعَـا
[فـقلتُ لِمُطْرِيهنَّ ويْحَـكَ إنما ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفعاً فتَنفْعَا](١)

قوله:

كـأنَّ بذفْرَاهـا مناديل فـارقتْ أَكُفَّ رحالٍ يعْـصِرُّونَ الصَّنَوْبَرَا(٢)

يقول: لسَوَاد الذِّفْرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

كَـأنَّ كُـحَـيْـلا مُـعْـقَـدًا أَو عَنِيَّةً على رَجْع ذِفْراها مِنَ اللِّيت واكِفُ(٣)

وهذا معنَى يُسألُ عنه لأن اللِّيـتْين صفحتَا العُنُق. والذَّفْـرَى فى أعلى القفا، فكيف يكفُ على الذفْرى مـن اللِيت! والمعنى إنما هو كأنَّ كُحَـيْلا مُعْقَـدًا أو عَنِيَّةً واكفٌ على رجْعِ ذِفْرَاها.

وقـوله: «من الليت» كقـولك: كـموضع دجْلة مـن بغدادَ، إنما هو للحَـدِّ بينهما، لا أنه وَكَفَ من شيءٍ على شيءٍ.

وأما قوله:

كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تَحْتَ غَـرْضِها إذا هو لم يكـلِمْ بنابيْـه ظَـفَّـرَا(٤)

يقـول: ليستْ تَسْتَـقِرُّ. فكأنَّ ابنَ آوَى يكْلِمُهَا بنَابَيْهِ أو يَخْلِبهـا بظُفْره. فهى لا تستقرُّ. وقال أوس بن حَجَرٍ:

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٢) الذفرى: من نصف المقذ إلى أصول الأذنين. وقارفت: قاربت. وبعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه. (من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعنية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر؛ أصابها بأظافيره..

كـأنَّ هراًّ جَنيـبًا تحتَ غَـرْضَـتِهـا والْتَفَّ دِيكٌ برجليـهـا وخنزيرُ[١]

والغَرْضُ والغُرْضَةُ واحدٌ. وهو حزَام الرَّحْلِ.

* * *

وقال آخرُ:

كـأنَّ ذراعـيــهـا ذراعـا بَذيَّة مُفَجَّعَـة لاقَتْ خَلائِلَ عن عَفْرِ[٢]

سَمعْنَ لَها واستفرغَتْ فى حديثِها فلا شىءَ يَفْرِى باليَـدَيْنِ كما تَفرِى

[قال أبو العبـاس: أنشدنيهما عبدُ الصـمد بن الْمعَذَّل. وأنشدنيـه سعيدُ بن سَلْم][٣]. ولو قيل إن هذا من أبلغ مـا قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بـعيدًا. وَصفَها بأنها بَذيَّةٌ وقد فُجعَتْ بما أَسْـمعَتْ ونيل منها؛ ولقيَتْ خلائلها بعدَ زمان. وتلك الشكوى كامنة فيها. وأصْغَيْنَ لهَا فتسمّعن[٤].

والفَرْىُ: الشَّقُّ. يقال: فَرَى أوْدَاجهُ، أى قَطَعَ، وفَرَيْتُ الأديم. وإذا قلتَ: أفرَيْتُ. فمعناه أصلحتُ. وقولُ الحـجَّاج: إنى والله ما أهَمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلُق إلا فَرَيْتُ. يقول: إذا قَدَّرْتُ قطعتُ. يقال: فَرَيْتُ القِـرْبة والمزادةَ، فهما مفْرِيتَّان، قال ذو الرمة[٥]:

* كأنه مِن كُلَى مَفرِيَّة سَرَبُ *

* * *

وقال امرؤُ القيس :

كأنَّ الحَـصَى مِن خلفهـا وأمامـها إذا نَجلَتْهُ رِجـلُها حَذْفُ أَعْـسرَا[٦]

---

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللائى أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٤) ر : «إليها يتسمعن». (٥) ديوانه ؛ وصدره :

* ما بالُ عينك منْهَا الماءَ يَنْسَكبُ *

والكلى: جمع كلية؛ وهى رقـعة تكون فى أصل عروة المزادة. ومفرية: مقطـوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤ ؛ قال فى شرحه: «يقـول: إذا سارت فرقت الحصى إلى كل جهة لشدة سيرهـا، وشبه فعلها ذلك برمى الأعسـر؛ وهو الذى يرمى برجله اليـسرى. وخصـه لأن رميه لا يذهب مـستـمكا. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقته ورمت به. والحذف: بالحصى ونحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الخذف. بالخاء غير معجمة.

كـأنَّ صَـليلَ المَرْو حِينَ تُشـدُّه صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْن بعَبْقَرَا[1]

قولـه: «خَذْفُ أعسَرَا» يريد أنه يذهب على غير قصد. وقوله: «صَلِيلُ زُيُوف» يقال: إن الزائف[2] شَديدُ الصوت صَافيه.

* * *

وقال آخر:

كـأنَّ يَدَيْهـا يَدَا مـاتح[3] أتـى يـوم ورْد لـغـبّ زرَودا
يخـافُ العِقـابَ وفى نفسـه إذا هـو أنْهَلَ ألاَّ يَعُـودا

يقول: هذا الساقى يخافُ العقابَ إن قَصَّرَ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيةً، فهو يستسقى[4] سقية فى مرة واحدة.

* * *

وقد أكثروا فى هذا. فمن الإفراطِ فى السرعة قولُ ذى الرُّمَّة:

كـأنَّه كـوكَبٌ فـى إثْرِ عِـفْـرِيَةٍ مُـسَوَّمٌ فى سَوادِ اللَّيل مُنْقَضِبُ

يقال: عِفْريتٌ وعِفْرِيَةٌ فى معنًى واحد. والتاء فى «عفريتٌ» زائدةٌ. وهو ملحقٌ بـ «قنديل». يقال: فلانٌ [عِفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ، والزِّبْنِيَة: المُنكَر، وجمعه زَبَانِيَةٌ. وأصله من الحركة. يقال: زَبَنه، إذا دَفَعَهُ، ويقال][5]: عِفرِيَة نِفْرِيَةٌ، على التوكيد. [وعِفْريتٌ نِفْريتٌ. ويقال: عُفَارِيةٌ، ولم يُتْبَعْ بِنُفَارية][6].

* * *

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَة:

---

(١) قال فى شرح الديوان؛ «شبه صوت الحجارة إذا رمت بها ووقوع بعضها على بعض بصوت الدراهم الزيوف؛ إذا انتقدها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها أشد من صوت غيرها لكثرة نحاسها. والصليل: الصوت. والمرو: الحجارة. ومعنى «تشده» تفرقه. وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر: «الزيف».

(٣) الماتح: المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر: «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرَتْ يومًا بمؤْخِرِ عينها إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له ابْعَدِ

ومن الإفراط قوله :

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الُحبارَى كأنه بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ[1]

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأطْواءِ أطْواء ضَارجٍ تساقِطنى والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهَدِ

وقال آخر :

مَروحٌ برجليها إذا هى هَجَّرتْ ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرْوحٌ تَغْتَلى فى البِيدِ حَرْفٌ تكاد تَطيرُ مِن رَأْىِ القَطيع

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحْ لَجِئْنَا قبلَها *

وقد مضى خبَرُه .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأجْوَده قولُ امرئِ القيسِ :

وقدْ أَغْتَدِي والطير فى وكُناتِها بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْد.

* * *

وحُدِّثْتُ أن رجلا نظر إلى ظبيةٍ تَرُودُ فقال له أعرابىٌّ: أتحبُّ أُن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فأعطنى أربعَ دراهمَ حتى أردَّها إليك. ففعل. فخرجَ يَمْحَصُ[2] فى إثْرها. فَجدَّتْ وجَدَّ، حتى أخذ بقَرْنَيْها. فجاء بها وهو يقولُ:

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّى خَدَّها تُرِيغُ شَدِّى وأُرِيغُ شَدَّهَا

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّهَا *

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال: محص الظبى فى عدوه يمحص محصا: أسرع وعدا عدوا شديدا، وفى ر : «يفحص» .

قال أبو العباس: ومن حُلوِ التشبيه وقريبهِ، وصريحِ الكلامِ وبليغه[1] قولُ ذى الرُّمَّة :

ورَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعتُه ... وقد جلَّلَتهُ المُظْلِماتُ الحنادسُ[2]

الحِنْدسُ: اشتداد الظُّلْمَة، وهو توكيدٌ لها، يقال: ليلٌ حِنْدِسٌ. وليلٌ أَلْيَلُ. كما يقال: ليلٌ[3] مُظْلِمٌ.

* * *

وقال الشَّماخُ فى صفة الفَرس :

مُفِجُّ الحَوامِى عن نُسورٍ كأنَّها ... نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَج

قولُه: «مُفِجُّ الحوامى» يريد مُفَرِّقُ الحوامى. فالحوامى: نواحى الحافر. والنسُورُ. واحدُها نسْرٌ. وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحافر. ويُحْمَدُ الفرسَ إذا صَلُبَ ذلك منه، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ[4]. وتَرَّتْ: سقطتْ. والجَرِيمُ: المَصْرُومُ. والمُلجْلَجُ: الذى قد لُجْلجَ مَضْغًا فى الفمِ ثم قُذِفَ لصلابته.

وقوله: «مُفِجٌّ» ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفرقة. ولكن الانفصال عن النَّسْر. فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلُه فذلك الرَّحَحُ[5]. وهو مذمومٌ فى الخيل. وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له: مُضْطَرٌّ. وكان عيبًا قبيحًا. قال حُمَيْدُ الأرْقَطُ:

لا رحح فيها ولا اضطرار ... ولم يقلب أرضها البيطار[6]

[* ولا لِحَبْلَيْه بها حَبَارُ *]

الحبار: الأثَر][7]. ويروى: «ولم يقلم[8]». وتأويل ذلك: أن حوافَرها

---

(١) ساقطة من ر .

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العذارى. جللته: لبسته. الحنادس. الليالى المظلمة. والحندس: الظلام. (من شرح الديوان).

(٣) ر : «وليل أليل مظلم». س : «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انبساط الحافر فى رقة.

(٦) ر : «ولم يقلم».

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٨) ر : «ولم يقلب».

لا تَتَشَعَّثْ فيقلِّمها البَيْطار. لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شىءٌ بعدَ شىء فمَحقَها. وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة:

لا فى شظاهَا ولا أَرْساغِها عَنَتٌ   ولا السَّنابكُ أفناهن تَقْليم[1]

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ. وهو الذى هَيْئَتهُ كهيئة القَعْبِ. وإن كان كذلك قيلَ: حافِرٌ وأبٌ[2]. قال ابن الخِرِع[3]:

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الوَليدِ   يَتَّخِذُ الفَأرُ فيه مَغَارَا

يريدُ: لو دخل الفأرُ فيه لَصلَحَ. كقول القائل: فأتى بَجفنَةٍ يقْعدُ عليها عَشرةٌ. أى لو قعَد عليها عشرة لصلَحَ. وقال الراجزُ:

* وأبٌ حَمَتْ نُسُورُه الأوْقارَا *

[يقال: حافرٌ مَوْقُورٌ. وهو أن يُصيبَه داءٌ يشبهُ الرَّهْصةَ][4] وفى كلِّ حافرٍ حاميَتان. وهما حرفاهُ مِنْ[5] عَنْ يمين وشمال. ومُقَدَّمُه السُّنْبُكُ. ومؤُخّرُه الدابِرَةُ.

ومثل قوله: «عن جَريم ملجج» قولُ عَلْقَمَة بن عَبَدَة:

سُلاَّءَةٌ كعَصَا النَهْدِىِّ غُلّ بها   ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[6]

شَبَّهها بالشَّوكة من شوك النخل؛ لأن الفرسَ الأنثى يُحْمدُ منها أن يدقّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء إلى مؤخَّرِها. والحَمَامُ يُحْمَد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصَّدْرُ ثم ينخرط إلى ذنبه ضُموراً. فيقال فى صفته: كأنه جلَمٌ.

وقوله: «كعَصَا النّهدىّ». يريدُ فى الصلابة. كما قال:

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوةِ صِلدم *

وقوله: «ذو فيْئةٍ من نَوى قُرَّان» يقول: ذو رَجْعةٍ. يقول: مَضَغَتْه الإبلُ فلم

---

(١) رواية المفضليات ٤٠٣ : «ولا أرساغها عتب»؛ والعتب: العيب. والشظى: عظم لاصق بالركبة. والسنابك: مقاديم الحوافر؛ يقول: هى وافية السنبك لم تأكله الأرض.

(٢) حافر وأب: صلب قوى.

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع. من بنى تيم من عبد مناة.

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر .

(٥) ساقطة من ر .

(٦) السلاءة : شوكة النخل .

تَكْسِرْه ثم بَعَرَتْهُ صِحَاحًا. ومعجومٌ: ممضُوغٌ. يقال: عَجَمْتُه أعْجُمه عَجْمًا[1] إذا مضغته. فالعَجمُ، ويقال للنَّوى من كلّ شيء: العَجَمُ، متحرِّكُ الجيم[2]. قال الأعشى:

* وجُذعانُها كلَقِيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ:

وظلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْق مُنْقَبِضًا ... فى حَالِك اللَّوْن صَدْق غيرِ ذى أوَدِ

ومثلُ البيت الأول قولُ عُقْبة بن سبقٍ العَنَزِيّ:

لهُ بَيْنَ حَوَاشِيهِ ... نُسُورٌ كَنَوَى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقاربٌ جداً.

* * *

ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعر[3]:

كأنَّ المَتْنَ والشَّرْخَيْن منه ... خلافَ النّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ

يريدُ سهمًا رُمِيَ به فأنفذَ الرَّمِيَّةَ وقد اتصلَ به دمُها. والمتن: متن السهم. وشَرْخُ كلِّ شيء: حَدُّه. فأرادَ شَرْخَى الفوق. وهما حرفاه. والمَشِيجُ: اختلاط الدَّم بالنُّطْفَة. هذا أصلُه. قال الشماخ:

طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتِجَةٍ لوَقْتٍ ... على مَشْجٍ سُلالُته مَهِينُ

وقال الله جل وعز: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نبتَليه﴾[4]. وفي الحديث: «اقتلوا مَسَّانَ المشركين واسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ»[5]. أى الشَّبَّابَ، لأن الشرْخَ الحَدُّ. قال حَسَّانُ ابن ثابت:

---

(١) ساقطة من ر. وهى فى الأصل. س. (٢) ر: «العين» وهما بمعنى.

(٣) فى زيادات ر: «هو الشماخ». والبيت ليس فى ديوانه؛ وهو لعمر بن الداخل الهذلى؛ ديوان الهذليين ٣: ١٠٤، وروايته:

كأن الريش والفوقين منه ... خلاف النصل سيط به مشيح

وهو أيضا بهذه الرواية فى ١٢: ١٩٥ من غير نسبة.

(٤) سورة الإنسان.

(٥) أورده ابن الأثير فى النهاية ٢: ٢١٠. وقال فى شرحه: «أراد بالشيوخ الرجال، المسّان هو هل الجلد والقوة على القتال. ولم يرد الهرمى. والشرخ: الصغار الذين لم يدركوا».

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرِ الأسْودَ ما لم يُعاصَ كان جنُونًا

قال أبو العباس: وأنشدنا عمرو بن مرزوق. قال: أنشدنا شعْبَة. قال: أنشدنا سمرأ بن حرب فى هذا الحديث:

إنَّ شرْخ الشباب تألَفُهُ الْبيضُ	وشَيْبُ القَذالِ شىءٌ زهيد

فأما قولُ الشَّنْفَرى:

كأنَّ لها فى الأرض نسْيًا تَقُصُّهُ	على أمِّها وإنْ تُحدِّثْكَ تَبْلتِ

فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائها. يقول: لا تَرْفعُ رأسَها، كأنها تُطلبُ شيئًا فى الأرض.

والنِّسىُ على ضربين: أحدُهما ما تقادم عَهْدُهُ حتى يُنْسى. والآخر ما أضلَّهُ أهلهُ فيُطْلبُ ويُطمعُ فيه. وتَقُصُّهُ: تَتَّبعُهُ. قال الله جل وعز: ﴿**وقالتْ لأُخْته قُصِّيه**﴾[1] أى اتّبِعى أثَرَهُ؛ والأمّ: القصد.

وقولُه: «وإن تُحَدِّثك تَبْلتِ»: تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها.

وأنْشدَ بشَّارُ بن بُرْد الأعمى قولَ كُثَيِّر:

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانةٍ	إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تلينُ[2]

قال: فقال: لله أبو صَخْر! جلعها عصا. ثم يَعْتَذِرُ لها! والله لو جعلَها عصًا من مُخٍّ[3] أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنها بالعَصَا. ألا قال كما قلتُ:

وبَيْضاءَ المحَاجرِ من مَعَدٍّ	كأنَّ حديثَها قِطَعُ الجنَانِ
إذا قامتْ لسُبْحتِها تثنَّتْ	كأن عِظامَها من خيزَرانِ[4]

والخيزُرانةُ: كلُّ غُصْنٍ لَيِّنٍ يَتَثَّنى. ويقال للمُرْدِىِّ: خيزرانةٌ؛ إذا كانَ يتثَّنى إذا اعْتُمدَ عليه. قال النابغةُ:

---

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا	وتطمع فينا ألسن وعيون

(٣) ر : «من مخ» .

(٤) السبحة : صلاة النافلة.

يَظَلُّ من خوْفِه المَلاح معتصما[1] بالخَيْزُرانَة بعد الأيْنَ والنَّجدِ[2]

الأيْنُ: الإعياءُ. والنَّجَد: العَرَقُ[3].

* * *

وقد عاب بعض الناس قول كُثَيِّر:

فما رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثَّرى يَمجُّ النَّدَى جَثْجَاثها وعَرَارُها[4]

بمُنْخَرَق من بَطْن واد كأنَّما تلاقَتْ به عطَّارَةٌ وتجارها

بأطْيَبَ من أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنا وقد أوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُهَا

وحكى الزُّبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكُثَيِّر فقالت: أأَنْتَ القائلُ هذين البيتين؟ قال: نعم. قالت: فَضَّ اللهُ فاكَ! أرأيتَ لو أَنَّ زنْجيَّةً بخرَت أردانَها بمَنْدلٍ رَطْبٍ أمَا كانت تطيبُ! ألا قلتَ كما قال سيِّدك[5] امرؤ القيس:

ألم تَرَ أنِّى كلما جئتُ طارِقًا وَجَدْتُ بها طِيبًا وإن لمْ تَطَّيب[6]

قوله: «جثجاثها وعرارها» الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار البقل؛ قال جرير يهجو خالد عينين العبدى:

كم عَمَّة لك يا خُلَيْدُ وخالة خُضْرٌ نَواجِذها من الكُرَّاث

نَبَتَتْ بمَنْبِتِه فطابَ لِريحهَا ونأَتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاث

وإنما هجاه بالكُرَّاث لأن عبد القيس يسكنون البَحْرَيْن. والكُراثُ من أطعمَتِهم. والعامة يُسَمُّونَهُ الرَّكْلَ والرَّكَّالَ. قال أحدُ العَبْديّينَ:

ألاَ حَبَذا الإحْسَا وطِيبُ تُرابِها وركَّالها غادٍ علينا ورائحُ[7]

---

(١) ر: «معتمدا»؛ وما أثبته رواية الأصل والديوان.

(٢) الملاح: صاحب السفينة. والخيزرانة: السكان؛ وهو ذنب السفينة.

(٣) النجد: العرق والكرب.

(٤) الحزن: موضع لبنى يربوع. فيه رياض كثيرة.

(٥) ساقطة من ر. (٦) قبله:

خليلىَّ مُرَّا بى على أمِّ جُنْدَبِ لنَقْضِى لبانات الفؤاد المعذَّب

وانظر تفصيل الخبر فى الأغانى ١٤: ٥٧ طبعة الساسى. والموشح للمرزبانى ١٥١ - ١٥٣.

(٧) الإحساء: مدينة بالبحرين.

وقولُ كُثير: «وعَرارُها» فالعَرارُ البَهارُ البَرّىُّ. وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طيِّب الرِّيحِ. قال الأعشَى:

بَيضاءُ ضَحْوَتَها وصَفْـــــراء العَشِيَّة كالعَرارَه[1]

وقولُه: «مَوْهِنًا» يريد بعدَ هدْى من الليل[2]. يقالُ: أتَانا بعد هدئٍ من الليلِ. وبعد وَهْنٍ من اللَّيْل[3]. أىْ بعدَ دخولنا فى الليل. وأنشدَ أبو زيد:

هَبّتْ تَلومُك بعد وَهْنٍ فى النَّدَى بَسْلٌ عليك ملامتِى و عِتابى

والمَنْدَلُ: العُودُ. يقال له: المَنْدَلُ والمَنْدَلِىُّ. قال الشَّاعرُ[4]:

أَمِنْ زَينبَ ذى النَّار قُبَيْل الصبح ما تخبُو

إذَا ما خَمَدَتْ يُلْقَى عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذى» معناه «ذه» يقال: ذَاَ عبدُ الله، وذى أَمَةُ الله. وذهْ أَمَةُ الله. وتِهْ أَمَةُ الله. وتَا أمَةُ الله؛ فإذا قلتَ: هذا عبد الله: فالاسمُ «ذا» و «ها» للتنبيه. وعلى هذا القول[5]: هذى أَمَةُ الله [وهذه أمَةُ الله][6]. وإن شئتَ أسكَنْت فى الوصل فقلتَ: هذه أَمَةُ الله. وإذا قلت: هذهِى أَمَةُ الله. فالياءُ زائدةٌ. لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لَفظ المضمرِ شَبَّهوها به فى زيادة الياء، نحوَ: مررتُ بهِى يافتى! ولا[7] يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى «هذه» على قول مَنْ قال: مررتُ بهُو. لأن هاءَ الإضمارِ أصلها الضم. تقولُ: رأيتَهو يافَتى. ورأيتُهُم يافتى! وهذه الهاءُ ليستْ مِنْ هذه. إنما هى مشبَّهةٌ، وتقولُ: هاتِه هندٌ. وهاتى هند. وهاَتَا هندٌ. على زيادة «هَا» للتنبيه. قال جريرٌ:

---

(١) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقبله:

يا جارتى ما كنت جاره بانت لتحزننا عفاره

ترضيك من دل ومن حسن مخالطه غراره

وانظر ديوانه ١١١ .

(٢) من الليل. ساقط من ر .

(٣) «من الليل». ساقط من ر .

(٤) ينسب البيتان لعمر بن أبى ربيعة. وهما فى ملحق: ديوانه ٤٧٨ .

(٥) ر : «تقول».

(٦) تكملة من نسخة الأصل .

(٧) ر : «لا يجوز» بدون الواو .

هذى التى جدعت تيما معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى[1]

وقال عِمْرانُ بن حِطَّان:

وليس لِعَيْشِنَا هذا مَهَاهٌ وليست دارُنَا هاتَا بدَار

قال أبو العباس: النحويون يُثْبتون الهاءَ فى الوصلِ فيقولون: مَهَاهُ. وتقديرُه: «فَعَالٌ». ومعناه اللمْعُ والصَّفَاء[2]. يقال: وَجْهٌ له مَهَاهٌ يافتى! والأصمعىُّ يقولُ: مَهَاة. تقديرُها «حَصَاة». يجعلُ الهاءَ زائدة. وتقديرها فى قوله[3]: «فَعَلَةٌ» والمَهَاةُ: البِلَّوْرةُ. والمَهَاةُ: البقرة الوحشيةُ. وجمعُها «المَهَا»[4].

فإذا صغَّرتَ: «ذهْ». قلتَ: تَيَّا. كأنك صغَّرتَ «تَا». ولا تُصَغِّر «ذهْ» على لفظها. لأنك إذا صغَّرتَ «ذَا» قلت: «ذَيَّا». فلو صغَّرتَ «ذى». فقلتَ: «ذَيَّا». لالْتَبَسَ المؤنث بالمذكر. فصغَّرُوا ما يخالف فيه المؤنث المذكَّر.

وهذه المبهمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك فى باب نُفْرِدُه له إن شاء الله.

* * *

عاد القولُ إلى التشبيه.

أَنشدَتْنى[5] أمُّ الهَيْثَم فى صفة جَمَلٍ:

كأنَّ صوتَ نابِه بنابِه صَرِيرُ خُطَّافٍ عَلى كُلاَّبِهِ

أرادتِ الصريفَ. وهو أن يَحُكَّ أحدَ نابَيْه بالآخرِ.

---

(١) يهجو التيم. وقبله:

ما بين تيم وإسماعيل من نسب إلا القرابة بين الزنج والروم

إن ابن تيم لمنسوب لوالده دانى القرابة من حام ويحموم

وانظر ديوانه ٤٨٩ ـ ٤٥٠.

(٢) ر: «والبهاء».

(٣) «فى قوله» ساقط من ر.

(٤) زيادات ر: «حكى يعقوب بن السكيت: «مهاة». من أسماء الشمس. وأنشد:

ثم تجلو الظلام رب رحيم بمهاة ضياؤها منشور

(٥) ر: «وأنشدتنى».

وقوله: «صريرُ خطافٍ على كُلابِهِ» فالخُطَّافُ ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ. والكُلاَّبُ ماوَلِيه.

وقد قال النابغةُ:

مـقذوفـةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهـا ... له صَـرِيفٌ صَرِيفَ القَـعْوِ بالمَسَـدِ

القعْـوُ: ما تدورُ عليه البَكْرةُ إذا كان من خَـشَب. فإن كان من حديـدٍ فهو خُطَّاف. وإن دارت على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى الدَّرَكَ.

وقوله: «مقذوفـة» يقول: مَرَمِيَّةٌ باللحم. والدَّخيسُ: الـذى قد رَكِبَ بعضهُ بعضًـا. والنَّحْضُ: اللَّحْم. وبازلهَا: نابُها. ومـعنى بزَلَ، وفطَرَ. واحدٌ. وهو أن ينشقَّ الناب؛ قال ذو الرُّمَّة:

كـأَنَّ على أنيـابهـا كلَّ سُـدفـةٍ ... صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائك[(١)]

ويقولُ: مما تَـلُوكه. ويقال فى الغـضَب: تركتُ فلانًا يَصْـرِفُ نابُهُ عليكَ. ويَحْـرُق ويَحْرُقُ. ورأَيتُـه يَعَضُّ عليك الأرَّم. قـال زهيـرٌ فى مـدحه حـصْنَ بن حُذَيْفَة[(٢)]:

أَبَى الضَّيْـمَ والنُّعمانُ يحْـرِق نابُهُ ... عليه فـأَفضَى والسُّيوف مَـعاقِلُهُ[(٣)]

وقال آخرُ:

نُبِّـئْتُ أَحْـمَـاء سُلَيْـمَى أَنَّـمـا ... ظَلُّوا غِـضَـابًا يَعْلُكُونَ الأَرَّمَـا

وقال بعضُ النحويين: يعنى الشِّفَاهَ. وقال بعضُهم: يعنى الأصابعَ.

فأما قـولُهم: «عَضَّ على ناجذه» وهو آخرُ الأسنان، فـيكونُ على وجهين: أحدُهما أنه قد احتَنَكَ وبلَغ، والآخرُ: أن يكونَ للإطْراقِ والتَّشَدُّد.

ويُروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ: إذا لقيتُم القومَ فاجمَعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّواجِذِ، فإن ذلك يُنْبِى[(٤)] السيوفَ عن الهَامِ.

---

(١) السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشبه أنيابه بأصوات البزاة؛ يقال: لاك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادات ر: «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله:

من مـثل حـصن فى الحـروب ومـثله ... لإنكـار ضـيم أو لأمـر بحـاوله

(٤) ر: «ينثى».

ثم نعود إلى التشبيه.

قال الراجز[1]:

كـأنَهَّـا حين بناها البَـاسُ[2] ... جِنِّيَّـة فى رأسـهـا أَمْـرَاسُ

بهـا سُكُونٌ وبهـا شِـمَـاس[3] ... يَخْـرُجُ منهـا الحَـجّرُ الـكُبَـاسُ

يَمُـرُّ لا يحْـبِـسُـهُ حَـبَّـاسُ ... لا نَـافِـذُ الطّـعْنِ ولا تَـرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. والأمراسُ: الحبالُ، والواحدُ مَرَس[4]، والكُبَاس: الضخم. قال: هامـةٌ كبْسَاءُ يا فـتى؛ ورأسٌ أكبسُ. والحبَّاسُ: الذى من شـأنه أن يَحْبس. يقال: رجلٌ ضاربٌ للذى يضربُ كثيراً كان منه ذلك أو قليلا، فإذا قلتَ: ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ. فإنما يُكَثِرْ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجز:

أَخْـضَـرُ مِن مَـعْدنٍ ذى قُـسَـاسِ ... كـأنه فى الحَـيْـدِ ذى الأضْـراس

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاس *

يصفُ معْولا. وذو قُسَاسٍ: مَعـدنٌ للحديد الجيِّد. وهو يقْربُ من بلاد بنى أَسَد. والحَيْـدُ: ما أشرفَ من الجـبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُف حَـيْدٌ. وهو الذى يسميه أهلُ الحَضَر الإفْريزَ؛ يقالُ: طَنِّفْ حائطَك، ويقال للنَّاتِئَ فى وسَط الكَتف: حَيْدٌ وعَيْرٌ. وكذا الـناتِئُ فى القَدَم. وقوله: «ذى الأضراس» يريد الموضعَ الضَّرِسَ الخشنَ ذا الحجارة. فيـقولُ: هذا المعْوَلُ لحدَّته يَقعُ فى الخشونة فيَهْدِمُـهَا كما يهدمُ الدَّهَّاسَ. والدهاس: ما لان مـن الرملِ. قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّـة فى يوم حُنَيْنٍ: أين مُجْتَلَدُ القوم؟ فقالوا: بأَوْطاس[5]. فقال: نِعْمَ مَجَـالُ الخيلِ. لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[6]. ولا لَيِّن دَهِسٌ!

---

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٢) ر: «تناهى».

(٣) الشماس والشموس. شرود الدابة ونفارها.

(٤) ر: «مرسة».

(٥) أوطاس: موضع فى ديار هوازن.

(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشديد خشونة.

وقال العَجّاجُ يصفُ حمارًا :

كأنَّ فى فيه إذا ما شَحَجَا عُودًا دُوَينَ اللَّهَوَاتِ مُولُجا[1]

هذا يصف العَيْرَ[2] الوحشىَّ الذىْ قد أسنّ[3] تَرَاهُ لا يشتدُّ نهيقُهُ. وكأنه يعالجه علاجًا. قال الشَّمَّاخ:

إذا رَجَّعَ التَّعشيرَ عَجًّا كأنه بناجِذِه من خَلْفِ قَارِحِه شَجِى[4]

فأما قولُ عَنْتَرَة:

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّدَاعِ كأَنَّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجشَّ مُهَضَّم

فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها. يقال: إنه يخرجُ منها كأَشْجَى صوت.

فإنما شَبَّهه بالزَّمير. وأراد القَصَبَ الذى يُزْمَرُ به. قال الأصمعىُّ: هو الذى يقال له بالفارسية «نَاىْ» قال الراعى يصفُ الحادى:

زجلُ الحُداَء كأَنَّ فى حَيْزُومِهِ قَصَبًا ومقْنِعَةَ الحنينِ عَجُولا

المَقْنِعُ: الرافعُ رأسَه فى هذا الموضع. ويقال فى غيره: الذى يَحُطُّ رأسَه استخذاءً وندمًا؛ قال الله عز وجل: ﴿مُقْنِعى رءوسهم﴾[5]. ومن قال: هو الرافعُ رأسَه. فتأويلُه عندنا أنه يتطاولُ فينظرُ ثم يُطَأْطِئ رأسَه. فهو بَعْدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسار.

***

والبعيرُ يحنُّ كأشد الحنين إلى أُلاَّفِه إذَا أُخِذَ من القطيع. قال: وأكثَرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ. قال الشاعر[6] :

وتفرَّقُوا بعد الجميعِ لنيَّة لابُدَّ أن يتفرَّقَ الجيرانُ

لا تصبرُ الإبلُ الجلادُ تفرَّقَتْ بعدَ الجميعِ ويَصْبِرُ الإنسانُ

***

(١) الشحيج: صوت البغل والحمار إذا أسن.

(٢) ر : «هذا يوصف به العير». وما أثبته عن الأصل. س .

(٣) ر : «إذا أسن».

(٤) التعشير: نهيق الحمار.

(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .

(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدى.

وقال آخرُ :

وهل ريبــةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبــةٌ ... إلى إلْفِهـا أو أن يَـحِنَّ نَجِـيب!

وإذا رَجَّعَت الحنينَ كان ذلك أحسن صوتٍ يهتاج له المُفارِقون، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمام، ولالْتِيَاح البُروقِ.

* * *

وقال عَوْفُ[١] بن مُحلَّم وسمع نَوْح حمامةٍ:

ألاَ يا حَمَـامَ الأَيْك إلْفُكَ حـاضرٌ ... وغُـصنُكَ مَـيَّـادٌ فـفـيمَ تنوُحُ[٢]

أَفِقْ لا تَنُحْ من غـيرِ شىء فـإننى ... بكيتُ زمـانًـا والفـؤادُ صـحـيح

وَلُوعًـا فَـشَطَّـتْ غَـرْبَةً دارُ زينبٍ ... فـهـا أنا أبْكى والفـؤادُ قَـريحُ!

وكلُّ مُطَوَّقَة عند العـربِ حمامـةٌ. كالدُّبْسِىِّ والقُمْـرِىِّ والوَرَشَانِ وما أشـبه ذلك؛ قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ:

وما هاجَ هذا الشَّـوْقَ إلا حمـامةٌ ... دَعَتَ سَـاقَ حُرٍّ تَرْحَـةً وتَرَنَّمَـا[٣]

إذا شـئتُ غَنَّتْنى بأَجْـزاع بيشَـة ... أو النَّحْلِ مِـن تَثْليثَ أو بيَلَمْـلَمَـا

مُطَوَّقَـةٌ خَطْبَـاءُ تَسْـجعُ كلَّمَـا[٤] ... دَنَا الصيفُ وانجـالَ الربيعُ فأنْجَـمَا

مُـحلاَّةُ طَوْق لم يكُـن من تميمـة ... ولا ضَـرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّـيْه درهَمَـا

تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عـشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحــةٍ فى شَـجْـوِها مُـتَلَوَّمَـا

إذا حَـرَّكَتْـهُ الرِّيحُ أو مـال مَـيْلَةً ... تغنَّتْ عَـليـه مـائلا ومُـقَـوَّمَـا

عَـجبتُ لهـا أَنَّى يـكونُ غناؤُها ... فَصِـيحًا ولم تَفْغَـرْ بمنْطقِهَا فَـمَا!

(١)قال المرصفى: الشعـر لأبى كبير الهذلى. لا لعوف؛ وإنما ذكر لعبـد الله بن طاهر العندليب. فالتفت إلى ابن محلم وقال: هل سـمعت بأشجى من هذا؟ فقـال: لا والله؛ قاتل الله أبا كبير حـيث يقول. وذكر الأبيات.

(٢) ر : «ميال». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) من قصيدة طويلة فى ديوانه ١ ـ ٣ مطلعها :

سل الـرَّبْعَ أَنَّـى يمَّمَتْ أم سـالمٍ ... وَهَلْ عَـادَةٌ للـرَّبْعِ أن يتـكلمَّـا!

وترحة : حزنا. وترنما : صوتا لا يفهم.

(٤) الديوان «تصدح».

فلم أر مـثلِى شاقـهُ صوتُ مِثلـها ولا عَرَبـيًّا شـاقهُ صـوتُ أعجَـمَا

وقال ابن الرِّقَاع ، وذكرَ حمامةً :

[قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[ومِمَّا شَـجـانى أَنـنى كنتُ نائمًـا: أُعَلَّـلُ من بَـرْدِ الكَـرَى بالـتَّنَـسُّمِ
إلى أن بكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أيْكة تُرَدِّدُ مَـبْكاها بحـسْنِ التـرنُّم][1]
فلو قَـبْلَ مَـبْكاهَا بكيتُ صَـبَـابَةً بليلى[2] شفَـيْتُ النفسَ قبلَ التَّندُّم
ولكنْ بكتْ قـبلِى فهـاجَ لِىَ البُكا بُكاها فـقلتُ الفَـضْلُ للمـتـقـدِّمِ

أما قولُ حميد «دعَتْ ساقُ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحدِ ذكرًا كان أو أنثى: حمامةٌ والجمعُ الحمامُ، والحماماتُ، فإذا كان ذكرًا قلتَ هذا حمامةٌ، وإذا كـانت أُنثى قلت هذه حمـامةٌ. وكـذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ. ويقـال بقرةٌ للذكـر والأنثى، ودجاجـةٌ لهما، فـإذا قلتَ: ثَوْرٌ، أو ديكٌ بَيَّنْت الذَّكَرَ، واسـتغنيتَ عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحتْ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيـرُ مفهومٍ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا، قال قَيْسُ بن مُعاذٍ :

ولو لم يَشُـقْنى الظاعنونَ لَشَـاقَنى حـمـائمُ وُرْقٌ فى الديـار وُقُـوعُ
تَجاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كان ذَا هوًى نَوَائِحَ مـا تَجْـرِى لهنَّ دمـوعُ

قوله: «وانجَالَ الربيعُ» يقال: «انجالَ عنَّا»، أى أَقْلَعَ، ومثلُ ذلك «أَنجَمَ عَنَّا»، وإن قلتَ: «أثجَمَ»، فمـعناه لَزِمَ ووقع، فهو خـلافُ «أَنجَمَ». وإن قلتَ: «انجَابَ» فمعناه انشَق. يقـال: «الْمجوَبُ» للحديدة التى يُثْقَبُ بها المَسـيبُ. ويقال: «جُبْتُ البلادَ» أى دخلتُها وطَوَّفْتُهَا. وفى القرآن: ﴿**وثَمود الَّذينَ جابَوا الصَّخْرَ بالْوَادِ**﴾[3] أى شَقُّوهُ.

وقوله: «لم يكُن من تَميمةٍ» «التميمة» المعاذةُ. وقد مضى هذا.

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «وما تَفْغَرْ بمنطقِها فَمَا». يقولُ: لم تَفْتحْ. يقال: «فَغَرَ فَاه» إذا فَتَحَه[١].

وقوله:

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجمَا *

يقولُ: لم أَفهم ما قالتْ. ولكنى استحسنتُ صوتَها واسْتَحْزَنْته. فَحَنَنْتُ له.

ويُرْوَى أن بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرِى ما تقولُ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقه. ويَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له.

* * *

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن بعض المحْدَثِين[٢] سمع غِناءً بخُرَاسان بالفارِسيَّة فلم يَدْر ما هو غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجَاهُ وحُسْنِه. فقال فى ذلك:

حَمِدتُك ليلةً شَرُفَتْ وطابَتْ ... أقام سُهادُها ومَضى كَرَاهَا
سَمِعتُ بها غِناءً كان أَوْبَى ... بأن يَقتَادَ نفسِى من غِناها

الغناء الأولُ الممدودُ من الصوت. والذى ذكره بعدُ فى القافية من المالِ مقصورٌ:

ومُسْمِعَةٍ يَحَارُ السَمْعُ فيها ... ولا تصمْمه لا يَصْممْ صداَهاَ[٣]
مَرتْ أَوتَارَها فَشَفَتْ وشَاقَتْ ... فلو يَسْطَيعُ حاسِدُها فَدَاهَا
ولم أفهم معانيهَا ولكنْ ... وَرَتْ كَبدى فلم أَجْهَل شَجَاهَا
فكنتُ كأَنَّنِى أَعْمَى مُعَنًّى ... بحُبِّ الغَانِيَاتِ وما يَرَاهَا

[وقال عَبْدُ بنى الحسْحاسِ:

وَرَاهُنَّ رَبِّى مثل ما قد وَرَيْنَنِى ... وأحْمَى على أكبادهنَّ المكاويا][٤]

---

(١) زيادات ر: «حكى ثعلب: «فغر فاه» و«فغر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».
(٢) هو أبو تمام.
(٣) قال المرصفى: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صداه. تريد أهلكه. وإذا مات قالت: صم صداه. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.
(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشيءُ يُذْكر بالشيءِ وإن كان دونَه. فَنَجْرِى لاحتواءِ الباب والمعنَى عليهما.

وفى شعر حُمَيْد هذا ما هو أحْكم مما ذكرنا وأوعظُ. وأحْرَى أن يُمثِّل به الأشرافُ. وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ. وهو قولُه:

أَرَى بَصرى قد رَابنى بعدَ صِحَّة ... وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلمَا
ولا يَلْبَثُ العَصْرَانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبى ﷺ أنه قال: «كَفَى بالسَّلامَةِ داءً».

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه.

قال أبو العباس: والعربُ تُشبِّهُ على أربعة أضرُبٍ: فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه. وهو أخْشَنُ الكلام.

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمَخِّيِّ: هو كالبَحْر. وللشجاع: هو كالأسد. وللشريف: سما حتى بَلَغَ النجْمَ. ثم زادُوا فوق ذلك. فمن ذاك قولُ بعضهم ـ وهو بكْرُ بنُ النَّطَّاح، يقوله لأبى دُلَف القاسمِ بن عيسى:

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبَارِها ... وهِمَّتُهُ الصُغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ
له رَاحةٌ لو أن مِعْشَارَ جودها ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحر
ولو أنَّ خَلْقَ الله فى مَسْك فارسٍ[1] ... وبارزَهُ كان الخَلِيَّ من العُمْرِ

وقد قيل: إن امرأةَ عمْرَانَ بن حطَّانَ قالت له: أما زعمتَ أنك لم تكذب فى شعرٍ قَطُّ! قال: أوَ فَعَلْتُ؟ قالت: أنت القائلُ:

فهُناك مَجْزأة بن ثَوْ ... ر كان أَشْجَعَ من أُسامهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسد! قال: فقال: أنا رأيتُ مجزأة بن ثور فتح مَدِينة، والأسدُ لا يفتحُ مدينة.

* * *

(١) المسك: الجلد.

ومن عجيب التشبيه فى إفراط، غيرَ أنه خَرَجَ فى كلامٍ جيِّد وعنى به رجلٌ جليلٌ، فَخَرج من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُعِلَ لجودَة ألفاظه، وحسن رَصْفه، واستواء نظمه، فى غاية ما يُسْتَحْسَنُ ـ قولُ النابغة يعنى حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرٍو الفَزَارِيَّ:

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسُهُمْ ... وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ[1]
ولم تَلْفظِ الموتى القُبورُ ولم تَزُلْ ... نجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ
فعمَّا قليلٍ ثمَّ جاء نعيُّهُ ... فَظَلَّ نَدِىّ الحىِّ وهْو يَنُوحُ

* * *

ومن تشبيههم المتجاوز الجيِّدِ النَّظْم ما قد[2] ذكرناه، وهو قولُ أبى الطَّمَحَانِ القيْنى :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجُوهُهُمْ ... دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجزْع ثاقِبُهْ[3]

* * *

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلا يختالُ فى أُزَيِّر[4] فى يوم قُرٍّ فى مشْيَته، فقال له: ممن أنَت يا مَقْرُورُ؟ فقال: أنا ابنُ الوَحيد، أمشى الْخَيْزَلى[5]، ويُدْفِئنِى حَسَبِى.

وقيل لآخرَ فى هذه الحال: أَمَا يُوجعُكَ البَرْدُ؟ فقال: بَلى والله، ولكنى أَذكُر حَسَبِى فأَدْفأُ.

وأَصوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذى سُئِلَ فى يوم قُرٍّ عمَّا يَجدُ. فقال: ما علىَّ من كبير مؤونة، فقيل[6]: وكيفَ ذلك[7]؟ فقال: دَامَ بى العُرْى، فاعْتَادَ بدنِى ما تعتادُه وجوهُكم!

* * *

(١) جنوح : مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن. (٢) ساقطة س ر .
(٣) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليمانى؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين .
(٤) الأزير : تصغير إزار؛ قال المرصفى: يريد أنه يختال فى إزار قصير.
(٥) الخيزلى : مشية فيها تبختر وتثاقل وتراجع وتفكك .
(٦) ر : «وقيل» . (٧) ساقطة من ر .

ومن التشبيهِ القاصد[1] الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعيـدُ أبى قابُوسَ فـى غير كُنْـهه	أتانى وَدُونى رَاكسٌ فـالضَّوَاجعُ[2]
فـبتُّ كـأَنى سَـاوَرَتْـنى ضَـئـيلةٌ	من الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ[3]
يسَـهَّدُ من نوم العـشاء سَليـمُهـا	لحلْى النسـاء فى يَـديْه قـعـاقعُ
تَنَاذَرَها الرَّاقـون من سُوءِ سُـمِّهـا	تُطَلـقـهُ طَوْراً وطَـوْراً تَرَاجعُ[4]

فهذه صفةُ الخائف المهموم. ومثلُ ذلك قول الآخَر[5] :

تَبِيتُ الهُمـومُ الطارقاتُ يَعُـدْنَنى	كما تعْـتَرِى الأوْصافُ رأسَ المطَلَّقِ

والمُطَلَقُ هو الذى ذكره النابغة فى قوله :

* تُطلقه طورًا وطورًا تُرَاجعُ *

وذاك أن المنهوشَ إذا ألحَّ الوجعُ بـه تارة، وأَمْسكَ عنه تارة، فقـد قارب أن يُوأَس من بُرْئه.

وإنما ذكرَ خـوفَه من النعـمان وما يَعْـتريه من لَوْعَـة فى إثر لوعة، والفَـتْرَة بينهما، والخائفُ لا ينامُ إلاّ غِرَارًا، فلذلك شبَّهَه بالملْدوغ المسَهَّدِ.

وقوله :

* لِحَلْى النساءِ فى يديه قَعَاقِعُ *

لأنهم كانوا يُعلقون حُلِىَّ النساء على الملـدوغ، يزعمون أن ذلك من أسبابِ البُرْء، لأنه يسمعُ تَقَعْقُعَهَا فيمنعُه النوم فلا ينامَ، فَيدِبُّ السُّمَّ فيه، ويُسَهَّدُ لذلك.

* * *

وقال الآخرُ:

---

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .

(٢) راكس والضواجع: موضعان فى بلاد غطفان .

(٣) من المساورة؛ وهى المواثبة. والضئيـلة: الحية الدقيقة. والرقش: جمع رقشاء؛ وهى الحـية التى فيها نقط سود وبيض.

(٤) تناذرها الراقون، أى أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها.

(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كأنَّ فجاعَ الأرضِ وهى عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كفّةُ حابلِ
يُؤْتَى إليه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ ... تَيَمَّمها تَرْمى إليه بقاتلِ[1]

يقال: لكل مستطيل كُفَّةٌ. يقال كُفَّةُ الثوبِ لحاشيته، وكُفَّةُ الحابلِ، إذا كانت مستطيلةً. ويقال: لكل شيء مستدير كفّةٌ. ويقال: ضَعْهُ فى كفَّة الميزان، فهذه جملة هذا. وكِفَّةُ الحابل، يعنى صاحبَ الحبَالةِ التى يَنْصِبُها للصَّيد.

* * *

وأما التشبيه البعيدُ الذى لا يقومُ بنفسه، فكقوله:

بل لو رأَتْنِى أُخْتُ جيرانِنا ... إذْ أنا فى الدار كأنى حمارْ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيدٌ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره. وقال الله جل وعز، وهذا البيِّنُ الواضح: ﴿**كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا**﴾[2] والسِّفْرُ الكتابُ، وقال: ﴿**مثلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوْراةَ ثم لم يَحْمِلُوهَا كَمثَلِ الْحمَارِ**﴾[3] فى أنهم قد تعاموا عنها، وأضْرَبُوا عن حدودها وأمْرِها ونَهيها، حتى صاروا كالحمار الذى يَحْمِلُ الكتب ولا يعلمُ ما فيها.

وهَجَا مروان بن سليمانَ بن يَحْيى بن أبى حَفْصَةَ قومًا من رواةِ الشِّعر بأنهم لا يعلمون ما هو، على كثرة استكثارهم روايتَه، فقال:

زَوامِلُ للأشعارِ لا عِلْمَ عندَهمْ ... بجَيِّدِها إلاَّ كعِلْمِ الأباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يدْرى البَعيرُ إذا غدَا ... بأوساقِهِ أو راحَ ما فى الغَرائِرِ

* * *

والتشبيهُ كما ذكرنا من أكثر كلام الناس. وقد وقَع على أَلْسُنِ الناس من التشبيه المستحسَنِ عندهُم، وعن أصلٍ أخَذوه - أن يشبهوا[4] عين المرأة فى الكحل بعين الظبية[5] أو البقرة الوحشيَّة. والأنفَ بحَدِّ السيف، والفَمَ بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعُنُقَ بإبريق فضة. والساقَ بالجُمَّار[6]. فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُن.

---

(١) يؤتى إليه. أى يجىء إليه فى وهمه. (٢) سورة الجمعة ٥.
(٣) الزوامل: جمع زاملة. وهى البعير بحمل المتاع والطعام. والغرائر: جمع الغرارة؛ وهى الأوعية، التى تسمى بالجوالق.
(٤) ر: «أن شبهوا. وما أثبته عن الأصل. س».
(٥) ر: «الظبى». (٦) الجمارة: شحمة بيضاء فى رأس النخلة وفى س «الجمار».

وقد قال سُراقة بن مالك بن جُعْشُم: فرأيتُ رسول الله ﷺ وساقاهُ ناديتان في غَرْزه كأنهما جمَّارتان، فأردْتُه فوقَعْتُ في مِقْنَب[1]، مِن خَيْل الأنصار، فقرَّعُوني بالرِّماح. وقالوا: أين تريدُ؟

وقال كعبُ بن مالك الأنصاريُّ: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه الْبَدْرُ.

وعينُ الإنسان مشبَّهةٌ بعين الظبي والبقرةِ في كلامهم المنثور. وشعرِهم المنظومِ، مِنْ جارِي ما تكلمتْ به العربُ، وكَثُرَ في أشعارها، قال الشاعرُ[2]:

فَعَيْنَاكِ عَيْناها وجيدُكِ جيدُها ... ولكنَّ عظمَ السْاقِ منكِ رقيق[3]

[وقال ذو الرُّمَّة :

أَرَى فيكِ مِن خَرْقاء يا ظَبْيَةَ اللِّوى ... مَشابهَ جُنِّبْت اعْتلاقَ الحبائل

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ... ولونُكِ . إلاَّ أنها غَيْرُ عاطلِ][4]

وقال آخر[5] :

فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْب رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زقاق ابن واقف

طَلَعْنَ بأعْناق الظِّباءَ وأعْيُنِ الْـ ... ـجآذرِ وامْتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادِفُ[6]

ويقالُ للخطيب: كأنَّ لسَانه مِبْرَدٌ. فهذا الجارى في الكلام، كما يقال للطويل: كأنه رُمْح. ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكَرَم: كأنَّه غصنٌ تحت بارِحٍ.

ومن عجيب[7] التشبيه قولُ القائلِ :

لعَيْنك يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكفًا ... من الفَنَنِ المَمْطُور وهْو مَرُوح[8]

---

(١) المقنب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بني عامر. وقبله:

وَيَاشِبْهَ لَيْلَى لوْ تَلَبَّثْت ساعةً ... لعلَّ فؤادي مِنْ جواه يفيقُ

(٣) ر : «دقيق». وما أثبته عن الأصل. س . (٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «الآخر». ونسبه المرصفي إلى هدبة بن خشرم العذري .

(٦) في البيت إقواء . (٧) ر : «من مليح».

(٨) نسبه القالي في أماليه (١ : ٧٠) . إلى أبي حية النميري. ورواه: «لعيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يقعُ المطرُ فى وَرَقِهِ فيصير منها فى مِثْلِ المدَاهِنِ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تقطِّرَه.

[طرائف من تشبيهات المحدثين]

ثم نذكُر بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدثين ومَلاَحَاتهم، فقد شرطناه فى أول الباب، إن شاء الله .

قال أبو العباس: ومِن أكثرهم تشبيهًا، لاتِّساعه فى القول، وكثرة ثقبه[1]، واتِّساع مذهبه[2] الحسنُ بنُ هانئ، قال فى مَديحه الفَضْلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك :

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدِّ غَرَّهُ	سَنَا بَرْقِ غاوٍ أو ضَجيجُ رعَادِ
تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بنِ خالدٍ	بماضِى الظُّبَا أزهاهُ طُولُ نجَادِ
أمامَ خميسٍ أرْجُوان كأنهُ	قميصٌ مَحُوكٌ من قنًا وجيَادِ
فما هو إلاَّ الدَّهرُ يأتى بصَرْفِهِ	على كل منْ يَشْقَى به ويُعَادِى

قوله: «الحائنُ الجدِّ» يقال: حانَ الرجلُ إذا دنَا موتُه، ويقال: رجلٌ حائنٌ. والمصدرُ الحَيْن. والجدُّ: الحظُّ، والجدُّ والجَدَّةُ، مفتوحَان، فإذا أردتَ المصدرَ من جَدَدْتُ فى الأمْر، قلتَ: «أجدُّ جدًّا» مكسورَ الجيمِ، ويقال: جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّهُ جَدًّا [وجدَادًا][3] إذا صرَمْتَهُ. ويقال: جَذَذْتُهُ جَذًّا. وتركتُ الشىء جُذَاذًا، إذا قَطَعْتَه قطَعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجريرٍ على وجهين:

آلُ المهلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابرَهمْ	أضْحَوْا رَمادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى «جَدَّ» . وقرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿عطاءً غَيْرَ مَجْدودٍ﴾[4] فأما قوله: ﴿فَجعَلَهُمْ جذاذا﴾[5] فلم يُقْرأ بغيره. ويَقالُ: كم جَذاذُ نَخْلكَ. أى كم تَصرَّم منها. ويروى فى قوله الله جل وعز: ﴿وأَنه تَعالى جَدُّ ربِّنا﴾[6] عن أنس بن

(١) كذا فى س والأصل، وفى ر : «تفننه».
(٢) ر : «مذاهبه».
(٣) تكملة من س .
(٤) سورة هود ١٠٨ .
(٥) سورة الأنبياء ٥٨ .
(٦) سورة الجن ٣ .

مالك: «غنَى ربِّنَا». وقرأ سعيدُ بن جـبير: «جَدًّا ربُّنا». [ولو قرأ قارئ «جداً ربُّنا» على معنى : جدِّ ربِّنا لم يُقْرأ به لتغيُّر الخَطِّ. وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالفةٌ الخَطَّ][1].

وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر:

أجِـدَّكَ لم تَغْـتـمضْ لـيْلَةً فـتــرْقُـدَها مَعَ رُقَّـادِهَا

ومثلُه[2]:

أجِـدَّكَ لم تَسمَعْ وَصَـاةَ مـحمـدٍ رسـول الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَـدَا

لأن معناه أجـدًّا منك، على التوقيف، وتقديُره فى النصـب: «أتجدُّ جدًّا»، ويقـال: امرأةٌ جَـدَّاءُ، إذا كانـت لا ثَدْيَ لها، فكأنه قُـطِعَ منها، لأنَّ أَصلَ الجَـدِّ القطعُ، ويقال: بلدةٌ جَدَّاءُ، إذا لم تكن بها مياهٌ. قال الشاعرُ :

وجَـدَّاءَ مـا يُرْجَى بهـا ذو هَوَادةٍ لِعُرْفٍ ولاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها[3]

* * *

[القَرَابـةُ والهوادة فى المعنى واحـدٌ. قال أبو الحـسن: «السُّماة» هـم الصَّادَةُ نصفَ النهـارِ، وروى عن بعض أصحـابنا، عن المازنىِّ قال: إنما سُـمِّى «ساميًا» بالمسـمَّـاة، وهو خُفٌّ يلْبَـسُهُ لئـلا يَسـمَعَ الوحش وَطْأَه، وهو عندى مِـن «سَمَـا للصيد»] .

* * *

يُنْشَدُ هذا البيت :

أَبَى حُـبِّى سُلَيْــمَى أن يَبِيــدَا وأَصْـبَحَ حـبْلُهــا خلَقًـا جَـديدًا

يقولُ : أصبحَ خلَقًا مقْطوعًا، لأن «جديدًا» فى معنى «مَجْدودٍ» أى مقطوع، كما تقولُ: «قتيلٌ ومقتولٌ» و «جَريحٌ ومَجْرُوحٌ».

---

(١) ما بين العلامتين زيادة من ر .

(٢) زيادات ر : «قول الأعشى». والبيت فى ديوانه ١٠٣ . وروايته: «نبى الإله».

(٣) البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٤ : ٢ ١٤٤ . ونسبه إلى العنبرى ، وروايته.

وجـداء مـا يرجى بـهـا ذو قـرابة لعطف ومـا يخـشى السمـاة ربيـبهـا

إلى العنبرى .

ويقال فى غـير هذا المعنى: رجلٌ مَجْـدودٌ. إذا كان ذَا خَطَر وحَظٍّ[1]، وفى الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الجَـدَّ منك الجَدُّ»، أى مَنْ كان له حـظٌّ فى دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قـال قائلٌ: ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ ـ يريدُ الاجـتهاد ـ لكان وجهًا.

وقوله: «سَنَـا بَرْق غاو» والسَّنا: من الضِّـياء مقـصورٌ. قـال الله جل وعز: ﴿يكَاد سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأَبْصَار﴾[2]. والسَّناءُ: من المجد ممدودٌ، وقال الشاعرُ:

وهم قـــومٌ كـــرام الحَـىِّ طُرًّا   لهُـم خَـــولٌ إذا ذُكِـــرَ السَّناءُ

وضَربه الحسنُ[3] هاهنا مَثَـلا وجَمَعَ الرَّعْدَ فـقال: رِعادٌ، كـقولك: كَلْبٌ وكِلاَبٌ، وكعْبٌ وكِعابٌ.

وقوله: «بمَاضِى الـظُّبى». ظُبةُ كلِّ شىءٍ حَدُّهُ، يقال: وخَزَهُ بـظُبَةِ السيفِ، يرادُ بذلك حَدُّ طَرْفه.

وقوله: «أَزهاهُ طولُ نجَاد»، النجاد: حَمَائلُ السيف، وأزهاه: رفعَه وأعْلاهُ، والرجلُ يُمْدَحُ بـالطُّولِ، فلَذلكَ يُذْكَر طولُ حـمائِله، قال مَـرْوانُ بن أبى حَفْـصة يمدحُ الْمَهدِىَّ:

قَـصُرَتْ حـمائِلُـهُ عليه فـقَلَّصَتْ   ولقـــد تَأَنَّقَ قَـــيْنُهــا فـأطالهَـا

* * *

وقال الحسنُ بن هانئ يمدحُ محمدًا الأمينَ:

سَـبْطُ البَنانِ إذَا احْـتَـبَى بنِجَـادهِ   غمَـرَ الجماجمِ والـسِّماطُ قِـيامُ[4]

* * *

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعـالوا ففـاتونا فـفى الحكم مـقنع   إلى الغـر من أهل البطاح الأكـارم
فإنى لأرضى عبد شمس وما قضت   وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

---

(١) ر: «أى حظ».   (٢) سورة النور ٤٣.
(٣) يريد الحسن بن هانئ.
(٤) غمر الجماجم. أى فرع القوم وعلاهم بطول قامته.

وقال الآخر :

لما التقى الصفان واختلف القنا نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القماءة ذلة وأن أشداء الرجال طوالها

وقولُه: «أمَامَ خَميسٍ»، الخَميسُ هاهنا: الجيشُ، وكذلك قال رَبيئةُ أهلِ خَيْبَرَ، لَمَّا أطَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ عليهم: محمدٌ والخميسُ، أى والجيشُ. وقال الشاعرُ، وهو طَرفَةُ:

وأى خميس لا أفأنا تهابه وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أَفأْنا: رَدَدْنَا، يقال: أفاءَهُ يُفِيءُ إذا رَدَّ. والأُرْجُوَان: الأحمر[1] قال الشاعرُ:

عَشِيَّةَ غادَرَتْ خَيْلِى حُمَيْدًا كأنَّ عليه حُلَةَ أُرْجُوَان

والجِيادُ: الخيلُ. وفى القرآن : ﴿إِذ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيادُ﴾[2].

* * *

ومن تشبيهه[3] الجِّيدِ فى هذا الشعرالذى ذكرنا قوله:

تَرَى الناسَ أفواجًا إلى باب داره كأنهمُ رِجْلا دَبًا وجَرَاد[4]
فَيَوْمٌ لإلحاقِ الفقير بذى الغِنَى ويومُ رِقابٍ بُوكِرَتْ لِحَصَادِ

* * *

ومن التبشبيهِ الجيد قوله[5]:

فكأنى بما أُزَيِّنُ منها قَعَدِىٌ يزَيِّن التَّحْكِيما

وكان سبب هذا الشعرِ أن الخليفة تَشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمر، وحَبَسه من أجل ذلك حبسًا طويلا، فقال:

---

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .
(٢) سورة ص ٢١ .
(٣) أى الحسن بن هانئ .
(٤) الدبا : مقصور الجراد قبل أن يطير .
(٥) زيادات ر : «أى الحسن بن هانئ».

أيُّهـا الرائحَـانِ بـالَّلوم لُومَـا	لا أذوقُ المُدامَ إلا شـميمـا
نالَنـى بالملاَم فـيـهـا إمـامٌ	لا أرَى لى خِـلاَفَـهُ مُسْتَقِـيما
فـاصْـرِفَـاها إلى سِـوَاىَ فـإنّى	لسْتُ إلاَّ على الحـديث نَـديمَا
كُـبْـرَ حَظِّـى منهـا إذا هى دَارَتْ	أنْ أراها وأن أشمَّ النَّسِـيمـا
فـكأنـى بمـا أُزَيِّـنُ منهـا	قَـعَـدىٌّ يُزَيِّنُ التَّـحكيـمـا[1]
لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ السِّلاحَ إلى الحَـرِ	بِ فَـأَوْصَى المطِيقَ ألاَّ يُقِـيمـا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد.

* * *

قال: وحدثت أن العمانى[2] الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس:

كـأنَّ أَذْنَيْـه إذا تَشَـوَّفَـا	قـادمـةً أو قَلَمًـا مُحَـرَّفَـا[3]

فعلمَ القومُ كلُّهم أنه قـد لَحنَ، ولم يهتـد منهم أحدٌ لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ. فـإنه قال له: قُلْ: «تَخالُ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا». والراجزُ وإن كان لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه.

* * *

ويروى أن جريرًا دخلَ إلى الوليدِ وابنُ الرقـاع[4] العـاملىُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها:

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوليدُ سَمَاحَةً	وكَفَى قُرَيْش المعْضِلاَتِ وَسَادَهَا

قال جرير: فحسدته على أبيات منها، حتى أنشد فى صفة الظبيةِ:

* تزجِى أغَنَّ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِه *

قال: فـقلتُ فى نفسى: وَقَعَ والله، ما يَقْدِرُ أن يقول أو يُشَبِّهَ به، قال: فقال:

---

(١) القعدى: من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال.
(٢) العمانى: هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصرى.
(٣) قادمة: واحدة القوادم؛ وهن أربع ريشات فى مقدم الجناح. واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح.
(٤) هو الوليد بن عبد الملك، وابن الرقاع هو عدى.

* قَلَما أصَابَ مِنِّ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقِيمَ حتى انصرفتُ.

* * *

ومن التشبيه[١] الحسن الذى نَستطرِفُه قوله:

تعـاطيكهَا كـفٌّ كـأن بَنَانـهَا ... إذا اعْتَـرَضْتها العَـيْنُ صَفٌّ مَدَارِى

* * *

ومن التشبيه المليح قوله:

وكـأنَّ سـلمـى إذْ تُوَدِّعُـنَا[٢] ... وقـد اشْـرَأَبَّ الدمَّـع أُن يكفَـا[٣]

رَشَـأٌ تَوَاصَـيْنَ الـقِيَـانُ به ... حـتى عَـقَـدنَ بأُذْنه شُنُفَـا[٤]

* * *

وفى هذا الشعرِ من التشبيه(٥ الجَيِّدِ قوله٥):

خَـيِّـرْ فـؤادَكَ أو سَتُخْـبِرُهُ ... قَـسَمًـا لِيَنْتَـهِيَنَّ أو حَلَفَـا

الحبُّ ظـهْـرٌ أنت راكِـبُـهُ ... فـإذا صـرَفْتَ عِنَـانَهُ انصَـرَفَـا

* * *

ومن التشبيهِ الجيدِ قوله[٦]:

إليكَ رَمَتْ بالقَـوم خُـوصٌ كـأنما ... جَمَـاجِمُـها فـوقَ الحجـاجِ قُبُـورُ

* * *

---

(١) ر: «تشبيهه».

(٢) ر: «كأن سعدى» وما أثبته عن الأصل، س.

(٣) زيادات ر: «يقال: اشرأب لأن يكلمنى» إذا تهيأ لكلامك. واشرأب الدمع، إذا تهيأ للوكف».

(٤) الرشأ: الظبى إذا قوى واشتد، وتواصين، أوصى بعضهم بعضا.

(٥-٥) ساقط من ر.

(٦) من كلمة يمدح بها الخصيب، أمير مصر، وقبله:

ومـازلتَ توليـه النَّصيـحـةَ يافـعًـا ... إلى أن بدا فى الـعـارضَيْـن قـتـيـرُ

إذا غـالـهُ أمْـرٌ فـإمَّا كَـفَـيْـتَـهُ ... وإمَّـا عـلـيـه بالـكُفَـاة تشـيـرُ

وله أيضًا :

سَأَرْحَلُ مِن قُودِ المَهَارَى شِمِلَّةً ... مُسَخَّرَةً مَا تَسْتَحَثُّ بحَادى[١]

معَ الرِّيح ما راحتْ فإن هىَ أَعْصَفَتْ ... نَهُوزٌ برأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادى[٢]

العَلاَة : السِّنْدانُ، قال جريرٌ :

أَيَفْخَرُ بالمُحمَمِ قَيْنُ لَيْلَى ... وَبالكِير المرَقَّعِ والعَلاَةْ

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ وَلاءَمَ بَيْنَهَا ... طَبَقَانِ من قِيرٍ ومن أَلْوَاحِ

فكَأَنَّهَا والماءُ يَنْطَحُ صَدْرَها ... والخَيْزُرانَةُ فى يدِ المَلاَّحِ

جَوْنٌ من العِقْبَانِ يَبْتَدِر الدُّجَى ... يَهْوِى بصَوْتٍ واصْطِفاقِ جَنَاحِ

* * *

وقال فى شعرٍ آخر ، يصفُ الخمرَ، ويذكرُ صفاءَها ورِقَّتَها، وضياءها وإشراقَها :

إذا هَبَّ فيها شاربُ القومِ خلْتَهُ ... يُقَبِّل فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَبا[٣]

* * *

فأما قوله :

بَنيْنَا عَلَى كِسْرَى سماءَ مُدَامَةٍ ... جَوَانِبُها مَحْفُوفَةٌ بنُجومِ

فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُهُ ... إذًا لاَصْطَفَانِى دونَ كلِّ نديمِ

---

(١) قود المهارى. القود: جمع قوداء، وهى الطويلة الظهر والعتق، والمهرى: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان. أى حى من العرب .

(٢) النهوز، مبالغة من النهز، وهو الدفع .

(٣) قبله .

وقُلْتُ لساقيها أَجزْهَا فلَم يكنْ ... ليَأْبى أميرُ المؤمنين وأشربا

فجوَّزها عنِّى سُلافًا ترَى لَهَا ... إلى الأفُقِ الأعلى شعَاعًا مُطَنَّبا

فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء وقوله:

جوانْبها محفوفةٌ بنجوم

فإنما يريد ما تَطوَّقَ به من الزَّبَدِ .

* * *

وقد قال فى أخرى :

[أولُ الشعرِ من غير الأمّ[1]:

وَدَارِ نَدَامَى خَلَفُوها وَأَدْلَجُوا — بها أثرٌ منهم جديد ودارِسُ
مَسَاحِبُ من جَرِّ الزِّقَاقِ على الثَّرَى — وأضغاثُ رَيْحَانٍ جَنِىٌّ ويابسُ
حَبَسْتُ بها صَحْبِى فأَلَّفْتُ شملَهُمْ — وإنى على أمثال تلك لحابسُ][2]
أقمنا بها يوما ويومًا وليلة — ويومًا له يومُ التَّرَحُّلِ خامسُ
تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَسْجَدِيَّةٍ — حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ
قرَارَتَها[3] كسْرَى وفى جَنَباتها — مَهًا تَدَّرِيهَا بالقسى الفوارسُ
فَلِلْخَمْرِ مازرَّت عليه جُيُوبُها — وللْماء ما دارَتْ عليه القَلانِسُ

العسجديةُ: منسوبةٌ إلى العَسْجَد، وهوالذَّهب.

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِىُّ :

قالت ألا تَشْتَرى ذاكمُ — إلاَّ بما شِئْنا ولم يُوجَدِ
إلاَّ بِبَدْرَىْ ذهب خالصٍ — كلَّ صباحٍ آخرَ المُسْنَدِ
مِنْ مالِ مَنْ يَجْنِى ويُجْنَى له — سبعون قِنطاراً من العسجدِ

وقوله: «تَدَّرِيها» أى تَختِلها. يقال: دَرَيْتُ الصَّيْدَ. إذا خَتَلتَه. قال الأخطلُ:

---

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقْصَـدتنى إذْ رَمَيْتِنى بسهمِك والرامى يصـيدُ وما يَدرى

* * *

وقال الحسن بن هانئ :

مَـا حَطَكَ الواشُـونَ من رُتْبَـة عندى ولا ضَـرَّك مـغْـتـابُ[1]

كـأنما أثْنواْ ولم يَعْـلَمُـوا[2] عليكَ عـندى بالـذى عـابُوا

وهذا المعنى عندى مأخـوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذر لحَـجْلِ بن نَضْلَة، وقد ذكر معاويةَ بن شكَلٍ، فقال: أبَيْتَ اللَّعْنَ! إنَّهُ لقعْوُ الأَلْيَتَيْنِ، مُقْبَلُ النَّعلين، فحجُ الفَخـذَيْن، مَشَّاءٌ بأقْـراءٍ، تبَّاعُ إماءٍ، قَـتَّالُ ظِبَـاء. فقال النعـمانُ: أردتَ أن تذيمهُ فَمدَهْتَهُ.

قوله: «مُقْبَلُ النعـلين»، يقولُ: لنعله قِبَالٌ. يَنْسُبُهُ إلى التَّـرفهِ. وتباع إماء. وقَتَّالُ ظبَاء . من ذلك.

والقَعْوُ: ما تَدُورُ فيه البكرَةُ إذا كان من خشب.

وقوله: «تَذيمه» مـعناه تذمُّهُ. يُقالُ: ذَمَّـهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وذَامَهُ يَذيمهُ ذَيْمـاً، وذَأَمَه يَذأَمُـهُ ذَأْمًـا. والمعنى واحـد، قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا**﴾[3]. وقال الحارث بن خالد المخْزُومىُّ لعبد الملك:

صَحِـبْتُك إذ عَيْنى عليـها ترودُها فلمَّـا انجلَتْ قَطَّعْتُ نفسى أَذيمُهـا

وقوله: «فَـمَدَهْتَهُ» يريدُ «مَـدَحْتَهُ». فأبدلَ مـن الحاء هاءً، لِقُـرب المَخْـرَج، وبنو سَعْد بن زيد مَناة بن تميمٍ كذلك تقولُ. ولخمٌ ومَن قارَبَهَا.

قال رُؤْبة :

لله در الغـانيـات المدَّه[4] سَبَّـحْنَ واسْتَرْجـعَنْ من تألُّهِى[5]

يريد «المُدَّح»، وفى هذه الأرجُوزَة :

---

(١) ر : «ما اغتابوا» . وهذه رواية الأصل .

(٢) ر : «كأنهم» .

(٣) سورة الأعراف ١٨ .

(٤) المده : اللاتى يتمدحن بالجمال .

(٥) استرجعن : قلن : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* بَرَّاقُ أصْلادَ الجبين الأَجْلَه[1] *

يريدُ الأجْلَحِ، والعربُ تقولُ: جَلَحَ الرجُلُ جَلَحًا. وجَلِه يَجْلَهُ جَلَهًا. وجَلِىَ يَجْلَى جلًى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

* مَعَ الجَلاَ ولائحِ القتير *

ومثلُ بيت الحسنِ وكلام النعمانِ قولُ عمرو بن مَعْديكرب:

كأنَّ مُحَرَّشًا فى بيتِ سُعْدَى ... يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِنْدى شَفِيعُ[2]

وفى قصيدةِ الحَسَن هذه:

إن جئت لم تأتِ وإن لمْ أَجِئْ ... جِئتَ، فهذا منكَ لى داب!
كأنما أنت - وإنْ كنت لا ... تَكْذِبُ فى الميعادِ - كذَّابُ

وهذا كلام طَرِيفٌ.

* * *

ومن حَسَنِ تشبيه المحدَثِينَ قولُ بشَّارِ بن بُرْدٍ العقيلى[3]:

وكأنَّ تحتَ لسانِها ... هاروتَ يَنْفُثُ فيه سحْراً[4]
وتَخالُ ما جَمَعَتْ عليه ... بَنَانَهَا ذَهَبًا وعِطرًا[4]

وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلمِ بن الوليد:

كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغامَا

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه من قول المُحْدَثين قولِ عباس بن الأحْنَفِ:

---

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيها بالحجر الصلد.
(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) قبلهما:

حَوْراءُ إن نَظَرَتْ إلَيْكَ ... سَقَتْكَ بالعينين خَمْرَا
وكَأنَّ رَجْعَ حَدِيثِها ... قِطَعُ الرياض كُسينَ زَهْرَا

أحْـــرَمُ منكـم بما أقـــولُ وَقَـــدْ ... نالَ به العـاشـقـونَ مَنْ عَشـقُـوا
صِـــرْتُ كـــأنى ذُبالـةٌ نُصِـــبَتْ ... تُضىءُ للنـاسِ وَهْـىَ تَحْـتَـرِقُ[1]

فهذا حسنٌ فى هذا جداً .

* * *

ومن حَسَنِ مـا قالوا فى التـشبيـهِ قولُ إسـماعيلَ بن القـاسم أبى العَتـاهيَة للرَّشِيـد :

أمينَ الله أَمْـنُكَ خَـيْــرُ أَمْنٍ ... عليك مِـن التُّقَى فـيـه لِـبَـاسُ
تُسـاسُ من السَّمـاء بكل فَـضْلٍ ... وأنتَ به تَسُـوسُ كـمـا تُسـاسُ
كـأن الخلْـقَ رُكِّبَ فـيــه رُوحٌ ... له جَـسَـدٌ وأنـت عليـه رَاسُ

وقد أخَذَ هذا المعنى علىُّ بن جَبَلَة. فقال فى مدحه حُـمَيْد بن عبدِ الحميد. وزَادَ فى الشرح والترتيب. فقال:

يَرْتُـقُ مــا يَفْـتُـقُ أعـــداؤُهُ ... ولَيْسَ يَـأْسُـو فَـتْـقَــهُ آسى[2]
فـالنـاس جـسمٌ وإمـامُ الـهـدى ... رأسٌ وأنت الـعَـيْـنُ فى الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصرُ فى التشبيه، وربَّما أومأَتْ به إيماءً، قال أحدُ الرُّجَّازِ:

بتْنـا بِحَـسَّـانَ ومـعْـزَاهُ تَئِطّ[3] ... مـازِلْتُ أَسْعَى بيـنهم وأَلْتَـبِطْ[4]
حـتى إذا كـاد الظَّلامُ يخـتَلِطْ[5] ... جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ!

يقول فى لَوْنِ الذئب. واللبَنُ إذا جُـهدَ[6] وخُلِطَ بالماءِ ضَرَبَ إلى الغـبْرة. وأَنشدَ الأصمعىُّ:

وَتَشْـرَبُهُ مَخْـضًا وتَسقِـى عِيالَـها ... سَجَـاجا كأَقْـرَابِ الثعـالبِ أَوْرَقا

(١) الذبالة : الفتيلة .
(٢) الرتق: ضد الفتق؛ وهو لأم الفتق وإصلاحه.
(٣) تئط : من الأطيط؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع.
(٤) الالتباط : العدو والوثوب.
(٥) ر : «كان الظلام». وما أثبته من الأصل. س .
(٦) جهد اللبن : أخرج زبده كله .

السَّجَاج: الرقيق المَمْذُوقُ. والقربانِ: الجَنْبَانِ. والواحدُ قرْبٌ.

(١والجَميعُ أقرابٌ١)، ومن ذلك قول عمر بن الخطابِ رحمه الله لرسول الله ﷺ ـ وقد شاوَرَ فى رجل جَنَى جنَايَة، وجاء قومهُ يَشْفَعونَ له، فشَفع له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسولَ الله. أَرى أن تُوجعَ قُرْبَيْه، فقال القومُ: يا رسول الله، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أمَّتكَ بقولِ عمرَ. فنزل إليه جبريلُ ﷺ فقال له ثلاثا: يا محمدُ، القولُ قولُ عُمرَ، شُدَّ الإسلامَ بعمر. فخرجَ رسول الله ﷺ فضَرَبَ الرَّجلَ.

والأوْرَقُ: لونٌ بين الخضْرَةِ والسَّواد، يقال: جَملٌ أَوْرَقُ بَيِّنُ الوُرْقَة، وهو ألأمُ أَلْوان الإبل عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

* * *

ومن مَليح التشبيه لِلمُحْدِثين(٢) قولُ عبد الصَّمد بن المعَذلِ فى صفة العقربِ:

تُبْرزُ كالْقَرْنَيْنِ حين تُطْلعُهُ ... تُزْحلُه مَرًّا وَمراً ترْجعُه(٣)

فى مثْل صَدْر السبْت خَلْقٌ تُفْظعهُ ... أَعْصَلُ خطَّارٌ تلوح شُنُعُه(٤)

أَسْوَدُ كالسُّبَجَة فيه مبْضَعُهْ ... لا تَصنَعُ الرَّقْشَاءُ ما لا يَصْنَعُهْ(٥)

وفى هذه الأرجوزة أيضًا :

باتَ بهَا حَينُ حُبَيْش يَتْبَعُهْ ... وَبَاتَ جَذْلان وَثيراً مَضْجَعُه(٦)

ذَا سنَة آمنَ مَا يُروِّعُه ... حَتى دنَت منه لحَتْف تزْمعُه

فاظَتْ تَجمُّ سَمَّها وتجْمَعُهْ ... يا بُؤْسِ للمُودعه ما يُودعُهْ(٧)

فَشَرعَتْ أمَّ الحمَام إصْبَعُه ... أنحتْ عليه كالشهاب تلْذَعُه(٨)

(١-١) ساقط من ر .

(٢) ساقطة من ر . (٣) تزحله : تنحيه .

(٤) السبت : الجلد المدبوغ. وخلق. مخلوق. يريد ذنبها. تفظعه: تراه فظيعا. أعصل. من العصل، وهو الالتواء فى الشيء. وخطار : كثير الحركة يمينا وشمالا . (من رغبة الآمل).

(٥) السبجة: بردة من صوف فيها سواد وبياض، والرقشاء: الحية فيها نقط سود وبيض.

(٦) حبيش هنا : اسم اللديغ ، والحين : الهلاك .، ووثيرا، من الوثارة . وهى لين الفراش.

(٧) فاظت : أخرجت سمها . (٨) شرعت : دنت .

عَطَّك سِـــرْبَالَ حَـــرير تخلْعُـــهْ فكلَّ خـلٍّ ظاهرٍ تَفَـــجُّـــعـــهْ[1]
يَزدادُ من بَغْتِ الحـــمَـام جَـزَعـه واليـأسُ مِن تـيْـسـيـره تَوَقُّـــعُـــه

وكذلك قال يزيدُ بن ضبَّة [أو يزيد بن الصمة[2]] .

[قال أبو الحسن : شك العباس فى أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .

ولكـنَّهُم بَانـوا ولم أدرِ بَغْـــتَـــة وأَفْظَعُ شىءٍ حينَ يَفْجَـؤكَ البَغْت[3]

* * *

ومن أحسن التشبيه ومَلِيحِه قولُ رجل يَهْجُو رَجُلا برَثاثة الحال :

يأتيك فـى جُـبَّـة مـحـــرَّقـة أَطْوَلُ أعـــمـار مـــثْلِهَـــا يَوْمُ
وُطَيْلَسَـــانٍ كـــالآلِ يَلْبَـسُـــهُ على قَـــمـيـصٍ كـأَنَّهُ غَـــيمُ

* * *

والتشبيه كثيرٌ، وهو بابٌ كأنه لا آخِر له، وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شىء من المعانى.

ونختمُ ما ذكرنا من أشعار المحْدَثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيِّد. ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقـريبُـهُ المَرطَى والجـوْنُ مُعْـتَـدِلٌ كـأنـه سُـبَـدٌ بـالماء مَـغْـسُـولُ

السُّبد: طائرٌ بعينه. وقد قالوا : الخطفة التى توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ أشبه، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ، وخيرُ الخـيل ما لم يُسْرِع عَرَقُهُ ولم يُبْطِئ، فإذا جاء فى و قته شَمِلَهُ.

قال الرَّاجزُ :

كـــأَنَّه والـطَّرْفُ منه سَــــامِى مُـشْـتَـمِلٌ جــاء مِنَ الحـــمَّـامِ

وقال الأعشى :

---

(١) العط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين.
(٢) تكملة من س ، وفى ر : «أو للعرجم» ، ولعله : «أو للعرجى» .
(٣) حاشية الأصل : «فى غيرهذا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى».

يُعَـادِى النحُـوصَ ومِسْحَلَهَا وعِـفْـوَهُـمَـا قَـبْلَ أَنْ يَسْـتَـحِم

النَّحْوص، جـماعُهـا نحُصُ، وهى التى لم تَحْملْ فـى عامهـا، والمِسْحَلُ: العَيْرُ، والعِـفْوُ: الولَدُ وجمعُـه عِفَاءٌ. فاعلم؛ وهو أَسْعَى له إذا لـم يكن لعامه. ويَسْتَحِمُّ: يَعْـرَقُ. وفى حديث أمِّ زرْعٍ: «مضْجَعُه كـمَسلِّ الشَّطْبَةِ[1] وتكْفيه ذِرَاعُ التجفْرَةِ»[2]. ومعناه أنه خَـمَيص البطنِ، وهذا تمْدَحُ به العربُ وتَستحسنه، فـأَما قولُ مُتَمّم بن نُوَيْرة:

* فتى غَيْرَ مبْطان العَشيَّات أَرْوَعَا[3] *

فإنما أرَاد أنه لا يسْتعجلُ بالعشاء لانتظاره الضيفَ، كما قال:

وضَـيْف إذا أَرقَى طُرُوقًـا بَعِـيـرهُ وعـان نآهُ الغلّ حـتـى تكَنَّعـا[4]

وقالوا فى قول الخنساء:

يُذكّـرُنى طُلوعُ الشـمسِ صَـخْـرًا وأذكُـره لكلِّ غُـروبِ شـمسِ

قـالوا: أرادتْ بطلـوعِ الشـمس وقت الغَـارَةِ. وبغـروب الشـمس وقت الأضْيافِ.

* * *

وقال رجلٌ لبعض أهله[5]: واللهِ ما أنتَ بعَـظيم الرأْس فتكون سَـيِّدًا، ولا بأرْسَح[6] فتكون فارسًا.

وقال رجلٌ من بنى أَسـدِ لرجل من قَيْس: واللهِ ما فُتِقْـت فَتْق السَّادَةِ. ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ.

---

(١) الشطبة: السعفة التى تشطب من الجريد.

(٢) التجفرة: ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاة.

(٣) المبطان: العظيم البطن من كثرة الأكل. وصدره:

* لَقَدْ كفَّنَ الْمنَهالُ تَحْتَ ردائه *

(٤) قال الأصمعى: إذا ضل الرجل أرغى بعيره. أى حمله على الَرغاء لتجييه الإبل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى». والعانى: الأسير، والطروق. الإتيان ليلا. وتكنع الأسير: تقبض واجتمع.

(٥) ر: «لابن له».

(٦) الأرسح: قليل لحم الفخذين والأليتين.

فهذه كلُّها نعـوت قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنها سـمَاتٌ لهم. وكانوا يقولون: ينْبَـغى أن يـكون الفـارس[1] مُهَـفْهَفَ الخـصْرَيْن[2]، مُـتَوَقِّـدَ العينين، حَـمْشَ الذِّراعين[3]. وأنشد الأصمعىُّ:

* كأنما سَاعدَاه ساعدَا ذيبِ *

قالوا: ومن نعت السَّيِّد أن يكونَ لحيمًا، ضَـخْمَ الهامة، جهيرَ الصَّوْت، إذا خطا أَبْعدَ، وإذا تُؤمِّلَ مَـلأَ العَيْنَ؛ لأنَّ حقَّه أن يكونَ فى صَـدر مجلس، أو ذِرْوَةِ مِنْبر، أو منفردًا فى مَوْكِب.

وكانوا يقولون فى نعت السيِّد: يملأ العَينَ جمالا، والسَّمعَ مَقالا.

***

وقال أبـو علىٍّ دعْبل بن على فى رجلٍ نَسَـبَهُ إلى السُّـؤدَد، بقوله لمعـاذ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِىِّ، وهو من ولد حُمْيدِ بن عبد الرحمن الفَقيهِ:

فــإذا جـالـسْتَــهُ صَـدَّرْتَهُ	وتَنحـيَّتْ له فى الحـاشـيـهْ[4]
وإذا سَــايَرْتَهُ قَــدَّمْـتَــهُ	وتأخَّـرت مـعَ المستـأنـيَـهْ[5]
وإذا ياسَــرْتَـهُ صَـادفـتَــه	سَلِسَ الخلق سَليمَ الـناحيَـهْ[6]
وإذا عــاسَــرْتَهُ صادفـتَــه	شَـرِسَ الرَّأْى أَبِيًّـا داهَيَــهْ[7]
فـاحْـمَدَ الله عـلى صُحبـتـه	واسْـأَلِ الرَّحـمنَ منه العـافِيَـهْ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ فى قوله:

بِشْــرٌ أبو مَــرْوانَ إن عـاسَــرْتَهُ	عَــسِرٌ وعندَ يَسَـاره مَـيْسـورُ[8]

---

(١) ر: «ينبغى للفارس أن يكون».

(٢) مهفهف الخصرين: ضامرهما.

(٣) حمش الذراعين. أى دقيقهما.

(٤) حاشية كل شىء طرفه وجانبه.

(٥) المستأنية: المتمهلة البطيئة.

(٦) ياسرته: لاينته وساهلته.

(٧) شرس الرأى: سيئ الخلق.

(٨) هو بشر بن مروان، أخو عبد الملك بن مروان.

بـاب

تجتمعُ فيه طَرَائفُ من حَسَنِ الكلام، وجيـدِ الشعر، وسائِرِ الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجَّاجُ بن يوسف يَسْتَثْقِلُ زيادَ بن عمرو العَتَكىَّ، فلما أَثْنَت الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليد بن عـبد الملك، والحجاجُحاضرٌ، قال زيادُ بن عَـمرو: يا أمير المؤمنين، إنّ الحجـاجَ سيفُكَ الذى لا يَنْبُو، وسَهْمُـكَ الذى لا يَطيشُ، وخادمُك الذى لا تأْخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ، فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخفَّ على قلب الحجاج منه .

[لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب]

ولزيادٍ يقول ابنُ قيس الرُّقَيَّات فى معاتبتهِ المهَلَّبَ بن أبى صُفْرَة :

أَبْلِـغَـــا جَـــارىَ المهَلَّبَ عَـنِّى ... كلُّ جـار مُـفـارقٌ لا مَـحَـالَهْ

إنَّ جَـــارَاتكَ الـلواَتى بـتْكـر ... يتَ لتَنْبِـيـذ رَجْلهنَّ مـقَـالَهْ[1]

لو تعَـلَّقْنَ من زياد بن عـمـرو ... بحـبَـال لَمَـا ذَمَـمن حبَـالَهْ

غَلَبَتْ أمُّـــهُ أباهُ عـليـــه ... فَـهـوَ كـالكابُلِىِّ أَشْبَـهَ خَالَهْ[2]

ولقـد غَـالنى يزيـدُ وكـانتْ ... فى يَزيـد خيـانةٌ ومَـغَـاله[3]

عَـتكِـىٌّ كـأنَّـه ضَـوءُ بَدْرٍ ... يَحْـمَـدُ النَاسُ قَـوْلَه وفَـعَـالَهْ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزَارىُّ : لا أُشاتِم رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أَسَدُّ خُلَّتَهُ، أو لئيمٌ أَشترى عِرضى منه.

* * *

وقال سَـهْلُ بن هارون : يجب على كل ذى مَقَـالةِ أن يَبْدَأَ بحمـدِ اللهِ قبلَ استفتاحِها، كما بُدِئَ بالنعمةِ قبل استحقاقها.

---

(١) تكربت: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المرصفى: «يريد أن شهـوة أمه سبقت شهوة أبيه فـسرت أعراقها فيه» فلم يشـبه أباه فى صلابة عوده ونجابته. والكابلى: منسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طخارستان، نسبة إلى العجم».

(٣) المغالة : الخيانة .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيةِ : التَّهْنِئَـة بآجلِ الثواب أوْلَى منَ التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

* * *

وأراد رجلٌ الحجَّ، فأتى شعْبَةَ بن الحجاجِ يُوَدِّعُه، فقال له شعبة: أَمَا إِنك إنْ لم ترَ الحلْمَ ذُلا، والسَّفَه أَنَفًا! سلِمَ لك حَجُّكَ.

وقالَ أُوَيْس القرَنىُّ : إِنَّ حقوقَ الله لم تَتْرُكْ عند مُسْلِمٍ دِرهَمًا .

[لدعبل يذم رجلا]

وقال دعبلُ بن عليٍّ الخزاعيُّ يذمُّ رجلا :

رأيتُ أبا عـمْـرَان يَبْذلُ عـرْضَـهُ ... وخُبْزُ أبى عمـران في أحْرَزِ الحرز
يحِنُّ إلى جـاراتـهِ بعـد شِـبْـعِـهِ ... وجـاراتُه غَـرْثَى تَحِنُّ إلى الخُبـزِ

[لبعض آل المهلب]

وقال آخر(١):

قَـوْمٌ إذا أكلوا أَخْـفَــوْا كـلامَـهُمُ ... وَاسْتَـوْثَقوا من رِتاجِ البـاب والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ(٢) ... ولا تكُفُّ يَدٌ عن حُـرْمَـةِ الجـار(٣)

[لرجل من طيئ وكان قتل رجلا من بنى أسد]

وقال رجلٌ من طَيِّـئٍ ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيـدٌ، من وَلَد عُرْوَة بن زَيْدِ الخيْلِ ، قَتَلَ رجلا من بنى أَسَد يقال له زيدٌ، ثم أقِيدَ به بَعْدُ :

علا زَيْدُنا يوم الْحمى رأسَ زَيْدكمْ ... بأَبْيَضَ مَـصْـقُـول الغـرَار يَمَـانِ
فـإنْ تَقْـتُلُوا زَيْـدًا بزيدٍ فـإنما ... أَقَـادكُمُ السُّلْطَانُ بعـد زمَـانِ

* * *

(١) نسبه أبو تمـام فى الحماسة ٤ : ٩٠ إلى بعض آل المهلب. وقـال التبريزى فى شرحـه: «هو عبد الله بن عبد الرحمن، ولقبه أبو الأنوار».

(٢) القبس : الشعلة من النار ، والقابس: طالب النار .

(٣) زيادات ر : أظن تمامه :

حـتى إذا اسـتنبح الأضـيـاف كَلْبَـهم ... قـالـوا لأمِّـهمُ بولـى على الـنارِ
قـامت بأحـمـرها تبـدى مـشـافـرَه ... كـأنه رئـةٌ فى كـفّ جـزار

والبيت الأول للأخطل ، وروايته فى ديوانه «قوم إذا استنبح . . .»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَــلا زيدُنا يوم النّقى رَأْسَ زيدكمْ ... بأَبْيَضَ مِن مــاءِ الحـديد يَمَـانِ]

[لشمعل التغلبى حين ضربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شــمعل التغلبى عــبد الملك كلاما لــم يرضه، فرماه عــبد الملك بالجرز[1] فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جـذْبَةِ بالرِّجْلِ مِنِّى تَباشَـرَتْ ... عُدَاتِى، فلا عَـيبٌ علىَّ ولا سُخْرُ
فَـإِنَّ أمــيـر المؤمنين وسَـيْـفَـهُ ... لكالدَّهْر ، لا عارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ!

* * *

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد.

* * *

وقال زياد : كـفى بالبـخيل عارا أن اسـمه لم يقـع فى حمد قـط ، وكفى بالجود مجدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

* * *

وقال آخر :

ألا تَرَيْنَ وقــد قَطَّعْــتنى عَــذلا ... ماذا من الفَضلِ بَيْنَ الُبخلِ والجود!
لا يَعْـدَمُ السـائلون الخـيـر أَفـعلُه ... إمَّــا نَوالا وإمَّـا حُــسنَ مَــرْدود
إلا يكُـنْ ورَقٌ يومًــــا أَراحَ بـه ... لِلْخَــابِـطين فــإنى لَـيِّنُ العُــود

قولـه: «إلا يكُنْ وَرَقٌ» يريد المالَ، وضَرَبه مَـثَلا. ويقـال: أتى فلانٌ فـلانا يَختَبِطُ ما عندَه. والاخْتبَاطُ: ضربُ الشجرِ ليَسْقُطَ الورقُ، فجعلَ الخابِطَ الطالبَ، والوَرَقَ المالَ، كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَـانِعَ ذى قُـربى ولا رَحمٍ ... يومًـا ولا مُعْدِمًـا مِن خابـطِ وَرَقًا

[بخل الحطيئة]

وَيُروَى أن ضيفًا نزل بالحُطَيْئةِ، وهو يَـرْعى غنمًا له ، وفى يده عصًا، فقال

(١) الجرز : عمود من حديد .

الضَّيفُ: ياراَعِى الغَنَم [ما عندك؟][1]، فأومأ إليه الحطيئة بعصاهُ، وقال: عجْرَاءُ من سَلِمٍ[2]، فقال الرجلُ: إنى ضَيْفٌ، فقال الحطيئةُ: للضّيفانِ أَعْدَدُتها!

[متفرقات من شعر دعبل]

وقال دِعْبلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغِي عَرَبِيًّا … لَيس يَرْضَى البَنَاتَ لِلأكْفَاء
إنْ بَدَتْ حاجةُ له ذكر الضَّيْـ … ـفَ ويَنْسَاه عندَ وقت الغَدَاءِ

* * *

وقال أيضا :

أضيافُ سالمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَة … وفى شَرَابٍ ولحمٍ غيرِ ممنوعِ
وَضَيْفُ عَمْرو وَعمرو يَسْهَرَان معًا … عَمْرٌو لِبطْنَته والضَيفُ للجُوع

* * *

وقال أيضا :

ما يرحل الضيف عنى بعد تكرمة … إلا برفد وتشييع ومعذرة

* * *

وقال أيضا :

لم يُطيقوا أن يَسمعُوا وَسَمِعْنا … وصَبَرْنا على رَحى الأسْنَانَ
صوت مَضْغ الضُّيوفِ أحسن عندى … من غِناءِ القِيَان بالعِيدان

[وقال القرَشىُّ من بنى أميَّةَ :

إذا ما وترنَا لم نَنمْ عَنْ تراَتِنا … ولم نَكُ أَوْغَالا نقيمُ البْوَاكيَا[3]
ولكنَّنا نمضى الجيادَ شَوازبا … فنرمى بها نحو التِّرَات المراميَا[4]

---

(١) تكملة من س . (٢) العجراء : التى فيها عقد . والسلم : شجر من العضاه .
(٣) وترنا : قتل منا قتيل، والترات : جمع ترة. وهى النسل، والأوغال: جمع وغل ، وهو النذل الضعيف من الرجال .
(٤) الشوازب من الخيل : الضوامر .

وقال جرير :

إنَّ الذى حرَمَ الخلافة تَغْلبًا ... جَعَلَ النُّبُوةَ والخلافةَ فينَا[1]

مُضَرٌ أبى وأبو الملوكِ وَهَلْ لكم ... يا خُزْرَ تَغْلبَ من أب كأبينا !

هذا ابن عمِّى فى دمَشقَ خَليفةً ... لو شِئْتُ ساقكمُ إلىَّ قَطينا[2]

إنَّ الفرزدقَ إذْ تحنَّفَ كارها ... أَضْحى لِتَغْلبَ والصَّليبِ خَدينا[3]

ولقد جَزِعْتَ إلى النصارَى بَعْدَما ... لَقىَ الصليبُ من العذابِ مُهينا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المشَاعِرِ مَشْعَرًا ... أَو تَسْمعون من الأذان أَذِينا![4]

***

قال أبو العباس : حدثنى عُمارةُ بن عقيلِ بن بلال بن جَرير، قال: لمَّا بلغ الوليد قولُه :

هذا ابن عمى فى دمَشْقَ خَليفةً ... لو شئت ساقكُم إلىَّ قَطينًا

قال الوليد : أَمَّا والله لو قال: «لو شاء ساقكم»، لفعلتُ ذاك به، ولكنه قال: «لو شئتُ» فجعلنى شُرْطيًّا له.

***

ويُرْوَى أن بلالا[5] قعد يومًا ينظرُ بين الخصومِ، ورجل منهم ناحِيًا يَتَمثَّلُ قولَ الأخطَلِ على غير معْرفة[6]:

وابن المرَاغَة حابسٌ أَعْيَارهُ ... مَرْمَى القصيَّةِ ما يذَقْنَ بِلالا[7]

(١) الخزر : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقدا وغيظا وعداوة .

(٢) القطين: الخدم والمماليك .

(٣) تحنف : تنسك وتأله .

(٤) الأذين : المؤذن .

(٥) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى القاضى .

(٦) فى هجاء جرير .

(٧) المراغة فى الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ،وتقال أيضا للأتان التى لا تمتنع من الفحول. والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار، والقصية: الموضع المتنحى البعيد. والبلال: ما بل الحلق من ماء وغيره.

فسمعه بلالٌ، فلمَّا تَقدَّمَ مع خصْمه قال له بلالٌ: أَعدْ علىَّ[1] إنشادَكَ، فَغَمَزَه بعضُ الجلساء، فقال الرجلُ: إنى واللهِ ما أدرى مَنْ قالَه، و لا فيمن قيلَ؟ فقال بلالٌ: أَجَلْ، هو أَسْيَرُ منْ ذاك، هلمَّا فَاحْتَجَّا.

* * *

وقال جرير :

مَررْتُ عَلى الديارِ فما رأَيْنَا ... كدَارٍ بين تَلْعةَ والنَّظيمِ

عَرَفْتُ الْمُنتَأَى وعَرفتُ منها ... مَطايَا القِدْرِ كالْحِدأ الجُثُومِ[2]

* * *

وقال آخر :

لقد تبَلَتْ فُؤادكَ إذْ تولَّتْ ... ولمْ تَخْشَ العُقوبةَ فى التَّولّى[3]

عَرَفْتُ الدارَ يومَ وقفتُ فيها ... برِيحِ المِسْكِ تَنْفَحُ فى المَحَلِّ

* * *

(١) ساقطة من ر .

(٢) جثوم: جمع جاثمة ؛ من جثم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح.

(٣) تبلت فؤادك: أسقمته وأدنفته.

باب

من أخبار الخوارج

[في بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبى]

قال أبو العباس: ذَكَر أهلُ العلم من الصُّفْرِيَّة أنَّ الخوارج[1] لَمَّا عَزَموا على البَيْعَةَ لعبد الله بن وهْب الرَّاسِبىِّ من الأزد، تكَرَّهَ ذلك. فَأَبَوْا مَنْ سواه، ولم يُريدُوا غيرَه. فلمَّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم، استَبيتُوا الرأى ، أَىْ دَعُوهُ يَغِبّ[2].

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأى الدبرِى.

قوله: «استبيتوا الرأى» يقول: دَعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تَعَقَّبُوه. يقال: بَيَّت فلانٌ كذا كذا، إذا فعله ليلا، وفى القرآن: ﴿**إذ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى مِن الْقَوْل**﴾[3]، أى أَدَارُوا ذلك بينهم لَيْلا[4]. وأنشدَ أبو عُبيدةَ :

أَتونى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا ... وكانوا أَتَوْنى بأمْرٍ نكَرْ
لأنْكِحَ أَيِّمَهُم مُنْذِرًا ... وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لحرٍّ!

والرأىُ الدَّبَرِىُّ: الذى يَعْرِضُ[4] بعد وقُوع الشىء، كما قال جريرٌ[5]:

ولا يَعرفونَ الشرَّ حتى يُصيبَهمْ ... ولا يعرفون الأمْرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عبدُ الله بن وَهْب ذا رأى وفَهْمٍ، ولسانٍ وشَجاعةٍ، وإنما لجئوا إليه وخَلَعوا مَعْدَانَ الإيادى ، لقول مَعْدانَ :

---

(١) من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان. والصفرية: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادية أيضا. الملل والنحل للشهرستانى ١: ١٢٣ .

(٢) يغب : أى يبيت .

(٣) سورة انساء ١٠٨ .

(٣) ر : «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) فى هجاء الفرزدق وقومه من بنى مجاشع.

سلامٌ على مَنْ بـايَعَ اللهَ شَارِيًا[1] وليس على الحِـزْبِ المقـيم سَـلامُ

فبرئت منه الـصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفتَ، لأنَّكَ بَـرِئْتَ من القَعَدِ[2] والخوارج فى جميع أصنافهَا تَبرأ من الكاذب . ومن ذِى المعصيةِ الظَّاهرةِ .

[شأنهم مع واصل بن عطاء]

وحُدِّثْتَ أَنَّ واصلَ بن عطاء أبا حُذَيفَـةَ أَقْبَلَ فى رُفقة ، فأَحَـسُّوا الخوارج، فقال واصـلٌ لأهـل الرِّفقة: إنَّ هذا ليس مـن شأنكم، فاعتَـزِلُوا وَدَعُونـى وإيَّاهـم ـ وكانوا قد أَشْرَفُوا على العَطَب ـ فقالوا: شـأْنَكَ، فَخَرَجَ إليهم، فقالوا: ما أنتَ وأصحابُكَ؟ قال: مشْركونَ مُسْتَجِـيرونَ، ليَسْمَعُوا كلام الله، ويفهموا[3] حُدُودَه. فقالوا: قد أَجَرْناكم، قال: فعَلِّمُونا، فجعلُوا يعلمونه أحكامهم. وجَعل يقول: قد قبلتُ أنا ومَن معى، قـالوا: فامْضوا مُصاحَبين، فـإنكم إخواننا ! قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: **﴿وإنْ أحدٌ منَ المشْركينَ اسْتَجارَكَ فأجرهُ حتَى يَسْمَعَ كلام الله ثم أَبْلغْهُ مأْمَنَهُ﴾**[4]، فأَبْلغُونَا مَأْمَنَنَا. فنظـرَ بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فسارُوا بجمعهم[5] حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ.

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وذكر أهلُ العلمِ من غـير وجه أنَّ عليًّـا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّـهَ إليهم عبد الله بن عبَّاسٍ رحمة الله عليه، لُيناظِرَهم، قال لهم: ما الذى نقَمْتُمْ على أمير المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرًا، فلمَّا حكَّم فى دين الله خرجَ من الإيمان، فليُتبْ بعدَ إقـراره بالكفر نعد لهُ. فقال ابن عبـاس: ما ينبغى[6] لمؤمنٍ لـم يَشُبْ إيمانَهُ شكٌ أن يُقِرّ على نفـسه بالكفْر! قالوا: إنه قـد حكَّمَ، قال: إن الله عزَّ وجلَّ قد أَمرَنا بالتحكيم فى قتلِ صَيد، فقال عَزّ وجلَّ: **﴿يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم﴾**[7]، فكيفَ فى إمامة قد أشْكلتْ علَى المسلمين! فـقالوا: إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ، فقال: إنَّ الحكومة كالإمامةِ، ومتى فَسَق الإمـامُ وَجَبَتْ معصيتُه، وكذلك الحكمان

---

(١) شاريا، أى بائعا نفسه فى طاعة الله .

(٢) القعد: طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس.

(٣) ر : «ويعرفوا» .

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) ر : «بأجمعهم».

(٦) ر : «لا ينبغى» .

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

لَمَّا خالفا نُبِذت أقاويلهما فقال بعضُهم لبعض: لا تَجعلوا احتجاجَ قريشٍ حُجَّةً عليكم، فإنَّ هذا من القوم الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[2].

[الفتوى فيمن أصاب صيدا وهو محرم]

وَالشيءُ يذْكرُ بالشيء، وجاء في الحديث أن رجلا أعرابيًّا[3] أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إنى أَصَبْتُ ظَبْيًا وأنا مُحرِمٌ، فالتفتَ عمرُ إلى عبدالرحمن بن عَوْف، فقال: قل، فقال عبدُ الرحمن: يُهْدى شَاةً، فقال عمرُ: أَهْدِ شَاة. فقال الأعرابىُّ: والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استَفْتى غيرَهُ! فَخفَقَهُ عمرُ رضوان الله عليه بالدرَّة، وقال: أَتَقْتُلُ فى الحرَمِ وتَغْمصُ الفُتْيا! إنَّ الله عز وجلَّ قال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[4]، فأنا عمرُ بن الخطاب، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ.

* * *

وفى هذا الحديث ضُروب من الفقه؛ منها ما ذكروا أنَّ عبد الرحمن بن عوف قال أوَّلا، ليكون قولُ الإمام حُكْمًا قاطعًا، ومنها أنه رأَى أنَّ الشاةَ مثلُ الظبيةِ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[4]. وأنه لم يسأله: أَخطَأً قتلته[5] أم عمْدًا؟ وجعل الأمرينَ واحدًا. ومنها أنه لم يسأله: أقتلت صيدًا قبله وأنتَ مُحْرِمٌ؟ لأنَّ قومًا يقولون: إذا أصابَ ثانية لم يُحْكَم عليه، ولكنَّا نقولُ له[6]: اذهبْ فاتَّقِ الله، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[7].

[قول قطرى بن الفجاءة لأبى خالد القنانى ورد أبى خالد عليه]

مِنْ طَرِيف أخبار الخوارج قولُ قطَرِيِّ بن الفُجاءَةِ المازنىِّ لأبى خالد القَنَانىِّ - وكان مِن قَعَدِ الخوارجِ:

(١) سورة الزخرف ٥٨ . (٢) سورة مريم ٩٧ .

(٣) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه قبيصة بن هانئ أحد التابعين .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

(٥) ر : «قتله». وما أثبته عن الأصل.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر . (٧) سورة المائدة ٦٥ .

أبا خـالد إنْفـرْ فَـلَسْتَ بخَـالد[1] | وَمَا جَـعَلَ الرحمــنُ عذْراً لقـاعد
أتزْعُمُ أنَّ الخَـارجىَّ عـلى الهـدَى | وأنتَ مُـقـيمٌ بين لِصٍّ وجـاحِـدِ!

فكتبَ إليه أبو خالد :

لقــد زادَ الحــيـــاةَ إلىَّ حُــبًّـــا | بنــاتى، إنهنَّ مــن الضّـــعَـــاف
أُحـــاذِر أنْ يَرَيْنَ الفَـــقْـــرَ بَعْـــدى | وأن يَشْـربْنَ رَنْقًـا بعـد صـاَف[2]
وأن يَعْـــرَيْنَ إنْ كُـسِىَ الجـــوارِى | فـتنْبُو العَـيْنُ عن كُـومٍ عجَـاف[3]
ولولا ذاكَ قــد سَـوَّمْتُ مُــهْـرِى | وفى الرحـمن لـلضّـعَـفـاء كـاف
[أبانَـا مَنْ لـنا إنْ غِــــبْتَ عـنَّا | وصارَ الحىُّ بعدكَ فى اختلاف][4]!

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلافُ ما قال عِمْرَانُ بن حطانَ، أحـدُ بنى عمرِو بن شَيْبان بن ذَهْلِ بن ثعْلَبَـةَ بن عُكابَةَ بن صَـعْبَ بن علىٍّ بن بكْرِ بن وائلٍ، وكـان[5] رَأْسَ القعَـد من الصُّفْـرِية وخَطيبَهُم وشاعِـرَهم، قال: لـمَّا قُـتلَ أبو بلال، وهو مِرْدَاس بن أُدَيَّةَ ـ وهى جدَّتهُ. وأبُوهُ حُدَيْر. وهو أحدُ بنى رَبِيعة بن حَنْظَلَةَ بن مالكَ بن زيد مَنَاة بن تميمٍ، قال عِمران بنُ حطان:

لقـــد زادَ الحــيـــاةَ إلىَّ بُغْـضـــا | وحُــبًّـــا لـلخـــروجِ أبـو بلال
أُحَـاذرُ أن أمـوتَ عـلى فِـرَاشى | وأَرْجُـو الموتَ تحتَ ذُرَا الـعَـوَالى
ولو أنى عَـلمْتُ بأَنَّ حَـــتْــفِى | كَـــحَـــتْــف أبى بلال لــم أبالِ
فــمنْ يك هَمُّـهُ الـدنيـا فــإنى | لَهَـــا واللهِ ربِّ البــيتِ قـــالى

وفيه يقولُ:

يا عَـيْنُ بكَى لِمرْدَاسٍ ومَـصْـرَعِـهِ | يا رَبَّ مِرْدَاس اجـعَلْنى كـمرداسٍ

(١) ر : «يا انفر»، وما أثبته عن الأصل. س .
(٢) الرنق : الكدر .
(٣) العجاف : جمع عجفاء. وهى الهزيلة التى ذهب سمنها.
(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(٥) ر : «وقد كان».

تركْـتنـى هائمًـــا أبكى لمـرْزئَتى — فى منْزلٍ مُـوحَشٍ من بعـد إيناس
أنكرتُ بعَدَكَ مَنْ قـد كنتُ أعرفُه — ما الناس بعـدَكَ يا مرْداسُ بالناسِ
إمَّـــا شَــربْتَ بكأس دَارَ أوَّلُهــــا — على القرون فذاقُـوا جُرْعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يَذقـهَا شاربٌ عَـجلا — منهـا بأنـفـاسِ وِرْدٍ بعـدَ أنْفـاسِ

* * *

وكان من حديث عـمرانَ بن حطّانَ فيما حدثنى العباسُ بن الفْرجِ الرِّيَاشىُّ عن محمد بـن سَلام أنه لـمَّا أطْرَدَهُ الحجاجُ كان ينتـقلُ فى القبائل، فكان إذا نزل فى حىٍّ انْتَسَب نَسبًا يَقْرُب منه، ففى ذلك يقول:

نَزَلْنَـا فى بَنى سَــــعْــد بـن زَيدٍ — وفى عَكٍّ وعــامـرِ عَـوبْـثـان[١]
وفى لَخْم وفـى أددِ بن عـمـــروٍ — وفى بَـكْرٍ وحَىِّ بـنى العَـــدَانِ

ثُمَّ أخَـرج حـتـى نزل عند روح بن زنبْـاعِ الجُـذامـىّ. وكـان رَوحٌ يَقْـرِى الأضيافَ، و كا مسامرًا لعبد الملك بن مروانَ أثيرًا عنده[٢]، فانْتَمَى له من الأزْد.

- وفى غيـرهذا الحديث أنَّ عبد الملك ذكـر رَوْحا فقال: مَنْ أُعْطِى مـثلَ ما أُعْطِىَ أبو زُرْعةَ! أُعْطِىَ فقْهَ أهل الحجَاز ودَهاءَ أهلِ العراقِ، وطاعة أهلَ الشامِ.

رجع الحديثُ. وكـان رَوحُ بنُ زنْباعٍ لا يسمع شـعرًا نادرًا ولا حديثًا غـريبًا عند عبد الملك. فـقال: إن لى جارًا من الأزد ما أسمعُ من أميـر المؤمنين خَبَرًا ولا شعرًا إلا عَرَفَهُ وزاد فيه. فقال: خبِّـرْنى ببعض أخباره. فَخَبَّرهُ وأنشده. فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ. وأنى لأَحْسبُهُ عـمرانَ بن حِطان؛ حتى تذاكروا ليلة قول عِمران بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَم لعنه الله :

يا ضَـــرْبةً منْ تَقِىٍّ مـا أرادَ بـهـا — إلا ليَـبْلُغَ من ذى العرش رِضْـوانَا
إنِّى لأذكُـره حـينًا فَـأحْـسِــبـهُ — أوْفى البَـرِيَّةِ عـند الله مـيـزَانَا[٣]

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو. فرجعَ روحٌ إلى عمرانَ بن حطانَ، فسأله عنه.

---

(١) فى الأصل : «عوثبان»، وما أثبته عن ر . وهو يوافق ما فى القاموس .
(٢) أثيرا : مكرما .
(٣) زيادات ر : «قلبه الفقيه الطبرى» فقال :

فقال عمرانُ: هذا يقولُه عمرانُ بن حِطّانَ، يَمدح به عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ، قاتلَ علي بن أبي طالبٍ، فـرجعَ روحٌ إلى عبـد الملك فأخـبره، فـقال له عبـدُ الملك: ضَيفُكَ عمرانُ بن حِطّان اذهب فجئني به، فـرجَع إليه، فقال: إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ، قالَ عمـرانُ: قد أردتُ أن أسألَك ذلك فاستحـييتُ منكَ، فامْضِ فإني بالأثَر، فرجَع روْحٌ إلى عبد الملك فـأخبره، فقال له[1] عبد الملك: أَمَا إنَّكَ سترجعُ فلا تجدُه! فرجع وقد ارتحلَ عمرانُ، وخَلَّفَ رُقْعَة فيهَا:

ياروْحُ كم من أَخِي مَثْوَى نزلتُ به	قـد ظَنَّ ظَنَّكَ مـن لَخْمٍ وَغَسَّـان
حـتى إذا خِـفْتُـهُ فـارَقْـتُ منزلَهُ	من بَعْدِ مـا قيلَ عـمرانُ بنُ حِطَّانَ
قد كنـتُ جَارَكَ حَوْلا مـا تَروِّعُني	فـيـه روائعُ من إنْسٍ ومـنْ جَـان
حـتى أردتَ بيَ العُظْمَى فـأدركني	ما أدْرَكَ الناسَ من خوف ابنِ مَرْوَان
فـاعْـذرْ أخـاك ابْنَ زِنْبَـاعٍ فـإنَّ له	في النـائبـات خُطـوبًا ذاتَ ألوانَ
ومَـا يمان إذا لاقـيتُ ذا يَـمَنٍ	وإن لَقـيتُ مَـعَـدِّيًّا فَعَـدْناني
لو كنتُ مـستـغفـرًا يومًـا لطاغيَـة	كنتَ المُقَـدَّمَ فـي سرِّي وإعْـلاني
لكـنْ أبَتْ لِـيَ آياتٌ مُـطَهَّـرَةٌ	عنـد الولاية في طـه وَعِـمْـرانِ

ثم ارتحل حتـى نزلَ بُزفَرَ بن الحارث الـكلابيِّ، أَحَدِ بني عَـمرو بن وهب. فانتـسبَ له أوْزاعيًّـا ـ وكان عـمرانُ يُطيلُ الصـلاةَ، وكانَ غلْمـانٌ من بني عـامر يضحكونَ منه، فأتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوح بن زنْباعٍ فسَلَّم عليه، فدعاه زُفَرُ فقال: منْ هذا؟ فقال: رجلٌ من الأزْد، رأيتُهُ ضيفًا لرَوْحِ بن زنباعٍ، فقال له زفَرُ: يا هذا، أأزديًّا[2] مرةً وأوزَاعـيا مـرةً! إن كنتَ خائفًـا أمنَّاكَ[3]، وإن كنتَ فقـيرًا جبَرْنَاكَ. فلما أمسَى هَرَبَ وخَلَّفَ في منزله رُقعةً فيها:

= يا ضـربةً من شـقيٍّ مـا أراد بهـا	إلا لِيَـهْـدمَ من ذي الْعَـرْش بُنْيـانَا
إني لأذكُـرُه يومًـا فـأَلعنُه	إيهـا وألْـعَنُ عِـمْـران بنَ حِـطانَا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان:

يا ضَـرْبَة منْ غَـدُور صار ضَارِبُهَا	أَشْـقَـى البـريـة عنْدَ الله إنْسَـانا
إِذَا تفـكَّرْتُ فـيـه ظِلْتُ أَلعَنُه	وأَلْعَنَ الْـكَلْب عَـمْـرانَ بن حـطّانا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٢) ر: «أزديا؟». (٣) ر: «آمناك».

إن التى أصبحت يعيا بها زفر أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس: أنشدنى[1] الرِّياشِيُّ:

* أَعيَا عيَاهَا على روحِ بن زِنْباع *

ـ وأنكَره كما أنكَرناه، لأنه قَصَرَ الممدود، وذلك فى الشعر جائز، ولا يجوز مَدُّ المقصور ـ

مـا زَالَ يَسـأُلنى حَـوْلا لأخْـبِـرَهُ والناسُ من بين مَـخْـدوعٍ وخَـدَّاع

حـتـى إذا انقطعتْ عنى وَسَـائلُهُ كَفَّ السـؤالَ ولم يُولع بـإهْلاعى

فاكـفُفْ كمـا كَفَّ عَنِّى إننى رجلٌ إمَّـا صَـمـيمٌ وإمـا فَـقْـعـةُ القاعِ

واكفُفْ لسانَكَ عن لوْمى ومسألتى مـاذا تُـريدُ إلى شَـيْخٍ لأوْزاع !

أما الصـلاةَ فإنى لَسْتُ تاركَـها[2] كلُّ امْـرِئٍ للذى يُعْنَى به سـاعى

أَكَـرِمْ بـرَوْحِ بن زِنْبـاعٍ وأُسْـرتِه قـومٌ دَعَـا أَوَّلِيـهم للعـلا داعى

جـاورْتُهُـم سنة فـيـمـا أُسَـرُّ به عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غـيرُ تَهجاع

فـاعْـمَلُ فـإنك مَنْعِىٌّ بواحـدةٍ حَسْبُ اللبيب بهذا الشَّيْبِ من ناعى

ثم ارتحل حـتى أتى عُمان. فـوجدهم يُعَظِّمُـونَ أمر أبى بلال ويُظـهرونه، فـأَظهَرَ أمرَه فيهم، فبلغ ذلك الحجَّاجَ، فكتبَ إلى عامل[3] عُمان، فارْتحلَ عمرانُ هاربًا، حتى أتَى قومًا من الأزْد، فلم يَزَلْ فيهم حتى مات، وفى نزوله بهم يقولُ:

نزلْنَا بحـمـد الله فى خَـيْـر مَنْزلِ نسَـرُّ بما فـيـه من الإنْسِ والخَـفَـرْ

نزلْنَا بـقـوم يَجـمَعُ اللهُ شَـمْلَهُم وليس لهم عُودٌ سوَى المَجْد يُعْتَصَرْ

من الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أكـرم أُسـرْةٍ[4] يمَـانِيَـةٌ طابـوا إذا نسبَ البَـشَـرْ

فأَصـحبتُ فـيهم آمنًا لا كَـمَعْـشَرٍ أَتونى فـقالوا من ربَـيعَـةَ أَوْ مضَـرْ

أَم الحَىِّ قَـحطَان؟ فَـتلْكُمْ سَـفـاهةٌ كمـا قال روح لى وصاحبُـهُ زفَرْ[5]

وَمَـا مـنهـمـا إلّا يُـسَـرُّ بنسْـبَـةٍ تُقَـرِّبنـى منْهُ وإنْ كـانَ ذَا نَفَـرْ

فَنحْـنُ بَنُو الإسْـلامِ واللهُ وَاحِـدٌ وَأَوْلَى عـبـادِ اللهِ باللهِ مَـنْ شكَرْ

---

(١) ر : «أنشدنيه».

(٢) ر : «غير تاركها».

(٣) ر : «أهل».

(٤) ر : «معشر».

(٥) ر : «لى روح».

قوله:

* يا روحُ كم من أخي مَثْوَى نَزَلْتُ به *

قد مَرَّ تفسيرُه. يقالُ: هذا أبو مَثْوَايَ. وللأُنثى: هذه أمُّ مثْوايَ، ومنزلُ الإضافة(١) وما أَشْبَهَها المَثْوَى. وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل: ﴿أكرمي مَثْوَاهُ﴾(٢)، أيْ إضَافَتَه. ويقال منْ هذا: «ثَوَى يَثْوى ثويًّا» كقولك: مَضى يَمْضِي مُضِيًّا، ويقال: ثواءً، ومَضاءً، كما قال الشَّمَّاخُ:

طال الثَّواءُ على رَسْم بِيَمْؤُودِ ... أوْدَى وكلُّ جَديدٍ مَرَّةً مُودِي

وقوله:

* فيه رَوَائعُ مِن إنسٍ ومِن جَانِ *

الواحدةُ رائعة، يقال: رَاعَني يروعُني رَوْعًا، أى أفْزَعَني، قال الله تعالى ذكْره: ﴿فلمَّا ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ﴾(٣). ويكونُ الرائعُ الجميل، يقال: جَمالٌ رائعٌ، يكون ذلك في الرجل والفرسِ وغيرهما، وأحْسبُ الأصلَ فيهما واحدًا؛ أنه يفرُط حتى يَروع، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿يكادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأبْصار﴾(٤). للإفراط في ضيائه. والرائع؛ مهموزٌ، وكذلك كلُّ فعل من الثلاثة ممَّا عيْنه واو أو ياءٌ، إذا كانت معتلة ساكنة، تقولُ: قال يقول، وباع يبيع، وخَافَ يخافُ، وهابَ يهابُ، يَعْتَلُّ اسمُ الفاعل فَيُهْمزُ موضعُ العين، نحو قائل، ، وبائع، وخائف، وصائب. فإن صَحَّت العين في الفعل صحَّت في اسم الفاعل، نحو: عَوِرَ الرجلُ فهو عاوِرٌ، وصيدَ فهو صايدٌ، والصَّيَدُ: داءٌ يأخذُ في الرأس والعينين والشُّئون. وإنما صحت في «عورَ» و «حَولَ» و «صَيدَ» لأنه منقولٌ من «أحْوَل» و «أعْوَر». وقد أحكمنا تفسيرَ هذا في الكتاب المُقْتَضب.

وقوله:

بومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لقيتُ مَعَدِّيًّا فعدْنَاني

---

(١) ر: «الضيافة».

(٢) سورة يوسف ٢١.

(٣) سورة هود ٧٤.

(٤) سورة النور ٤٣.

يريد أنا يومًا يمان، ولولا أنَّ الشِّعـر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا، علي معنى أتَنَقَّلُ يَومًـا كذا ويوما كذا. والرفع حـسنٌ جميلٌ. وهذا الشعـرُ يُنْشَدُ نصبًا.

أفِي السلم أعـيـارًا جَـفـاءً وغَلْظَة ... وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ![1]

العوارك. هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

أفى الـولائمِ أولادًا لـواحـدةٍ ... وفى المحافل أولادًا لَعَـلات!

قال: العلاتُ، سُميتْ لأن الواحدة تُعَلُّ بعدَ صاحبتها. وهو من العَلَلِ، وهو الشُّربُ الثـانى. أى يختلفـون ويتحـوَّلون فى هذه الحالاتِ، ومن كـلام العرب: أتميميًّا مرةً وقـيسيًّا أخرى! وكذلك إن لم تستفهم وأخبـرت قلت: تميميا مرةً عَلِمَ الله وقَيْسِيًّا أخرى. أى تنتقلُ. ومن ثَـمَّ قال له زُفَرُ بن الحارث: أزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى؟ والرفع على «أنتَ» جَيِّدٌ بالغُ.

وقولُه:

* لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغية *

يكون على وجهين: لنفْس طاغـية . والآخرُ للمذكَّر . وزاد الهاء للتـوكيد للمبالغة. كـما يقالُ: رجل راويةٌ وعَلامَةٌ ونَسَّابةٌ. وكلاهمـا وَجْهٌ. ويقال: جاءت طاغيـةُ الرُّوم. تريد الجماعـة الطاغية. كـما قال رسـول الله ﷺ: «تَقْتُلك الفِتـئةُ الباغِيَةُ».

وقوله: «عندَ الولاية» إذا فـتحتَ فهـو مصدرُ «الوَلِيِّ» وفى القرآنِ المجـيد: ﴿ما لكُم من وَلايـتهم منْ شَىء﴾[2]. والوِلايةُ مكسورةٌ. نحو السِّـياسة والرِّياضة والإيالة، وهى الوِلَايةُ. وأصلُه من الإصلاحِ. يقال: آلهُ يَؤُولُه أوْلا، إذا أصلَحه. قال عـمرُ بن الخطابِ: قـد ألنَا وإيلَ علينا؛ تأويلُ ذلك : قـد ولِينَا ووُلِىَ علينا. وهذه كلمةٌ جامعةٌ. يقول: قد وَلِينَا فَعَلِمنا ما يُصْلِح الوالِىَ، ووُلِى علينا فَعلِمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

---

(١) الأعيار: جمع عير ، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ ـ ١٧٢ .
(٢) سورة الأنفال ٧٢ .

وقوله:

* حتى إذا ما انْقَضَتْ منِّى وَسائلُه *

وهى الذَّريعةُ والسَّببُ، يقال: قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رؤبَةُ بنُ العَجَّاج:

والناس إن فصلتهم فصائلا كل إلينا يبتغى الوسائلا

وقوله: «ولم يُولَعْ بإهْلاعى»، أى بإفزاعى وترويعى، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاة الأقران. يقال: نعوذ بالله من الهَلَعِ، ويقال: رجلٌ هَلُوعٌ، إذَا كان لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحد منهما غيرَ الحَقِّ، قال اللهُ عز وجلَّ[1]: ﴿**إنَّ الإنسان خُلقَ هَلُوعًا * إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعًا * وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا**﴾[2]. وقال الشاعرُ:

وَلِى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو ونفْسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاعِ

وقوله:

* إما صَميمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ *

الصميم: الخالصُ من كل شىء، يقال: فلانٌ من صميم قومِه، أى من خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك:

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى شُئونَ الرأس مُجْتَمِعَ الصَّمِيم

وقوله: «وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له: هو فَقْعة بقَاع، وذلك لأن الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصان. والفَقْعَةُ الكمأةُ البيضاءُ، ويقال: حمَامٌ فِقِّيعٌ لِبياضه، ومن ذا قولُ الشاعر:

قومٌ إذا نسِبُوا يكونُ أبوهُمُ عند المَناسِبِ فُقْعَة فى قَرْقَرِ[3]

وقال بعضُ القرشيين:

إذا ما كنتَ مُتَّخِذًا خليلا فلا تَجْعَلْ خليلَكَ منْ تَميمِ
بَلَوْتُ صميمَهُمْ والعبد منهم فما أدْنَى العَبِيدَ من الصَّميمِ!

---

(١) ر: «وهو أصدق القائلين». (٢) سورة المعارج ١٩ ـ ٢١.
(٣) القرقر: الأرض المطمئنة اللينة.

وقوله :

* نسرُّ بما فيه منَ الإنْسِ والخَفَرْ *

فأصل الخَفَر شدَّةُ الحياءِ، يقال: امرأةٌ خَفِرَةٌ، إذا كانت مستترةً لاستيحائها، قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقفىُّ :

تَضوَّعَ مِسكًا بطْنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ   به زينبٌ فى نسْوَةٍ خَفِرات

وقوله :

* منَ الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ: عصابة وقبيلة، ويقالُ للرجل: من أىِّ أُسْرَةٍ أنتَ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقَتَب: مأسُورٌ، وقد مضى تفسيره.

ويُنْشَدُ :

* يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ *

يريدُ «قَرُبُوا»، وهذا جائزٌ فى كلِّ شىءٍ مضمومٍ أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب، تقولُ فى الأسماء فى فَخِذٍ، فَخْذٌ، وفى عَضُد، عَضْدٌ. وتقولُ فى الأفعال: كَرْمَ عبدُ الله، أىَ كَرُمَ، وقد علْمَ اللهُ ، أى عَلِمَ اللهُ، قال الأخْطَلُ[1]:

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بَازِلٌ   من الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهِلُه[2]

وقال آخرُ:

عَجِبتُ لمولودٍ وليس له أبٌ   وذى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبَوَانِ

ولا يجوز فى «ضَرَبَ» ولا فى «حَمَلٍ» أن يُسكَّنَ، لخفة الفتحة.

وقوله:

* أتَوْنى فقالُوا من ربيعةَ أو مُضَرْ *

يقول: أمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَرَ؟ ويجوزُ فى الشعر حذفُ ألف الاستفهامِ، لأن «أم» التى جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البازل من الإبل : ما دخل فى التاسعة. ودبرت. من الدبر؛ وهو الجرح فى ظهر الدابة. والصفحتان: الجانبان.

لعَمْرُكَ ما أدرى كنتُ دَارِيًا ... بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أمْ بثمان

يريدُ: أبِسَبْعٍ؟ وقال التَّميميُّ:

لعَمَرُكَ ما أدرى وإنْ كنتُ داريًا ... شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شَعْيثُ بن مِنْقَر!

الروايةُ على وجهين: أحدُهما: أمِن رَبيعة أم مُضَرْ، أمِ الحىِّ قَحطان، يريدُ أذا أم ذا؟ والأملح[1] فى الرواية: من ربيعَةَ أو مضرْ، أم الحىِّ قَحطان، لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ، فأرادَ من أحد هذين أمِ الحىِّ قَحْطانَ؟ لأنَّهُ إذا قال: أزيدُ عندك أم عمرٌو؟ فالجوابُ: نَعَمْ أو لا، لأن المعنى أحد هذين[2] عندَك، ومعنى الأول: أيُّهما عندك؟

ويُروَى - وحدَّثنيه المازنيُّ - أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلب أتاها رجلٌ، فقال لها: أينَ الزُّبَيْرُ؟ قالت: وما تُريدُ إليه؟ قال: أُريد أنْ أُباطِشَهُ! فقالت: ها هو ذاك. فصار إلى الزبير فباطشه. فغلبه الزبيرُ، فمرَّ بها مَفْلُولا[3] فقالت صفيةُ:

كيف رأيتَ زَبْرَا ... أأقِطًا أو تَمْرَا

أم قُرَشيًّا صَقْرا

لم تَشْكُكْ بينَ الأَقِط والتَّمر فتقول: أيُّهما هو؟ ولكنها أرادتُ: أرأيتهُ طعامًا أم قُرشيًّا صقرًا؟ أى أأحدَ هذين رأيتهُ أم صقرًا؟ ولو قالت: أأقطًا أم تمرًا؟ لكَان[4] محالا على هذا الوجه.

وقوله: * وما منهما إلا يُسَرُّ بنسْبَةٍ *

معناه وما منهما واحدٌ فَحَذَفَ لعلم المخاطَب. قال الله جل اسْمُه: **﴿وإن من أهْلِ الكتَاب إلا لَيُؤْمنَنَّ به قَبْل موْته﴾**[5]. أى وإن أحدٌ، ومعنى: «إنْ» معنى «ما» قال الشاعر[6]:

ومـا الدَّهْرُ إلا تارَتَانِ فمنهما ... أموتُ وأُخرى أبْتَغِى العيشَ أكْدَحُ

يريدُ فمنهما تارةٌ.

---

(١) ر: «والأصلح».
(٢) ر: «لأن أحد هذين عندك».
(٣) مفلولا: مهزوما.
(٤) ر: «كان».
(٥) سورة النساء ١٥٩.
(٦) هو تميم بن أبى بن مقبل.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ ... وأوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شكَرْ

يقول: انقطعت الوَلايةُ إلا وَلايةَ الإسلام، لأن وَلايةَ الإسلام قد قاربتْ بين الغُرَباء. وقال الله عَزَّ وجلَّ: ﴿إنَّمَا المُؤْمنون إخْوةٌ﴾[1]. وقال عزَّ وجلَّ ـ فباعد به بين القرابة: ﴿إنَّهُ لَيس مِنْ أهْلك إنَّه عملٌ غَيْرُ صالح﴾[2]. وقال نَهارُ بن تَوْسِعَةَ اليَشْكُرِيُّ :

دعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعيه ... لِيُلْحِقَهُ بِذى الحسَبِ الصَّميمِ
أبى الإسلامُ لا أبَ لِى سِواهُ ... إذا افتخَرُوا بقيسٍ أو تَميمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبار أنَّ أوَّلَ مَنْ حكَّمَ عُرْوةُ بن أُدَيَّةَ ـ وأُدَيَّة جَدَّةٌ له فى الجاهلية[3] ـ وهو عروةُ بن حُدَيرٍ أحدُ بنى ربيعة بن حنظلة. وقال قومٌ: بل أولُ مَنْ حكَّمَ رجلٌ يقال له سَعِيدٌ من بنى مُحارِب بن خَصفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَرَ. ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهب الراسبيّ، وأنه امتنع عليهم، وأومأ إلى غيره. فلم يَقْتَنِعُوا إلا به، فكان إمام القوم، وكان يوصَف بالرَّأْى.

[أول سيف سل من سيوفهم]

فأما أولُ سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ. وذلك أنه أقبل على الأشْعَث فقال: ما هذه الدنيَّة[4] يا أشعثُ! وما هذا التحكيمُ؟ أشرطٌ أوْثَقُ من شَرْط الله عزَّ وجلَّ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ، والأشعثُ مُولٍّ، فضربَ به عَجُزَ البغلة، فَشَبَّتِ البغلة فَنَفَرَت اليَمَانيَةُ ـ وكانوا جُلَّ أصحاب عليٍّ صلوات الله عليه ـ فلما رأى ذلك الأحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قدامة ومسعود بن فَدَكِيٍّ بن أَعْبَدَ، وشَبَثُ بن رِبعيٍّ الرِيَاحيُّ إلى الأشْعثِ. فسألوه الصَّفْحَ، ففعلَ.

* * *

(١) سورة الحجرات ١٥ . (٢) سورة هود ٤٦ .
(٣) ر : «جدة له جاهلية». (٤) ر : «الدنيئة».

وكان عروة بن أُدَيَّة نَجَا من حرب النَّهْرَوان، فلم يَزَلْ باقيًا مدة من خلافة معاوية، ثم أتىَ به زيادٌ ومعه مولًى له، فسأله عن أبى بكرٍ وعمرَ، فقال خيرًا، ثم سأله فقال: ما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ بن عَفَّان وأبى تُرَاب علىٍّ بن أبى طالب؟ فَتولَّى عثمان ستَّ سنينَ من خلافته، ثم شَهِد عليه بالكفر! وفَصَل فى أمر علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاويةَ. فسبَّه سبًّا قبيحا! ثم سأله عن نفْسه؟ فقال: أوَّلُكَ لزنْيَة وآخرُكَ لدعْوَة. وأنت بعد عاصٍ لربك! ثم أمرَ به فضربَتْ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صِفْ لى أمورَه؟ فقال: أأطْنِبُ أم أختصرُ؟ فقال: بل اختَصَر، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فِراشًا بليل قطُّ.

[مناظرة على بن أبى طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحرُورِيةُ أن عليًّا رضوان الله عليه، لَمَّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما[1] قال لهم: ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لَمَّا رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتونى، ثم سألونى التحكيمَ، أفَعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك منِّى؟ قالوا: اللهمَّ نَعَمْ، قال: فهل علمتُم أنكم استكرهتُمونى على ذلك حتى أجَبتُكم إليه، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكما بحُكْم الله عزَّ وجلَّ. فمتى[2] خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرءاء، وأَنتُم[3] تَعلمون أنَّ حكم الله لا يعدونى؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكوَّاء، وهذا من قَبْل أن يَذبحوا عبدَ الله بن خَبَّاب؟ فإنما ذبَحوه بكَسْكَر فى الفرْقة الثالثة - فقالوا: حكَّمْتَ فى دين الله برأينا، ونحن مُقرُّون بأنَّا قد كفَرنا، ونحن تائبون! فَأقْرِرْ بمثل ما أقررنا وتبْ نَنْهَضْ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمرَ بالتحكيم فى شقاق بين رجلٍ وامرأته[4]. فقال تبارك وتعالى: ﴿**فابعثُوا حكمًا من أهْله وحكمًا من أهْلها**﴾[5]. وفى صيد أصيبَ فى الحرَم، كأرنب تساوى رُبْعَ درهم[6]، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يحكُمْ به ذَوا عدْلٍ منكُم**﴾[7]؟ فقالوا: إن عمرًا لَمَّا أبى عليكَ

---

(١) ر: «فكان مما».
(٢) ر: «فإن».
(٣) ر: «أو أنتم».
(٤) ر: «وامرأة».
(٥) سورة النساء ٣٥.
(٦) ر: «يساوى ربع دينار».
(٧) سورة المائدة ٩٥.

أن تقولَ في كتابك: «هذا ما كتبه عبدُ الله عليٌّ أميرُ المؤمنين» محوْتَ اسمكَ من الخلافة، وكتبتَ «علىّ بنُ أبى طالب». فقال لهم رضى الله عنه: لى برسول الله ﷺ أُسْوَةٌ، حيثُ أَبَى عليه سُهَيْلُ بن عمروٍ أن يكتبَ: «هذا كتابٌ كتبه محمدٌ رسول الله وسهيلُ بن عمرو» فقال: لو أقررتُ[1] بأنك رسول الله ما خالفْتُك[2]، ولكنى أُقدِّمك لفضْلك. ثم قال: اكْتُبْ: «محمدُ بن عبد الله»، فقال لى: «يا علىُّ، امْحُ رسَولَ الله»، فقلتُ: يارسول الله، لا تَسْخو نفسى بمَحْوِ اسمك من النبوَّة، فقال عليه السلام: «فقفنى[3] عليه» فمحاهُ بيده ﷺ، ثم قال: «اكتُبْ محمد بن عبد الله». ثم تَبسَّم إلىَّ فقال: «يا علىُّ، أمَا إنكَ ستَسامُ مثْلها فتُعْطِى». فَرَجَعَ معه منهم ألفان من حَرُوراءَ[4]. وقد كانوا تجَمَّعوا بها، فقال لهم علىٌّ صلواتُ الله عليه: مَا نسَمِّيكُم؟ ثم قال: أنتم الحروريةُ، لاجتماعكم بحَرُوراءَ.

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ «حَرُوراءَ» «حَرَوْرَاوِىٌّ»، فاعْلَم، وكذلك كلُّ ما كان فى آخره ألفُ التأنيث المَمْدُودَة لكنَّهُ نسبَ إلى البلد بحذف الزوائد، فقيل: الحرورِىٌّ.

[للصلتان العبدى]

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ فى كلمة له :

أرَى أمَّةً شَهَرَتْ سيفَهَا	وقد زِيدَ فى سَوْطها الأصْبَحى
بنَجْدِيَةٍ وحَرُورِيَّة	وأَزْرَقَ يَدْعُو إلى أَزرَقى
فَمِلَّتُناَ أَنَّنَا المسلمون	على دين صِدِّيقنَا والنَّبِى

وفى هذا الشعرِ مما يُسْتَحْسَنُ قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفْنى الكبيرَ	مرّ الغداة وكَرُّ العَشى[5]
إذا ليلَةٌ هَرَّمَتَ يومَهَا	أتى بعدَ ذلك يومٌ فَتِى
نَروحُ ونَغْدُو لحاجَاتنا	وحاجةَ من عاشَ لا تَنْقَضِى
تموتُ مع المرءِ حاجَاتُه	وتبقى له حاجةٌ مَا بقى

---

(١) ر : «أقررنا».
(٢) ر : «ما خلفناك».
(٣) ر : «قفنى».
(٤) حروراء : قرية من الكوفة.
(٥) ر :

* مُرُورُ الليالى وَكَرُّ الْعَشى *

قوله :

* وقد زيد في سوطها الأصْبَحي *

فإنه تُسمّى هذه السياط التي يُعَاقِبُ بها السلطانُ الأصْبَحِيَّةَ، وتُنْسَبُ إلى ذي أصبَح الْحِميَرى، وكان ملكا من ملوك حِمْيَر، وهو أوَّلُ من اتخذها، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه.

والنَّجْدِيةُ تُنسَبُ إلى نَجْدة بن عُوَيمِر، وهو عامرٌ الحنفيّ، وكان رأسًا ذا مَقالة مفردة[1] من مَقالات الخوارج، وقد بَقِيَ من أهلها قومٌ كثيرٌ. وكان نَجْدةُ يصلى بمكةَ بحذاءِ عبد الله بن الزُّبَيْر في جمْعِه في كل جمْعَةٍ، وعبد الله يَطْلُبُ الخلافة، فيُمسِكانِ عَن القتالِ من أَجْلِ الحرم.

[للراعي في عبد الملك بن مروان]

قال الراعي يخاطب عبدَ الملكِ :

إنى حَلفْتُ على يمين بَرَّة	لا أكذبُ اليومَ الخليفةَ قيلا
ما إنْ أتيتُ أبا خُبَيْب وافداً	يومًا أريد بَبيعتى تبديلا
ولا أَتَيْت نجَيْدةَ بن عُوَيَمِر	أَبْغِى الهُدى فيزيدنى تَضْليلا
من نِعْمة الرحمن لا من حيلتى	إنى أعُدُّ له علىَّ فُضولا

وفي هذه القصيدة :

أَخَذوا العريف فقطعُوا حَيْزُومَهُ	بالأصبَحِيَّة قائمًا مَغْلُولا[2]

قوله :

* وأَزْرَق يدعُو إلى أزْرَقىّ *

يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفىّ، وكان نافعٌ شجاعًا مُقدمًا فى فقْه الخوارج، وله ولعبد الله بن عباس مسائلُ كثيرة، وسنذكر جملةً منها في هذا الكتاب، إن شاء الله .

* * *

(١) ر : «منفردة».
(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

وقوله :

* على دين صِدِّيقنا والنبىِّ *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تَبْدأ بالشىء والمقدَّمُ غيره[1]، قال الله عزَّ اسمُه: ﴿هو الَّذى خَلَقَكم فمنكم كافرٌ ومَنكم مُؤمنٌ﴾[2]، وقال: ﴿يامَعْشَرَ الجنِّ والإنس﴾[3]، وقال: ﴿واسْجُدى وارْكَعى مَعَ الرَّاكعين﴾[4]. وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّهِ ... علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى بنى هاشم .

* * *

ومن كلام العرب : رَبيعةُ ومُضَرُ وقَيْسٌ وخنْدف وسُلَيْمٌ وعامر، وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[5]. وهم الذين أَحاطوا بالبصرةَ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة[6]، فَقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم، فهزَمهم إلى الفرات، ثم هزمهم إلى الأهْواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ، ثم أخرجهم إلى كَرْمَان، وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحرب التى صاحبُها الزَّنج[7] بالبَصرَة، يَرثى البلد، ويذكر المنقبة التى كانتْ لهم :

[قال الأخفشُ : أنشدَنيه يَزيدُ المَهَلَّبىُّ لنفسه].

سَقَى الله مصْراً خفَّ أهلوهُ من مصْر ... وماذا الذى يَبْقَى على عُقَب الدَّهْر![8]

ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَريمهُ ... لَمُتُّ كَريمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ

أنيح فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةَ ... تُهيبُ بها أَنْ حارِدَتَ لوعةُ الصَّدْرِ[9]

---

(١) ر : «وغيره المقدم».
(٢) سورة التغابن ٢ .
(٣) سورة الرحمن ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران ٤٣ .
(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاذ فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المرصفى.
(٦) ر : «الترحل».
(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .
(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .
(٩) العبرة : الدمعة .

ونحـن رَدَدْنا أَهلَـهـــا إذْ تَرحَّـلُوا • وقـد نظمَتُ خَـيْلُ الأزَارِقِ بالجَسْـرِ
ومن يَـخْشَ أَطْرَافَ المَنـابا فــإنَّـنَا لَبِـسْنَا لهنَّ الســابغَـات من الصَّـبْـرِ
فـإنَّ كَــرِيه المَوْت عَـذْبٌ مَــذَاقُـهُ إذا مـا مَـــزجْناهُ بطيبَ مـن الذِّكْـرِ
ومـــا رزق الإنسَـــانُ مـــثل مَنِيَّـــةٍ أَراحتْ من الدنيا ولم تُخْـزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بنـو العباس نُعْـمَى تَجدَّدَتَ فـقـد وَعَـدَ اللهُ المَزِيدَ عـلى الشُّكر
لَقـد جَنَّبَـتْكُمْ أُسْـرُ إذ حَـسَـدَتْكُمُ فسلّتْ على الإسلام سَـيْفًا من الكُفْر
وقـد نغَّصَـتْـهُمْ جَوْلَـةٌ بَعْدَ جَـوْلَةٍ يُبـيتـون فـيهـا المسلمينَ على ذُعـر

* * *

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات :

ألا طَرَقتْ مِنْ أهلِ بـثنة طارقـهْ[1] على أنَّهـا معْـشـوقةُ الدَّلِّ عــاشقَـهْ
تبـيتُ وأرض السُّـوس بَيْنَى وبَينها وسُولافُ رُسْـتاقٌ حَمَتْـهُ الأزَارِقَهْ[2]
إذا نحنُ شِـئنا صـــادَفَـتْنَا عـصـابةٌ حَـرُوريَّةٌ أَضْحَتْ مِـن الدِّين مارِقَـهْ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ علىٌّ صـلواتُ الله عليه منهم بالنَّهْرَوان ألفين وثمانىَ مائة، فى أصحِّ الأقاويلِ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممَا يُسِرُّ أمْـرَهُ ولم يَشْهَد الحربَ، فـخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قـال علىٌّ رضوان الله عليه: ارْجعُوا وادْفَـعُوا إلينا قاتلَ عبدالله بن خَبَّاب، فـقالوا: كُلُّنا قَتَلَهُ وشَرِك فى دَمه! ثم حَـمَلَ منهم رجلٌ على صَفّ علىٍّ، وقد قَـال علىٌّ: لا تَبْدَءوهم بقـتالٍ، فَقَتَلَ من أصحاب علىٍّ ثلاثةٌ وهو يقولُ:

أقْـــتُلُهُـمْ ولا أرَى عَلِـيّـــا ولو بَـدَا أَوْجَـــرْتُهُ الخَـطيّـــا

فخرج إليه علىٌّ صـلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السيـف، قال: حَبَّذا الرَّوْحَةُ إلى الجنةِ! فقال عبـد الله بنُ وهْبٍ: ما أَدْرِى أَإلى الجنةِ أم إلى النار! فقال

(١) ر : «بيبة».

(٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان. والرستاق اسم للسواد والقرى.

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغترارًا بهذا، وأراه قد شَكَّ! فانخزَل بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبى أيوب الأنصارىِّ، وكان رحمه الله على ميمنة علىٍّ، وجعلَ الناسُ يتسلَّلُونَ، وقد قال علىٌّ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسْرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُّطْفَة، وجَعَلَ الناسُ يقولون له فى ذلك، حى كادوا يَشكُّونَ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم فى أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فَقُتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلَت منهم ثمانيةٌ.

* * *

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حكَّمَ ولَفَظ بالحكومة ولم يُشدْ بها رجل من بنى سَعْدِ بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرّ، ثم[1] من بنى صَرِيم، يقال له الحجَّاجُ ابن عبد الله، ويُعْرَفُ بالبُرَكِ، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيَتِه، فإنه لَمَّا سَمِعَ بذكر الحكمَيْنِ قال: أَيُحكَّم فى دِينِ الله! لا حُكمَ إلا لله! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فأنْفَذ.

وأوَّلُ مَنْ حكَّمَ بين الصَّفَّين رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكر بن وائلٍ، فإنه كان فى أصحاب علىّ، فَحَمَلَ على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فَحكَّمَ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية، فكَثَروهُ، فرجَع إلى ناحية علىّ صلوات الله عليه، فحَملَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرُ هَمْدانَ:

ما كا أغْنَى اليَشْكُرِىَّ عن التى	تَصَلَّى بها جَمْرًا من النار حاميا
غَداةَ يُنَادِى والرماحُ تَنوشُهُ	خَلَعْتُ عَلِيًّا باديًا ومُعَاوِيَا[2]

وجاء فى الحديث، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِىَ بحضرته: **﴿قُلْ هل نُنبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم فى الحياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[3]، فقال علىٌّ: أهلُ حَرُوراءَ منهم.

* * *

---

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر.

(٢) تنوشه: تناله.

(٣) سورة الكهف ١٠٣، ١٠٤.

ورُوى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خرَج فى غَدَاة يُوقظُ الناسَ للصلاة فى المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدثُ ، فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وقَبَضَ على لحيته: ظننتُ أنَّ فيكم أشقَاهَا، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه. وأَوْمَأَ بيَدِه إلى هامَتِه ولحيتِه.

[من شعر عليّ بن أبي طالب]

ومن شعر عليٍّ بن أبى طالب رحمه الله الذى لا اختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُهُ؛ أنَّهُمْ لَمَّا سَامُوهُ أن يُقرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشامِ، فقال: أَبَعْد صُحبة رسول الله ﷺ والرِّفقة فى الدِّين أَرْجعُ كافرًا!

يا شاهِدَ اللهِ علىَّ فاشْهَدِ ... أنى على دِينِ النبىِّ أحْمَدِ

* مَنْ شَكَّ فى الله فإنى مُهْتَدِى *

ويُروَى : * أنى تولَّيْتُ ولىَّ أحمدِ *

[فى تقسيم غنائم خيبر]

ويُروى أن رجلا أسودَ شديدَ بياض الثياب وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يَقسمُ غَنائم خَيْبَر ـ ولم تكُن إلا لمَنْ شهد الحُدَيبيةَ ـ فأقبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ ، فقال: ما عَدَلْتَ مُنْذ اليوم! فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئىَ الغضبُ فى وجهه . فقال عمرُ بن الخطاب : ألا أقتلُه يا رسولَ الله ؟ فقال رسول الله: إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأ .

وفى حديث آخرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَيْحَكَ! فمنْ يَعْدلُ إذا لم أَعدلْ؟» ثم قال لأبى بكرٍ: «اقْتُلْه»، فمضَى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله رأيتُهُ ساجدًا، ثم قال لعلىٍّ: «اقْتُلْه»، فمضى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله لم أرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنان فى دِينِ الله».

قال أبو العباس: وحدثنى إبراهيمُ بن محمد التَّيْمىُّ قاضى البَصْرَة فى إسْنَاد ذكره، أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّه إلى رسول الله ﷺ بذهَبة من اليمن، فَقَسَّمها أربَاعًا فأعْطَى رُبعًا للأقْرَع بن حَابسٍ المجاشعىِّ، ورُبْعًا لزيْد الخيلِ الطائىِّ، ورُبعًا لعُيَيْنَة بن حِصْنٍ الفَزارىِّ، ورُبُعًا لعَلْقَمةَ بن عُلاثَة الكلابى. فقام إليه رجلٌ

مُضْطَرِبُ الخلقِ غائرُ العينين، ناتئُ الجبهة، فقال: رأيتُ قسمةً ما أريدَ بها وَجْهُ الله! ، فَغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّدَ خَدَّاهُ، ثم قال: «أيأمَنُنى الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرض ولا تأمَنُونى»! فقام إليه عمرُ فقال: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنه سيكونُ من ضِئْضِئ هذا قومٌ يَمْرُقُون من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ[1] فلا تَرَى شيئًا، وتنظرُ فى الرصاف[2] فلا تَرَى شيئًا، وتَتَمارَى فى الفُوق[3]» .

قوله ﷺ : «منْ ضِئْضِئ هذا» أى من جنْس هذا. يقال: فلانٌ من ضِئْضِئ صدْق. فى مَحْتِد صدْق[4]. وفى مُرَكَّبِ صدْق. وقال جَرير للحكَمِ بن أيُّوبَ بن الحَكَمِ بْن أبى عقيلٍ، وهو ابنُ عم الحجاج، وكان عامِلُه على البصرة:

أَقْبَلْنَ منْ ثَهْلان أو وَادى خِيَمْ ... على قِلاص مثل خيطَانِ السَّلَمْ[5]
إذا قطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حتى أنَخناها إلى باب الحكمْ
خَليفة الحجَّاجِ غيرِ المتَّهَمْ ... فى ضِئْضِئ المجد وبُحبُوحِ الكرَمْ

ويقال: مَرَقَ السهمُ من الرميَّة، إذا نفذَ منها، وأكثر ما يكونُ ذلك ألا يعْلَقَ به من دَمِها شىء، وأقطعُ ما يكون السيفُ إذا سَبَقَ الدَّمَ، قال امرؤ القيس بن عابسِ الكنْدى:

وقد أخْتَلِسُ الضَّرْبَـ ... ـةَ لا يَدْمَى لها نصلى

فأمَّا ما وضعه الأصمعىُّ فى كتاب « الاختيار ». فعلى غلط وُضِعَ.

[من أخبار واصل بن عطاء]

وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعْرَ لإسحاق بن سُوَيْد الفقيه، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرفُ المقالات التى يميلُ إليها أهلُ الأهْواء، أنشدَ الأصمعىُّ :

---

(١) النصل: حديدة السهم والسيف .
(٢) الرصاف : عصب يشد على سنخ النصل .
(٣) الفوق: مشق رأس السهم .
(٤) ر : «ومن مجتد».
(٥) الخيطان : جمع خوط؛ وهى الأغصان.

برئت من الخوارجِ لستُ منهم | منَ الغَزّال منهم وابن بَاب
ومنْ قومٍ إذا ذكروا عَليّا | يَرُدُّون السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنّى أُحبُّ بكلّ قلبى | وأعْلمُ أنّ ذاك من الصّوابِ
رسولَ الله والصديقَ حُبًّا | به أرجُو غدًا حُسْنَ الثّوابِ

فإنَّ قوله: « منَ الغَزّال منهم » يعنى واصَل بن عطاء، وكان يُكْنى أبا حُذيْفَة، وكان معتزليًّا، ولم يكن غزّالا، ولكنه كان يُلقَّب بذلك، لأنه كان يَلْزَمُ الغزّالِين، ليعْرفَ المُتعفِّفات من النساء، فيجعل صَدَقَتَه لهن، وكان طويلَ العُنُق. ويُرَوى عن عمرو بن عُبَيْد، أنه نظرَ إليه من قَبْلِ أن يُكَلمَه، فقال: لا يُفْلحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُق!

* * *

وقال بَشارُ بن بُرْدٍ يهجُو وَاصلَ بن عَطاء :

ماذا مُنيتُ بغَزّال له عنُقٌ | كَنِقْنق الدَّوِّ إنْ وَلّى وَإنْ مَثلا[1]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بَالى وبالُكُمُ | تُكَفّرُون رجالا أكفروا رَجُلا!

ويُرْوَى : لا بَلْ[2]. كأنه لا يَشُكُّ فيه أنَّ بشَّارًا كان يَتَعَصَّبُ للنَّار على الأرضِ. و يصَوِّبُ رَأىَ إبليسَ - لعنه الله - فى امتناعِه من السجودِ لآدمَ عليه السلام. ويُرْوَى له :

الأرض مظلمة والنارُ مُشْرقةٌ | والنارُ مَعْبودة مُذْ كانتِ النَّارُ

فهذا ما يَرْويه المتكلمون.

* * *

وقَتلُه المَهْدىُّ على الإلحاد. وقد رَوَى قومٌ أنَّ كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شىءٌ مما كان يرْمَى به وأُصيبَ له كتاب فيه: إنِّى أردتُ هِجاء آل سُلَيْمان بن علىٍّ،

---

(١) النقنق : الظليم . والدو : الفلاة الواسعة . ومثل : أى أيام .
(٢) قال المرصفى : هذه عبارة سخيفة ، يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبه الكفر إلى أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله بفضل النار وبصوب رأى إبليس. وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة .

فذكرت قرابتَهم من رسول الله ﷺ فأَمْسكْتُ عنهم[1]. [إلا أنِّى قلْت :

دينارُ آل سُلَيْمان وَدرْهَمُهمْ ... كَبَابلِّيينِ حُفَّا بالعَفاريت

لاَ يُرْجيانِ ولا يُرْجَى نوالهُما ... كما سَمِعْتَ بِهارُوت ومَارورت][2]

وحدثنى المازنىُّ قال: قال رجلٌ لبَشَّار: أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبَاينُ لديانَتكَ! ـ يَذْهَبُ به[3] إلى أنه ثَنَوِىّ ـ قال: فقال بَشَّارٌ: ليسوا يَدْرُونَ أنَّ هذا[4] لَحم يَدْفع عنِّى شَر هذه الظُّلْمة.

* * *

وكان واصلُ بنُ عطاء أحدَ الأعاجيب، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قَبيحَ اللثْغة فى الراء. فكان يُخلِّصُ كلامَه من الراء. ولا يُفْطَنُ بذلك[5] لاقتدارِه وسهولةِ ألفاظه، ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة. يمدحُه بإطالته الخُطبِ واجتنابه الراء، على كثرة ترددُّها فى الكلام. حتى كأنها ليسْت فيه :

عَلِيمٌ بإبدالِ الُحروفِ وقامِع ... لكل خَطيب يَغْلبُ الحقَّ باطِلُهْ

* * *

وقال آخر :

ويَجْعَلُ البرَّ قَمحًا فى تَصَرُّفه ... وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشَّعَرِ

ولم يطقْ «مطَرا» والقولُ يُعْجِلُهُ ... فعاذَ بالغَيْث إشْفاقًا من المَطَرِ

ومما حكى[6] عنه قولُه: وذَكَرَ بَشَّارًا : أَما لهذا الأعمى المُكْتَنى بأبى معاذ مَن يقْتُلُه! أَمَا والله لولا أنَّ الغيلة خَلُقٌ من أَخلاق الغالية لَبَعْثُت إليه من يَبْعَجَ بطنَه على مضْجَعِه، ثم لا يكونُ إلا سدُوسيًّا أو عُقَيْليًّا.

فقال : «هذا الأعمى» ولم يقل بَشَّارًا، ولا ابن بُرْد، ولا الضَّرير. وقال: «من أخلاق الغالية» ولم يقل المغيريَّة ولا المنصوريَّة. وقال: «لبعثت إليه». ولم

---

(1) د : «منهم» .
(2) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(3) كلمة «به» ساقطة من ر .
(4) كلمة «هذا» ساقطة من ر .
(5) ر : «بذاك».
(6) ر : «يحكى».

يقل: لأرسلتُ إليه. وقال: «على مَضْجَعه». ولم يقل: على فِراشه، ولا مرْقَده. وقال: «يَبْعَجُ». ولم يقل: يَبْقرُ. وذكَر «بنى عـقيل». لأنَّ بشارا كَانَ يَتوَالَى إليهم وذكر «بنى سَدُوسٍ». لأنه كان نازلا فيهم.

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ.

* * *

قال: ولمَّا سقطت ثَنايا عبد المَلِك [(1)]بن مروان فى الطَّسْتِ[(1)] قال: واللهِ لولا الخُطْبة والنساءُ ما حَفَلْتُ بها.

* * *

قال: وخطب الجُمَحِيُّ، وكان مَنْزوعَ إحدى الثَّنِيَّتَيْن، وكان يَصفرُ إذا تكلّم، وأجاد[(2)] الخُطْبَة، وكانت لنكاحٍ، فـردَّ عليه زيدُ بن علىٍّ بن الحسين كلامًـا جيِّدا. إلا أنه فَضَلَهُ بتمكين[(3)] الحروف وحُسْن مَخارج الكلام.

فقال عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك:

صَحَّتْ مَـخارجُهـا وتَمَّ حُروفُـها ... فـلهُ بـذاكَ مَـزِيَّةٌ لا تُـنْكَـرُ

المزية: الفضيلة.

وأمَّا قوله: «ابـن باب» فهو[(4)] عمرو بن عُـبَيْد بن بَابٍ، وهو[(5)] مَوْلَى بنى العدويَّة، من بنى مـالك بن حَنْظَلَة، فهذان مُعْـتَزليَّان وليسـا من الخوارجِ، ولكن قَصَـدَ إسحاق بن سُـوَيدٍ إلى أهل البِدَع والأهْواءِ ألا تَراه ذَكَـر الرافضـةَ معهـما، فقال:

ومِنْ قَـومٍ إذا ذَكَـرُوا علِـيًّـا ... أشـارُوا بالسَّلام على السَّحـاب

ويُرْوى: * يردُّونَ السَّلام على السَّحابِ *

[مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه]

ثم نرجِعُ إلى ذكر الخوارجِ.

(1-1) ساقط من ر.
(2) ر: «فأجاد».
(3) ر: «يتمكن».
(4) ر: «فإنه».
(5) ر: «وكان».

قال أبو العباس: فلما قتلَ عليٌّ بن أبى طالب أهل النَّهْرَوَان، وكان بالكوفة زُهاءُ ألفين من الخوارجِ؛ ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ، وقَومٌ ممن اسْتأْمَنَ إلى أبى أيوبَ الأنصارىِّ، فتجمعوا وأمّروا عليهم رجلا من طَيِّئٍ. فَوَجه إليهم علىٌّ رجلا، وهم بالنُّخَيْلَة. فدعاهم ورفَقَ بهم. فأَبَوْا. فعَاوَدَهم فأَبَوْا. فَقَتَلُوا جميعًا، فخدجت طائفةٌ منهم نحْوَ مكة. ووجّه[1] معاويةُ مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم. فَنَاوَشَهُ هؤلاء الخوارجُ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجّه بُسْرَ بن أرْطاةَ، أحدَ بنى عامر بن لؤَىّ، فتوافقُوا وتَراضَوْا بعدَ الحرب بأن يصلّىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَة؛ لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ. فلمَّا انقضى نَظَرَت الخَوارجُ فى أمرها، فقالوا: إن عليًا ومعاويةَ قد أفسدَا أمرَ هذه الأمة، فلو قتلناهما لعادَ الأمرُ إلى حَقِّه! وقال رجلٌ من أَشْجَعَ: والله ما عَمرٌو دونهما، وإنه لأصْلُ هذا الفساد. فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَم: أنا أَقتلُ عليًّا. فقالوا: وكيفَ لكَ به؟ قال: أغْتالُهُ. فقال الحجَّاجُ بنُ عبدالله الصريمىُّ - وهو البُرَك: وأنا أقتلُ معاويةَ، وقال زاذوَيْه مولَى بنى العنبر بن عَمرِو بن تميمٍ: وأنا أقتلُ عمرًا. فأَجْمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم فى ليلة واحدةٍ. فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ من شهر رمضانَ، فخرج كلٌّ واحدٍ منهم إلى ناحية، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفة. فأخْفى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقال لها قطام بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبَاب، وكانتْ تَرَى رأْيَ الخوارج - والأحاديثُ تختلفُ وإنما يُؤْثَرُ صحيحُها - ويُرْوَى فى بعضِ الحديث[2] أنها قالتْ: لا أقْتَنعُ منكَ إلا بصَدَاق أُسَمِّيه لَكَ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ. وعبدٌ وأَمَةٌ، وأن تقْتُلَ عليًّا. فقال لها: لَكَ ما سألت، وكيف[3] لى به؟ قالت: تَرُومُ ذلك غيلَةً، فإنْ سَلِمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَرٍّ، وأقمتَ مع أهلكَ، وإنْ أُصبتَ خرجت[4] إلى الجنةِ ونعيمٍ لا يزول، فأنْعَمَ لها[5]، وفى ذلك يقول[6]:

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَينةٌ ... وَضربُ علىٍّ بالحُسام المُصَمِّم[7]

---

(١) ر: «فوجه». (٢) ر: «الأحاديث».
(٣) ر: «فكيف». (٤) ر: «سرت».
(٥) أى قال لها نعم.
(٦) قال المرصفى: بل قائله ابن أبى مياس المرادى.
(٧) قبله:

وَلَمْ أَرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحةٍ ... كمهر قطَامٍ من فَصِيحٍ وَأَعْجَم

فلا مَــهْرَ أغْلَى من عــلى وإن غَلا ... ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَـتْك ابْنِ مُلجَم

وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معــاوية يزيدُ بن مُلْجَمٍ، والقاصدَ إلى عمرو آخرُ من بَنى مُلْجَمٍ، وأنَّ أباهم نهاهم، فلمَّا عصوهُ قــال: استعَدواُّ للموت، وأنَّ أمَّهُمْ حضَّتْهُمْ على ذلك. والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّة.

فــأقَامَ ابنُ مُلجم، فـيــقالُ: إنَّ امــرأتَه قَطامِ لامَـتْهُ، وقــالت: ألا تمضى لما قَصَدْتَ له[1]! لَشَدَّ ما أحْـبَبْتَ أهلكَ! قال: إنِّى قــد وَعَدْتُ صاحبَىَّ وقتًــا بعينه ـ وكان هناك رجلٌ من أَشْجعَ، يقال له شَبيبٌ ، فَواطأَهُ عبدُ الرَّحمن.

* * *

ويُرْوَى أنَّ الأشْعَثَ نظَر إلى عبد الرحمن متقلدًا سيفًا فى بنى كِنْدَةَ، فقال: يا عبَد الرَّحمن، أرنى سيفك، فأراهُ إياه[2]، فَرَأَى سيفًا حديدًا، فقال: ما تقَلُّدُكَ هـذا[3] السيـفَ وليـس بأوَانِ حَـرْبٍ! فقال: إنى أردتُ أن أنحرَ به جَـزُورَ القَرْيَةِ! فَرَكبَ الأشْعَثُ بغلتَــه، وأتى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرهُ، وقــال له: قد عرفتَ بَسَالَة ابن مُلجمٍ وَفَتْكه، فقال علىٌّ : ما قَتلنى بَعْدُ.

ويُرْوَى أن عليًّــا رضوان الله عليــه كان يخطبُ مَــرَّةً وَيُذَكِّرُ أصْحــابَهُ، وابن مُلجم تلْقَــاء المنْبَر، فَــسُمع وهو يقــولُ: والله لأريحنَّهُمْ منكَ! فلمَّا انصــرفَ علىٌّ صلوات الله عليــه إلى بيته أُتىَ بــه مُلَبَّبًا، فــأشْرَفَ عليــهم ، فقــال: ما تريدونَ؟ فخبَّروهُ بما سمعوا، فقال: ما قتلنى بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عنه.

ويُرْوَى أن عليًّا كان يَتَــمَثَّل إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْـدى كرب فى قيْس بن مكْشُوحٍ المُرادِيِّ ـ والمكشوحُ هُبَيْرَةُ، وإنما سُمِّى بذلك لأنه ضُرِب على كَشْحِه:

أُريدُ حِــبَــاءه ويُــريدُ قَــتْــلى ... عَــذِيرَكَ مِنْ خَلِـيلكَ من مُــرَادِ

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر .

(٣) كلمة « هذا» ساقطة من ر .

فَيَنْتَفِى من ذلك، حتى أكثرَ عليه، فقال له المَرادىُّ: إنْ قضىَ شَىْءٌ كانَ، فقيل لعلىٍّ: كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يُريدُ بك، أفَلَا تقتلُه؟ فقال: كيف أقْتلُ قاتِلِى.

فلمَّا كان ليلَة إحدَى وعشرين من شهر رمضانَ، خَرَجَ ابنُ مُلْجَم وشبيبٌ الأشْجَعِىُّ، فاعْتَوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه علىٌّ رضى الله عنه، وكان(1) علىٌّ يَخْرُجُ(1) مُغَلِّسًا، ويوقظ الناسَ للصلاة، فخرج كما كان يفعلُ، فضربه شَبيبٌ فأخطأه، وأصابَ سيفُهُ الباب، وضربه ابنُ مُلْجَمٍ على صَلْعَته، فقال علىٌّ: فُزتُ وَرَبِّ الكَعبة! شأنكُمْ بالرَّجُلِ. عن بعض مَن كان فى المسجد(2) من الأنصار قال: سمعت كلمة علىّ، ورأيتُ بريقَ السيف، فأمَّا ابن مُلجمٍ فحمل على الناسِ بسيفه فأفرَجُوا له، وتلقَّاهُ المغيرةُ بن نوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة، فرَمَى بها عليه، واحتَمَله فضرب به الأرضَ، وكان المغيرة أَيِّدًا، فقعَدَ على صَدره، وأمَّا شبيبٌ فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ، وصَرَعَهُ وقعد على صدره. وكَثر الناسُ، فجعلوا يصيحون: عليكم صاحبَ السيف، فخاف الحَضْرَمى أن يُكِبُّوا عليه ولا يَسمعوا عُذْرَهُ فَرَمى بالسيف، وانْسَلَّ شبيبٌ بين الناس فدخَل(3) بابن مُلْجَمٍ(3).

على علىٍّ رضوان الله عليه، فأُومرَ فيه، فاختلفَ الناسُ فى جوابه، فقال علىٌّ: إن أَعش فالأمْرُ لى(4)، وإن أُصَب فَالأمرُ لكم، فإن آثرْتمْ أن تقْتَصُّوا فضَرْبَة بضربة، وأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقْوَى. وقال قومٌ: بل قال: وإن(5) أصَبْ فاقتلوه فى مقْتَله(5).

فأقام علىٌّ يومين، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ من الدار، فقال له مَنْ حَضَرَه: أىْ عَدوَّ الله! إنه لا بأس على أمير المؤمنين، فقال: أعَلى مَنْ تبكى أمُّ كلثوم(6)؟ أعَلَىَّ؟ أمَا والله لقد اشتريتُ سيفى بألف درهم، ومازلْتُ أعْرضُهُ، فما يَعيبُه أحدٌ إلا أصلَحْتُ ذلك العيب، ولقد سقيته(7) السُّمَّ حتى لفظَهُ، ولقد ضربتهُ ضَرْبَةً لو قُسمتْ على مَنْ بالمشرق لأتَتْ عليهم.

ومات علىٌّ صَلَواُت الله ورضوانُه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث(8) فدعا عبد الرحمن بالحسن(8) رضى الله عنه. فقال: إنَّ لك عندى سِرًّا. فقال الحسنُ

(1-1) ساقط من ر.

(2) ر: «بالمسجد».

(3-3) ساقط من ر.

(4) ر: «إلى».

(5-5) «وإن أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله».

(6) هى أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، زوج عمر بن الخطاب.

(7) ر: «أسقيته».

(8-8) ر: «فدعا به الحسن».

رضـوان الله عليـه: أتَدْرون مـا يريدُ؟ يريدُ أن يَقْـرُبَ من وجـهى فـيَـعَضّ أُذُنى فيقطَعَها، فقال: أمَا والله لو أمْكَنَنى منها لاقـتلعتُها من أصلها! فقال الحسنُ: كلا والله، لأضربَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيك إلى النـار. فقال: لو علمتُ أن هذا فى يدك[1] ما اتخذتُ إلَهًا غيرك، فقال عبدُ الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسى منه. فاختلفوا فى قـتله، فقال قومٌ: أحْمَى له ميلَيْن وكَحَلَهُ بهمـا. فجعل يقول: إنك يابنَ أخى لتكْحَلُ عمكَ بمُلْمولَيْن[2] مَضَّاضَيْن[3]، وقال قـومٌ: بل قَطَعَ يديه ورجليه، وقال قومٌ: بل قطع رجليـه، وهو فى ذلك يَذْكر الله عزَّ وجلَّ. ثم عَمَدَ إلى لسانه فشَقَّ ذلك عليه. فـقيل له: لم تَجْزَع من قطع يديك ورجليك ونَرَاك قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك! فـقال: نعم أحببتُ أن لا يزالَ فـمى بذكر الله رَطبًا، ثم قتَله.

* * *

ويُرْوَى أنَّ عليًّـا رضى الله عنه أُتِى بابن مُلْجَمٍ وقيل له: إنَّـا قد سمـعنا من هذا كلامًا ولا[4] نأمنُ قـتله لك؟ فقال: مـا أصنع به؟ ثم قال عـلىٌّ رضوان الله عليه:

اشْـدُدْ حَـيَـازِيمَكَ للمـوتِ ... فـإنَّ الموتَ لاقِـيـكَا[5]

ولا تجـزع مـن المـوتِ ... إذا حَـلَّ بـوادِيـكَـا

والشعرُ إنما يَصحُّ بأن تحذف «اشْدُدْ» فتقولَ:

حَـيـازيمَك للمـوتِ ... فـإن الموت لاقِـيـكَا

ولكنَّ الفـصحـاءَ من العرب يزيدون مـا عليـه المعنى. ولا يَعْتَـدُّونَ به فى الوزنِ. ويحذفون من الـوزن، علْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يُريدونه، فـهو إذا قال: «حيازيمك للموتِ»، فقد أضمر «اشددْ» ، فأظهرَه، ولم يَعْتَدَّ به.

قال: وحدثنى أبو عثمان المازِنىُّ قال: فصحاءُ العرب يُنشِدون كثيرًا:

---

(١) ر : «فى يديك».

(٢) الملمول: الحبل يكتحل به.

(٣) أى جارين.

(٤) ر : «فلا».

(٥) الحيزوم : ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: اشدد حيازيمك، أى وطن نفسك على الأمر.

لسَعْـــدُ بنُ الضِّبَـــابِ إذا غَـدَا   أحَبُّ إلينا منِك َفـافرَس حَـمِرْ[1]

وإنما الشِّعْر :

* لَعَمْرى لَسَعْد بنُ الضِّبَاب إذا غَدَا *

* * *

وأما الحجَّاج بن عبد الله الصُّرَيْمى ـ وهو البُرَكُ ـ فإنه ضَرَبَ معاوية مُصَلِّيًا، فأصاب مَأكَمته[2]، وكان معاويةُ عظيمَ الأوْراك، فـقطع منه عرْقًا يقالُ له[3] عِرْقُ النِّكاح، فلم يُولَدْ لمعـاويةَ بعد ذلك ولد. فلماَ أخـذ قال: الأمَانُ والبشَـارةُ، قَتلَ عليٌّ فى هذه الصَّبِيحـة، فاستُونىَ به حتى جاء الخَبـرُ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله، فأقام بالبصرة، ثم بلـغ[4] زيادًا أنـه قـد وُلِـد له، فقال: أيُـولَـد له وأميرُ المؤمنـين لا يُولد له! فقتله. هذا أحدُ الخبرين.

ويُرْوَى أن معـاويةَ قطع يديه ورجليه، وأمَـرَ باتِّخاذ المقـصورة، فـقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك: ما تأويلُ المقصورة؟ فقال: يخافون أن يَبْهَظهُم[5] الناسُ.

وأمَّا زَاذَوَيه، فإنه أرْصَد لعَمْرو، واشـتكى عَمرٌو بطنه، فلم يخرج للصلاة. فخرج[6] خارِجةُ[7]، وهو رجلٌ من بنى سَهْم بن عَمْـرو بن هُصَيْص، رَهْط عَمرو ابن العاص، فـضربه زَاذَوَيْه فـقتله، فلمـا دُخِلَ به على عَمـرٍو فرآهم يخـاطبونه بالإمْرَة قال: أوَ مَا قـتَلْتُ عَمْرًا! قيل: لا، إنما قتلتَ خارجةَ، فـقال: أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة[8].

[لأبى زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب]

وقال أبو زَبَيْدٍ الطائىُّ يَرْثى علىَّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه :

إن الكرامَ عَلَى مـا كـان من خُلُقٍ   رَهْطُ امْـرِئ خارَهُ للدِّين مُـخْتَـارُ

صَبٌّ بصِيـرٌ بأضْغَـان الرجالِ ولمْ   يُعْـدَلْ بَخَـبْـرِ رسولِ الله أخْـبـارُ

---

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .

(٢) المأكمة: واحدة المأكمتين، وهمااللحمتان اللتان على رءوس الوركين.

(٣) كلمة «له» ساقطة من ر .   (٤) ر : «فبلغ».

(٥) يبهظهم : يغلبهم.   (٦) ر : «دخرج».

(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة .   (٨) ر : «والله أراد».

وَقَطْرَة قطَرَتْ إذْ حَانَ مَوْعِدهَا — وكل شيءٍ له وقتٌ ومِقْدارُ
حتى تَنَصَّلَها في مسجد طُهُر — على إمامٍ هُدًى إنْ معْشَر جاروا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جنَّات أبو حَسَنٍ — وأوجَبتْ بعده للقاتِل النارُ

قوله: «خارَهُ» يعني[1]: اختاره، وهو «فعَلهُ» و «اختاره» «افتعَلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقتَدرَ عليه.

وقوله: «بَصيرٌ بأضْغَان الرِّجال»، فهي أسرارُها ومُخَبَّآتُها، قال الله تعالى: ﴿فيحفكُمْ تبْخلُوا ويُخْرِجْ أضغانَكم﴾[2]. والحَبْرُ العالِمُ.

ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلمًا عن شيءٍ من أمرِ الدِّين، فقال له عليٌّ: اسألني ودَعِ الرجلَ، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتَ حَبْرٌ. أي عالمٌ، قال عليٌّ عليه السلام: أنْ تَسْأَلَ عالمًا أجدَى عليك[3].

وقوله: «حتَّى تَنَصَّلها»، يريدُ استخرَجَها.

وقوله «حُمَّتْ»، معناه قُدرَتْ.

[للكميت في رثائه أيضا]

قال الكُمَيْتُ:

والوَصيُّ الذي أمالَ التَّجوبيـ — ـيُّ به عَرْشَ أُمَّة لانهدامِ
قَتلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتلوه — حكَمًا لا كَغَابر الحكَّامِ
الإمامَ الزَّكيَّ والفارسَ المُعْلـ — ـمَ تحتَ العَجاجِ غيرَ الكَهَامِ
راعيًا كان مُسجِحًا ففقَدْنَا — هُ وفقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ[4]

* * *

قول: «الوَصِيُّ» فهذا شيءٌ كانوا يقولونه ويُكثرون فيه قال ابنُ قيْس الرُّقَيَّات:

نحنُ منا النبيُّ أحمدُ والصِّدِّيـ — ـقُ منَّا التقيُّ والحُكماءُ

(١) ر: «إنما هو».
(٢) سورة محمد ٧٣.
(٣) ر: «أجدى لك».
(٤) مسجحا: سهلا.

وعليّ وجعفرٌ ذو الجَنَاحَيْـ ـنِ هُناكَ الوَصِيُّ والشُّهداءُ

وقال كثيرٌ لمَّا حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمد بن الحَنَفِيَّةِ فى خمسةَ عشر رجلا من أهله فى سِجنِ عارمٍ:

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ بَل العائذُ المحبوس فى سجْنِ عارمِ
وصِيُّ النَّبىِّ المصطفى وابنُ عمه وفكَّاكُ أعناقٍ وقاضى مَغَارم

أرادَ ابن وَصِىِّ النبىِّ. والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه فى هذا الباب مقامَ المضاف، كما قال الآخرُ:

صَبَّحْنَ منْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخرِبْ يحْمِلنَ عَبَّاسَ بنَ عبدِ المطلِبُ

يريدُ ابن عباس رضى الله عنه.

وقال الفرزدقُ لسليمانَ بن عبد الملك:

ورِثْتمْ ثياب المجد فهىَ لَبوسُكُمْ عن ابنىْ مَناف عبدِ شمْسٍ وهاشم

يريد ابنْى عبدِ منافٍ.

[لأبى الأسود الدؤلى فى آل البيت]

وقال أبو الأسود:

أحبُّ مُحَمَّداً حبًّا شديداً وعَبَّاسًا وحمزةَ والوَصِيَّا
أحَبُّهمُ لحُبِّ الله حتى أَجِىءَ إذا بُعِثتُ عَلى هَوِيَّا
هوًى أعْطيتُهُ منذ استَدارَتْ رَحَى الإسْلام لَمْ يَعْدلْ سَوِيَّا(١)
يقولُ الأرْذلون بنو قُشَيْر: طوَالَ الدَّهر ما تَنْسَى عَليَّا!
بنو عمِّ النبىِّ وأَقْرَبوهُ أَحَبُّ الناسِ كلِّهمُ إلَيَّا
فإن يك حبُّهُمْ رُشدا أُصِبْهُ وليس بمُخْطِئٍ إن كان غيًّا(٢)

---

(١) زيادات ر: «السوى والسواء: الذى قد سوى الله خلقه، لازمانة به ولاداء؛ وفى القرآن: ﴿بشرا سويا﴾، وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أى جعلته مثلا له.

(٢) زيادات ر: «ويروى: وليست».

وكان بنو قُشَير عُثمانيَّة، وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يَرْمُون بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له[1]: ما نحنُ نرْميك ولكنَّ الله يرميك! فقالَ: كذبتم والله، لو كان الله يَرمينى لما أَخْطأنى.

قال: وكان نَقشُ خاتمه:

يا غالِبى حَسْبُكَ مِن غالبِ ارْحَمْ علىَّ بن أبى طالبِ

وقوله: «غيرَ الكهَامِ» فالكهامُ: الكَليلُ من الرجال والسيوفِ، يقال: سيفٌ كَهامٌ. وقوله:

راعِيًا كان مُسجِحًا فقدنا هُ وفقْدُ المُسيم هُلْكُ السَّوامِ

فالمسيمُ الذى يُسيمُ إبله أو غنمه ترْعى، وكذلك كلُّ شيء من الماشية، فجَعَل الراعىَ للناس كصاحب الماشية الذى يُسيمها ويَسوسُها ويُصلْحها، ومتى لم يَرْجعْ أمر الناس إلى واحد فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأمورهم.

قال ابنُ قيس الرُّقيَّات:

أيها المشْتَهِى فَناءَ قُرَيْش بيد الله عمْرُها والفَنَاءُ
إن تُودِّع من البلاد قُرَيْشٌ لا يكنْ بَعْدَهم لحىٍّ بقَاءُ
لو تُقفِّى ويُتْرَكُ الناسُ كانوا غنَم الذئبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ

وقال الْحِمْيَرىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه:

كان المسيمَ ولم يكن إلا لِمنْ لزَمَ الطريقة واستقامَ مُسيما

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءَهم «لا حُكمَ إلا لله» قال: كلمة عادِلة يُرادُ بها جَوْرٌ، إنما يقولون: لا إمارة، ولابُدّ من إمارة برَّة أو فاجرة.

* * *

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السَّلامُ لَمَّا أَوصى إلى الحسن فى وَقف أمواله وأن يَجعلَ فيها ثلاثة من مواليه وَقفَ فيها عينَ أبى نيْزَرَ[2] والبُغَيْبِغَة فهذا[3] غلطَ. لأن وَقفهُ هذين[4] الموضعينِ لِسَنَتَيْن من خِلافته.

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٢) كذا ضبط فى الأصل. بفتح النون، وفى حاشيته عن الصحاح: «نبزر» بكسر النون.

(٣) ر: «وهذا». (٤) ر: «لهذين».

[وقف عين أبي نيزر]

حدثنا أبو مُحلّم محمدُ بن هشَام في إسناد ذكره أخوهُ أبو نَيْزَرَ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوك الأعاجِم، قال: وصحَّ عندى بعدُ أنه منْ وَلَد النجَاشيَّ -[1] يعنى أبا نَيْزَر[1] - فَرغبَ فى الإسلام صغيراً، فأتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وكان معه فى بيوته، فلما تُوفىَ رسولُ الله ﷺ صار مع فاطمةَ وولدها عليهم السلام، قال أبو نَيْزَرَ: جاءنى علىٌّ بن أبى طالب وأنا أَقومُ بالضَّيْعَتينِ: عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغْيبغة[2]. فقال لى: هل عندكَ من طعام؟ فقلتُ: طعامٌ لا أَرضاه لأمير المؤمنين، قَرْع من قَرْعِ الضَّيْعَةِ صنعته بإهالة سَنِخَة[3]، فقال: علَىَّ به، فقام إلى الربيع وهو جدول - فغسل يده، ثم أصابَ من ذلك شيئا، ثم رجع إلى الرَّبيع، فغسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كلَّ واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حُسًا[4] من ماء الرَّبيع، ثم قال: يا أبا نيْزَرَ، إن الأَكُفَّ أنظفُ الآنية، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنه، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ، ثم أَخذ المعْوَلَ[5] وانحدرَ فى العَيْن، فجعل يضربُ، وأبطأَ عليه المساءُ، فخرجَ وقد تَفضَّجَ جبينهُ عَرَقًا[6]. فانْتكفَ العَرقَ عن جَبينه، ثم أخذ المعْوَلَ وعادَ إلى العين، فأقبلَ يضربُ فيها، وجعل يُهَمْهِم[7] فانْثَالَتْ كأنها عُنُق[8] جَزُور، فخرج مُسْرعًا، فقال: أشْهدُ اللهَ أنها صَدَقةٌ، علىَّ بدواة وصحيفة، قال: فَعَجَّلْتُ بهما إليه، فكتبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصدقَ به عبد الله علىٌّ أميرُ المؤمنين، تَصدَّقَ بالضَّيْعَتَين المعروفتين بعَيْنِ أبى نَيْزَرَ والْبُغَيْبغَة، على فقراء أهل المدينة وابنِ السَّبيل، ليَقى اللهُ بها وجْهَه حَرَّ النار يومَ القيامة، لا تُباعَا ولا تُوهبَا حتى يَرثَهُما الله وهو خيرُ الوارثينَ، إلا أن يحتاجَ إليهما الحَسنُ أو الحسينُ فهما طلْق[9] لهما، وليس لأحدٍ غيرهما.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) البغيبغة: عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) حسا: جمع حسوة؛ وهى الشربة ملء الفم.

(٥) المعول: الفأس العظيمة ينقر بها فى الصخور.

(٦) تفضج جبينه عرقا: سال.

(٧) بهمهم، من الهمهمة، وهى ترديد الصوت فى الصدر.

(٨) يقال انثال الرمل انثيالا، إذا تبع بعضه بعضا؛ وهو هنا على الاستعارة.

(٩) طلق: أى حلال.

قال محمدُ بن هشام: فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحملَ إليه معاويةُ بعَينِ أبى نيْزَرَ مائتى ألفِ دينار، فأَبى أن يَبِيعَ، وقال: إنما تَصَدق بها أبى لِيَقىَ اللهُ بها وجهه حَرَّ النار، ولستُ بائعهَا بشَىء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ أَنَّ معاوية كَتَب إلى مروانَ بنِ الحكم، وهو وَالِى المدينة: أمَّا بعدُ، فإن أميرَ المؤمنين أحَبَّ أن يَرُدَّ الألْفَةَ، ويَسُلَّ السَّخِيمة، ويَصِلَ الرَّحمَ، فإذا ورد عليك[1] كتابى هذا[2] فاخْطَبْ إلى عبدِ الله بن جعفر ابْنَته أمَّ كُلْثُومٍ عَلى يَزِيدَ بنِ أميرالمؤمنين، وارغَبْ لهُ فى الصَّدَاقِ.

فوجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية[3]، وأعلمه بما فى رَدِّ الألفة من صَلاحِ ذات البَيْن، واجتماعِ الدَّعْوة، فقال عبدُ الله: إن خالها الحسينَ بِيَنْبُعَ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمر، فأَنْظِرنى إلى أن يقْدم، وكانت أمُّها زينب بنت علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فلما قَدمَ الحسين ذكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ. فقامَ من عنده فدخَل إلى الجارية، فقال: يا بُنَيَّة، إن ابنَ عَمَّك القاسمَ بن محمد بن جعفرِ بن أبى طالب أحق بك، ولعلك ترْغبين فى كَثْرَة الصَّدَاق وقد نحلْتَك البُغَيبغات، فلمَّا حضرَ القومُ للإمْلاك[4] تكلم مروانُ بن الحكَم، فذكر معاويةَ وما قصَدَه من صلة الرَّحمِ وجَمْع الكلمة، فتكلم الحسينُ فزوَّجَها من القاسمِ بن محمد. فقال له مروانُ: أغدرًا يا حُسَيْنُ. فقال: أنتَ بَدأْتَ، خطَبَ أبو محمد الحسنُ بن على عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بن عفَّانَ، واجتمعنا لذلك، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال مروانُ: ما كان ذلك، فالتفتَ الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أَنْشُدكَ اللهَ، أكان ذاك؟ قال: اللهم نَعَم، فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ فى أيدى[5] بَنى عبد الله بن جعفر، من ناحية أمِّ كلثومٍ، يتوارثونها، حتي مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ، فَذُكرَ ذلك له، فقال: كلا. هذا وَقْفُ علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فانتزَعها من أيديهم، وعوَّضهم عنها، وردها إلى ما كانتْ عليهِ.

---

(١) ر: «وصل إليك».
(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر.
(٣) فى الأصل: «أمير المؤمنين»، وما أثبته عن ر.
(٤) الإملاك: عقد النكاح.
(٥) ر: «يدى».

[حديث على مع الخوارج فى أول خروجهم عليه]

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ علىٍّ بن أبى طالب رحمه الله .

قال: ويُرْوَى[1] أن عليًّا فى أوَّل خروجِ القومِ عليه دَعَا صَعْصَعَة بن صوحَانَ العبدىَّ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثى مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعةَ: بأى القومِ رأيتهم أشدَّ إطاقةً؟ فقال: بيزيدَ بن قيسٍ الأرْحَبىِّ، فركب علىٌّ إليهم إلى حَرُوراء، فجعل يَتَخَلَّلُهم حتى صار إلى مَضْرِب يزيدَ بن قيسٍ. فصلَّى فيه ركعتين. ثم خرج فاتَّكأ علي قوسه وأقبلَ على الناس، ثم قال: هذا مقامٌ مَنْ فَلَجَ[2] فيه فَلَجَ يومَ القيامة، أَنْشُدُكُم الله ، أعَلِمْتُمْ أحدًا منكم كان أكرَهَ للحكومة منِّى! قالوا: اللهم لا. قال: أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قَبِلْتُها؟ قالوا: اللهم نَعَمْ. قال: فَعَلَام خالفتمونى ونابَذْتُمونى؟ قالوا: إنَّا أتينا ذَنْبًا عظيمًا، فَتُبْنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نَعُدْ لكَ. فقال علىٌّ: إنى أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْب . فرجعوا معه، وهم ستةُ آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَعَ عن التحكيم ورآه ضلالا، وقالوا: إنما يَنْتظُر أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكراعُ[3]، ويُجبَى المالُ، فينْهَضَ إلى الشامِ. فأتى الأشْعثُ بن قيس عليًّا عليه السلامُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الناسَ قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كُفْرا. فخَطَبَ علىٌّ الناسَ فقال: مَنْ زَعَمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومة فقد كَذَب، ومن رآها ضلالا فهو أَضَلُّ. فخرجت الخوارجُ من المسجد فَحَكَّمَتْ . فقيلَ لعَلىٍّ: إنهم خارجون عليك، فقال: لا أقاتلُهم حتى يقاتلونى وسيفعلون، فَوَجَّهَ إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهًا قرحَةً[4] لطُول السُّجود. وأيْدِيًا كَثِفنات الإبل[5]، وعليهم[6] قمُصٌ مُرَحَّضَةٌ[7]. وهم مُشَمِّرُون، فقالوا: ما جاء بكَ يا أبا العباس؟ فقال: جئتكم من

---

(١) ر : «يروى».　　(٢) فلج : انتصر .

(٣) الكراع : اسم لجماعة الخيل .

(٤) قرحة : بها قروح.

(٥) ثفنات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت.

(٦) ر : «عليهم».

(٧) قمص مرحضة مغسولة، من أرحض الثوب ، غسله.

عند صهْر رسول الله ﷺ وابن عمّه، وأعْلمنا بربّه وسُنّة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: 'إنَّا أتَينا عظيمًا حين حكَّمْنا الرجال فى دين الله، فإنْ تابَ كما تُبنا ونَهضَ لمجاهدة عَدُوِّنا رجعنا. فقال ابنُ عباس: نَشَدْتُكُم اللهَ إلا ما صَدقْتُمْ أنفُسكُمْ! أمَا علمتُم أنَّ اللهُ أمرَ بتحكيم الرجال فى أرْنَب تُساوى رُبْعَ درهم تَصادُ فى الحَرَم، وفى شقاقِ رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نَعَمْ، فقال: فأَنْشُدكمُ اللهَ فهل[1] علمتُم أنَّ رسولَ الله ﷺ أمْسكَ عن القتال للهُدْنَة بينه وبين أهل الحُدَيْبيَة؟ قالوا: نعَمْ، ولكنَّ عليًّا مَحَا نفسه من إمارة المسلمين، قالَ ابنُ عباس: ليسَ ذلك بمزيلها عنه وقد مَحَا رسولُ الله ﷺ اسمه من النُّبُوَّة، وقد أَخذَ عليٌّ على الحكَمْين ألا يَجُوراَ، وإن يَجُورا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاويةَ يَدَّعى مثل دَعْوَى على، قال: فأيُّهما رأيْتُموه أَوْلى فوَلُّوه، قالوا: صدقت، قال ابنُ عباس: ومتى[2] جارَ الحكمان فلا طاعةَ لهما ولا قبول لقَوْلهما. قال: فاتبعه منهم ألفان وبَقىَ أربعةُ آلاف، فَصلى بهم صلَواتهم ابنُ الكَوَّاء، وقال: مَتى كانَتْ حَرْبٌ فرئيسكُم شَبَثُ بن رِبْعىّ الرِّيَاحى، فلم يَزَالُوا على ذلكَ يومين، حتى أجْمَعوا على البَيْعة لعبد الله بن وَهْبٍ الرَّاسبىِّ، قال: ومَضَى القومُ إلى النَّهروَان[3]، وكانوا أرادوا المضى إلى المدَائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طَرِيف أخبارهم أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا، فَقَتَلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانىّ، فقالوا: احفظوا ذمَّةَ نبيِّكم[4].

ولقيهم عبدُ اللهَ بن خَبَّاب وفى عُنقه مصحفٌ، ومعه امرأته وهى حاملٌ، فقالوا له[5]: إنَّ هذا الذى فى عُنقكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَك، فقال[6]: ما أَحْيَا القرآنُ فأَحْيُوه، و ما أماتَه فأميتوه. فَوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطبة فوضَعها فى فيه، فصاحوا به، فَلَفَظَها تورُّعًا، وعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ فقتلَه،

---

(١) ر : «هل». (٢) ر : «متى».

(٣) زيادات ر : «قال الأخفش: كذا كان يقول المبرد: «النهروان. بكسر النون والراء، وإنما هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل فى شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم».

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهى فى الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال».

فقالوا: هذا فَسادٌ فى الأرضِ، فقال عبدُ الله بن خَبَّاب: ما علىَّ منكم بأسٌ، إنى لَمُسْلمٌ، قالوا له: حَدِّثْنا عن أبيك؟ قال: سمعتُ أبى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتنةٌ يموتُ فيها قَلبُ الرجلِ كَما يَموتُ بَدَنُه، يُمْسى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافرًا، فكُنْ عبدَ الله المقتولَ، ولا تكنِ القاتلَ».

قالوا: فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعَمر؟ فأَثْنَى خيرًا، فقالوا: ما[1] تقولُ فى علىٍّ أميرِ المؤمنين قبلَ التَّحْكيمِ، وفى عثمانَ ستّ سنينَ؟ فأَثْنَى خيرًا، قالوا: فما تقولُ فى الحُكومة والتَّحْكيمِ؟ قال: أقول إنَّ عليًّا أَعْلَمُ بالله منكم[2]، وأشَدُّ توَقِّيًا على دِينه، وأبعد[2] بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تَتَّبعُ الهُدَى، إنما تتبعُ الرجالَ على أَسمائها.

ثم قرَّبوه إلى شاطئ النهر فذَبحوه، فامْذَقَرَّ دَمُهُ، أى جَرَى مستطيلا على دقَّة.

وسامُوا رجلا نصرانيًّا بنخلة له، فقال: هِىَ لكم، فقالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمنٍ. قال: ما أَعجَبَ هذا؟ أَتَقْتلونَ مثلَ عبد الله بن خَبَّاب ولا تقْبلون منَّا جَنَى نخلَةٍ؟

[غيلان بن خرشة ونيله منهم]

ومن طريف أخبارِهم أن غَيْلانَ بن خَرَشةَ الضَّبِّىَّ سَمَرَ ليلة عند زيادٍ ومعه جماعةٌ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارجِ، فأنحى عليهم غيلانُ، ثم انصرف بعد ليْلٍ إلى منزله، فلقيه أبو بلال مِرْدَاسُ بن أُدَيَّةَ، فقال له: يا غَيْلانُ، قد بَلغنى ما كانَ منك الليلةَ عندَ هذا الفاسق، من ذكر هؤلاء القوم الذين شرَوْا أنفسَهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم! ما يُؤَمِّنُكَ أن يلقاكَ رجلٌ منهم، أَحْرَصُ والله على الموت منكَ على الحياة، فيُنْفِذَ[3] حِضْنَيْكَ[4] برُمْحِهِ؟ فقال غيْلانُ: لن يَبْلُغَكَ أَنِّى ذكرتُهم بعدَ الليْلة.

[مرداس بن أدية وزياد]

ومِرْدَاسٌ تنتحلُهُ جماعةٌ من أَهلِ الأهواء، لِقَشفه وبَصيرته، وصحة عبادته، وظهورِ ديانته وبيانه؛ تنتحلهُ المعتزلةُ، وتزْعُم أنه خَرجَ منكرا لجَوْرِ السلطانِ، داعيًا

---

(1) ر : «فما تقول».
(2) ر : «أعلم بكتاب الله».
(3) ر : «وأنفذ».
(4) الحضنان : ناحيتا الإنسان. والجمع أحضان.

إلى الحَقَّ، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيثُ قال على المِنْبَر: والله لآخذَنَّ المحسنَ منكم بالمسيءِ، والحاضرَ منكم بالغائب، والصَّحيحَ بالسَّقيم، (١والمطيع بالعاصى١).
فقام إليه مرداسٌ فقال: قد سمعنا ما قلت أيُّها الإنسانُ، وما هكذا ذكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيمَ عليه السلام، إذ يقولُ: ﴿**وإبراهيمَ الَّذى وَفَّى * ألا تزر وازرةٌ وزرَ أُخْرَى * وأن لَيْسَ للإنسان إلا مَا سَعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثم يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفى**﴾[٢] وأنتَ تزعمُ أنك تأخذُ المطيع بالعاصى. ثم خرجَ فى عَقِبِ هذا اليومِ.

والشِّيَعُ تنتحله، وتزعمُ أنه كَتَبَ إلى الحسين بن علىّ صلواتُ الله عليه: إنِّى لَسْتُ أرى رَأْى الخوارج، وما أنا إلا عَلَى دِين أبيكَ.

[آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج]

وهذا رأىٌ قد استَهْوَى جماعة من الأشراف. يُرْوَى أنَّ المُنْذرَ بنَ الجارُودِ كان يَرى رأى الخوارجِ. وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنِ صاحب ديوان العِراق يراه، وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه(٣ ولعل هذا يكون باطلا٣)، منهم عِكْرِمةُ مولى ابن عباس. وكان يقالُ ذلك فى مالكِ بن أنَسٍ.

ويَرْوِى الزُّبَيْريُّونَ: أنَّ مالكَ بن أنسٍ المَدينى[٤] كان يَذْكرُ عثمانَ وعليًّا وطَلْحَةَ والزُّبَيْر فيقولُ: والله ما اقْتَتلوا إلا على الثَّرِيد الأعْفَر[٥].

(١-١) ساقط من ر.
(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١.
(٣-٣) ساقط من ر.
(٤) حاشية س: «قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس الفقيه المدنى المشهور صاحب المذهب. وليس الأمركذلك. وهذا تقصير أو قصور من أبى العباس، حيث أبهم فى موضع البيان، لأن مالكا المذكور هنا هومالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكرى. ثم البصرى. أحد رؤساء أهل البصرة. وأعظم فقهائها فى زمانه. لشرف بيته وتقدمه فى معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج. ولم يوقف لأمره على حقيقة، الله أعلم أى ذلك كان. وأما ألإمام مالك بن أنس المدنى الأصبحى الحميرى فهو الذهب الإبريز صفاء. والكبريت الأحمر عزة».
(٥) الثريد الأعفر: الأبيض. ليس بالشديد البياض. يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفى.

فأمَّـا أبو سَعيـد الحسن البَصْـرى فإنه كان يُنكِـرُ الحكومةَ، ولا يَرَى رأيَهم، وكان إذا جَلَسَ فـتمكَّن فى مجلـسه ذَكَرَ عثـمانَ فَتَـرحَّم عليه ثلاثًا، ولعن قَـتَلَته ثلاثًا، ويقـولُ: لو لم نَلْعنهم لَلُعنَّا، ثم يَذكر عليًّـا فيـقول: لم يَزَلْ أميـرُ المؤمنين عليٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفه[1] النصرُ، ويساعـدهُ الظَّفَرُ، حتى حكَّمَ، فلِمَ تحكِّم والحقُّ معكَ! ألا تمضى قُدُمًا لا أبالك وأنت عَلَى الحقِّ!

* * *

قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جـفاءٌ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ على أخذِ الحقِّ والإغـراءِ، وربما استعـملتها الجُـفاةُ من الأعْرابِ عنـدَ المسألة والطّلب، فيقولُ القـائلُ للأميرِ والخليفةِ: انظر فى أَمر رعيـتك لا أبالَكَ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلا من الأعراب فى سَنَة جدبة[2] يقولُ:

رَبَّ العِـبَـادِ مَـا لنَا ومَـالَكَا قـد كنتَ تسْـقـينَا فـمـا بَدَا لكَا

* أنْزل علينا الغيْثَ لا أَبَالكَا *

فأخـرجه سليمـان أحسن مخـرج، فقال: أَشْـهدُ أنه لا أَبَا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة [وأشهد أن الخلق جميعًا عباده][3].

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أَبْعَد من هذه الكلمة لبعض قومه:

أَبَنـى عُـقَـيْلٍ لا أبَا لأبِيكُم أُبىٌّ وأىُّ بَـنى كِـلابٍ أكْـرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ، أَنشده أبو زيد الأنصارىُّ:

يا قُـرْطَ قُـرْطَ حُيَـىٍّ لا أبَالكمِ يا قُـرْطُ إنِّى عليكم خائفٌ حَـذِرُ
أَأَنْ رَوَى مـرقَسٌ واصْطافَ أَعنُزُهُ منَ التِّـلاعِ التى قـد جـادها المطَرُ
قلتـم له اهْجُ تميـمًـا لا أبَـالكمِ فى كَفِّ عَـبدكُـم عن ذاكمُ قصَـرُ
فـإنَّ بـيتَ تميمٍ ذِو سَـمِـعْتَ به فـيه تَـنَمَّتْ وأَرْسَتْ عِزَّهـا مُضَـرُ

---

(1) س: «يتعرفه». (2) ر: «جديبة».
(3) تكملة من ر.

قوله : «يا قُرْطَ قُرطَ حُيَيٍّ» نَصبُهمـا معا أكثُر على ألسنة العرب، وتأويلها: أنهم أردوا «يا قُرْطَ حُيى» فأقحموا «قرطًا» توكيدًا، وكذلك لجرير[1]:

يا تَـيْمَ تَيْـمَ عَـــدِىٍّ لا أَبَا لـكمُ ... لا يُلْقِــيَنَّكُمُ فى سَــوْءَة عُـمَــرُ

ومثلُه لعُمَر بن لَجَإ[2]:

يا زَيْدَ زَيْدَ الـيَـعْـمــلاتِ الذُّبَّلِ ... تطـاولَ اَلليلُ عـليكَ فـــانزلِ[3]

فإن لم تُرِدِ التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلا رفع الأول: «يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملات» و «يا تَيْمُ تَيمَ عَدِيٍّ»، كما تقولُ: «يا زيد أخَا عمرو» على النعت. ومثلُ الأول فى التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ» أراد يا بؤسَ الحـرب فأقْحَم اللامَ توكيدًا، لأنها توجب الإضـافةَ. وعلى هذا جـاء «لا أبَالك» و «لا أبا لزيد»، ولولا الإضـافةُ لم تثـبت الألف فى الأب، لأنك تقول رأيتُ أباك، فإذا أفردتَ قلت: هذا أبٌ صالحٌ، وإنما كانت «لا أَبَاكَ» كما قال الشاعرُ:

أبِـالْمــــــوتِ الـذى لابُدَّ أنَّـى ... مُــــلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَـــوِّفـيـنى

وقال آخر:

وقـد مات شَـمَّـاخٌ وماتَ مُـزَرِّدٌ ... وأىُّ كـــــريم لا أبَاكِ يُـخَلَّـدُ!

وقوله: «أأَن رَوَى مـرقَسٌ» «مرْقسٌ» رجلٌ. وروى: استَـقى لأهله، يقال: فلانٌ رَاوِيَةَ أَهْله، إذا كان يسـتقى لأهله، والتى على البعير والحـمار مَزادَةَ[4] فإذا كَبُرتْ وَعُظَمْتَ وكـانت من ثلاثة آدِمَة[5] فهى الْمُثَلَّثَة. وأصغـرُ منها السَّطيحةُ[6]، وأصغرُهنَّ الطَّبْعُ[7]:

(١) قال المرصفى: «يهجو عمر بن لجأ التيمى»، وقبله كما فى الديوان ٢٨٥ :

أتبـتغى الـتَّيْمُ عـذرًا بعـد ما غَـدَرُوا ... لا يقْـبلَ اللهُ من تيـم إذا اعْـتَــذرُوا
لا تمنَعُـــون لكُمْ عـرْسـا ومـــا لكمُ ... إلا بغـــــيْـــركُـم وِرْدٌ ولا صَـــدَرُ

(٢) قال المرصفى : هذا غلط، صوابه: لعبد الله بن رواحة الخزرجى يقوله لزيد بن أرقم.

(٣) اليعملات : جمع يعملة؛ وهى الناقة السريعة. والذبل: الضوامر.

(٤) المزادة: هى التى تكون من جلدين يزاد بينهما نصف جلد.

(٥) آدمة: جمع أديم، وهو الجلد.

(٦) السطيحة: التى تكون من جلدين، يقابل أحدهما بالآخر.

(٧) الطبع، قال المرصفى: لم أر أحدا من أهل اللغة ذكره إلا فى الأسقية،وإنما هو لملء السقاء.

وقوله: «واصْطافَ أعنُزُه»، يريدُ «افْتَعلَتْ»، من الصَّيْف، أى أصابت البقلَ فيه.

والتَّلعةُ: ما ارتفعَ من الأرضِ فى مُستَقرِّ المَسيلِ إذا تجافى السَّيلُ عن مَتْنه، وجمعُه تِلاعُ.

وقوله: «ذَو سَمعْتَ به» يريد الذى، وكذلك تفعلُ طَيِّئٌ. تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الخيلِ لبنى فَزَارَةَ، وذكر عامرَ بن الطُّفيل فقال:

* إنِّى أرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْن *

وقال عارِقٌ الطائىُّ:

فإن لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعَلْتُمُ	لأنْتَحِينْ للعَظْم ذُو أنَا عارِقُه[1]

يريد الذى.

* * *

ومن ظُرَفاءِ الْمحدثين اليمَانِيَّة منْ يَعملُ هذا اعتماداً لإيثارِ لغةِ قومِه.

قال الحسنُ بن هانئ الحكمىُّ:

حُبُّ المُدامَةِ ذُو سمعتَ به	لم يُبْقِ فىَّ لغيرها فَضْلا

وقال حَبيبُ بن أَوْس الطَّائىُّ:

أنا ذُو عَرَفْتِ فإن عرَتْكِ جَهالةٌ	فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذَّال

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثىُّ:

عَللانى بذكرها عَللانى	واسْقِيانى أوْلا فَمنْ تَسقِيَان
أنا ذُو لم يَزَل يَهُونُ على النَّدْ	مانَ إن عَزَّ جانب النَّدْمانِ
ويكونُ العزيز فى ساعة الرَّوْ	ع بِصَدْق الطِّعانِ يومَ الطِّعانِ

* * *

(١) لأنتحين: لأقصدن. وعارقه، من عرق العظم يعرقه؛ بالضم عرقا؛ أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشا؛ وبهذا البيت سمى عارقا.

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج[1]:

قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لدَدٌ واحتجاجٌ، عَلَى كثرة خُطبائهم وشُعَرائهم، ونفاذ بَصيرتهم، وتَوْطين أنفُسهم على الموت، فمنهم الذى طُعِنَ فأنْفَذَهُ الرُّمْحُ فجعل يسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[2].

* * *

ويُروَى عن النبى ﷺ أنه لَمَّا وصفَهم قال: «سيماهم التَّحْليقُ[3]، يقرءُونَ القرآن لا يُجَاوزُ تَرَاقِيَهُمْ، عَلامَتُهُمْ رَجلٌ مخْدَجُ اليدِ»[4].

وفى حديث عبد الله بنِ عَمرو: «رجلٌ يُقالُ له عَمْرٌو ذو الخَويصرِة»، أو «الخُنَيْصِرة».

* * *

ورُوىَ عن النبى ﷺ: أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجد، إلى أنْ صَلَّى النبىُّ عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله»؟ فحَسَرَ أبو بَكرٍ عن ذراعه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه، ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال: أأقتلُ رجلاً يقولُ: لا إله إلا اللهُ؟ فقال النبىُّ عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعلُ»؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك، فلما كان فى الثالثة قصدَ له علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يَرَه، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَة وآخِرَها».

[حديث المخدج]

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه ذكرَ المُخْدَجُ عندَ النبى عليه السلام، فقال أبو مريم: واللهِ إنْ كان معنا لفى المسجد وكان فقيراً، وكان يَحْضُرُ طعامَ علىٍّ إذا وضعه للمسلمينَ، ولقد كسوتُه بُرْسًا لىَ، فلمَّا خَرج القومُ إلى حَروراءَ قلتُ: والله لأنظَرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتخللهُم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».

(٢) سورة طه ٨٤.

(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم حلق الرءوس.

(٤) مخدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إلى ابن الكَواءِ وشَبَثِ بن ربعىّ، ورسلُ على تُناشدهم، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسول لعلى، فضرب دابَّتَه بالسيف، فحمل الرجل سَرْجَه وهو يقولُ: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة، فجعلتُ أنظُر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عِيد، فرأيتُ المُخْدَجَ، وكان منى قريبًا، فقلتُ: أكنتَ مع القومِ؟ فقال: أخذتُ سلاحِى أُريدُهم، فإذا بجماعةٍ من الصبيان قد عَرضُوا لى فأخذوا سلاحِى، وجعلوا يتلاعبونَ بى فلما كان يومُ النَّهر قال علىٌّ: اطلُبوا المُخدَج. فطلبوه فلم يجدوه، حتى ساء ذلك عليًّا، وحتى قال رجلٌ: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هوَ فيهم، فقال علىٌّ: والله ما كَذبتُ ولا كُذِبْتُ، فجاء رجلٌ فقال: قد أصبناه يا أمير المؤمنينَ، فخَرَّ علىٌّ ساجدًا، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سَجَد، وقال: لو أعلمُ شيئًا أفضلَ منه لفعلْتُه، ثم قال: سيماهُ أنَّ يَده كالثَّدْى، عليها شعراتٌ كشارب السِّنْور، إيتونى بيده المُخدجَة، فأتوْهُ بها فنَصَبَها.

[من أخبار نافع بن الأزرق]

ويرْوَى عن أبى الجَلْد أنه نظَرَ إلى نافع بن الأزْرَق الحنَفىِّ وإلى نظره وتوَغّله وتعَمُّقه، فقال: إنى لأجِدُ لجهنم سَبعةَ أبوابِ، وإنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارج، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم.

قال: وكان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجعُ عبدَ الله بن العباسِ فيسأله، فله عنه مسائلُ من القرآن وغيرِه، قد رَجَع إليه فى تفسيرِها، فقَبلَه وانْتَحَلَهُ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوَةُ، ونحن ذاكرون منها صَدْرًا إن شاء الله.

* * *

حَدَّثَ أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المثُنَى التَّيْمِىُّ النَّسَّابة، عن أُسامةَ بن زيدٍ، عن عكْرمةَ، قال: رأيتُ عبد الله بن العباس وعندَه نافعُ بن الأزْرَقِ وهو يسأله، ويَطلبُ منه الاحتجاجَ باللغة، فسَأله عن قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿**والليل وَمَا وَسَقَ**﴾[1]، فقال ابنُ عباسٍ: وما جَمَعَ، فقال: أتعرفُ ذلك العربُ؟ قال ابن عباس: أمَا سمعتَ قول الراجِز:

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إن لنا قلائصا حقائقًا مُسْتَوْسقات لو يَجِدْنَ سائقا

هذا قولُ ابن عباس، وهو الحقُّ الذى لا يَقْدَحُ فيه قادحٌ. ويَعْرِضُ القول فيحتاجُ المبتدئ إلى أنْ يَزْدادَ فى التفسير.

قوله: «حقَائقا» إنما بَنَى الحقَّةَ من الإبل - وهي التى قد استحَقَّتْ أن يُحْمَلَ عليها - عَلَى «فَعيلة» مثلَ «حقيقةٍ» ولذلك جَمَعها على «حقائقَ» ويقال: «اسْتَوْسَقَ» القومُ، إذا اجتمعوا.

ورَوَى أبو عبيدة فى هذا الإسناد - ورَوَى ذلك غيُره، و سمعناه من غير وجه - أنه سأله عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قد جعَلَ ربُّك تحْتَك سَرِيًّا﴾[1] فقال ابنُ عباس: الْجَدوَلُ، فسأله عن الشواهد، فأنشدَه:

سلْمًا تَرَى الدَّالِجَ منها أزْوَرَا إذا يَعجُّ فى السَّرِىِّ هَرْهَرَا

السَّلْم: الدَّلْوُ الذى له عُرْوةٌ واحدة، وهو دلْوُ السَّقَّائيَن، وهو الذى ذكره طَرَفةُ فقال:

لها مِرْفَقانِ أفْتلانِ كأنما أمِرَّا بسَلْمَى دَالجٍ مُتَشَدِّدِ[2]

والدَّالجُ: الذى يمشى بالدَّلْو بين البئر والْحَوْضِ، وأصحابُ الحديث يُنْشِدونَ: «تَرَى الدَّالِىَ منه أزْوَرَا» وهذا خطأ لا وجهَ له.

ورَوَى أبوعُبيدةَ وغيْرُه: أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله: ﴿عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيم﴾[3]: ما الزنيمُ؟ قال: هو الدَّعىُّ الملزَقُ، أمَا سمعتَ قولَ حَسَّانَ بن ثابت:

زَنيمٌ تداعَاهُ الرجالُ زيادةً كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

يزْعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقاقَ ذلك من الزَّنمة التى بحَلْق الشاة، كا يقولون لمن دَخَلَ فى قومٍ ليس منهم: زَعْنَفةٌ[4]، وللجمع زعانِف، والزعْنَفة: الجَناحُ من أجنحة السَّمك.

---

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهواندماج مرفق الناقة.

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر : «الأم : زعنفة بالكسر».

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعنَفة»، والناسُ كلهم يقولون: «زِعنفة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

* * *

ويُرْوَي عن غير أبي عُـبيدةَ أنه سأله عن قـوله جلَّ اسمُه: ﴿والْتَفَّت السَّاقُ بالسَّاق﴾[1]، قال: الشِّدَّةُ بالشدةِ، فسأله عن الشاهد فأنشدَه :

أخو الحَرْبِ إنْ عَضت به الحربَ عَضَّهَا وإن شمَّرت عن سَاقِـهَا الحربُ شمَّرَا

* * *

قال أبو العبـاس: وقرأتُ على عُـمارةَ بن عقـيل بن بلال بن جرير قصـيدة جرير التى يهـجو فيـها آل المَهَلَّب بن أبى صُفْـرَة، ويمدحُ هلال بن أحْوَزَ المازنىَّ، ويَذكر الوَقْعَةَ التى كانت لهم عليـهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدِ بن عبد المَلِكِ، بسبب خروجِ يزيدَ بن المهلَّبِ عليه :

أفـولُ لهـا من ليلـة ليس طُولهـا كطُّوُل الليـالى لَيْت صبُْحَك نَّورَا
أخافُ على نفسِ ابنَ أحْوزَ[2] إنّه جَلا حُـممًا فـوقَ الوجوه فأَسْـفرَا
جَـعلتَ لقَـبْـرِ للخَـيـارِ ومَـالك وقـبـر عدَىٍّ فى المـقَابر أقـبـراُ[3]
وأَطفَـأتَ نيِـران المَزُون وأهلـهـا وقـد حاولوها فـتْنةً أن تسعَّـرا[4]
فلم تُبْقِ مـنهم رايةً يَعْـرفـونَهـا ولـم تُبق مـن آلَ المُهَلَّب عَـسكَرَا
ألا رُبَّ سَامِى الطَّرْفِ من آلِ مازن إذا شَمَّرتْ عن سَاقِها الحربُ شَمَّرَا

فهذا نظيرُ ذلك. والمَزُون: عُمانُ، قال الكُمَيْتُ:

---

(١) سورة القيامة ٢٩ .

(٢) زيادات ر : «قال الشيخ أبو يعقوب: الذى رويت فى شعر جرير :

حـــذارًا عــلى نفس ابن أحْـــوَزَ إنَّهُ جَـلا كلَّ وجـهٍ من مـعـدٍّ فـأسـفـرا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبى يعقـوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أرطاة الفزارى. قـتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمـر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيهـا أيضا «ويروى: للخيار بواسط. الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعى. وواسط بها قبر عدى بن أرطاة الفزارى».

(٤) زيادات ر : «المزون عمان بالفارسية».

فأمَّا الأَزْدُ أزدُ أبى سعيدٍ فأكرهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فإن شمرَّتَ لكَ عن ساقِها فويهًا حُذَيْفَ ولا تَسْأَمِ[1]

* * *

ويُرْوَى عن أبى عُبيدة من غير وجه أن نافعَ بن الأزرقِ سأل ابنَ عباسٍ فقال: أرأيتَ نبىَّ الله سليمانَ ﷺ، مع ما خَوَّله الله وأعطاه، كيف عُنِىَ بالهُدْهُد على قلَّته وضُئولته؟ فقال له ابنُ عباسٍ: إنه احتاجَ إلى الماء. والهدهدُ قنَّاءٌ[2]. والأرضُ له كالزُّجَاجة، يَرَى باطنَهَا من ظاهرها، فسأل عنه لذلك. قال ابنُ الأزرق: قف يا وقافُ. كيف يُبْصرُ ما تحت الأرض والفخُّ يُغطَّى له بمقدار إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه! فقال ابنُ عباس: ويحَكَ يابنَ الأزرقِ ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِىَ البصرُ.

* * *

ومما سأله عنه: ﴿الٓمٓ * ذلكَ الكتابُ﴾[3]، فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ.

هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهدًا عن ابن عباس، وأنا أحْسُبه أنه لم يَقْبله إلا بشاهد، وتقديرُه عند النحويين: إذا قال: «ذلك الكتابُ» أنهم قد كانوا وُعدوا كتابًا؛ هكذا التفسيرُ، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿فلمَّا جاءهم ما عرَفُوا كَفَرُوا به﴾[4]،ويعنى بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يعْرفُونَه كما يعرفونَ أبناءَهم﴾[4]، فمعناه: هذا الكتابُ الذى كنتم تَتوَقّعونه، وبيتُ خُفَاف بن ندْبَةَ على ذلك يَصِحُّ معناه. وكان مِن خبره أنه غَزَا مع معاوية بن عمرو ـ أخى خَنْساءَ ـ مُرَّةَ وفَزارَة، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْملة: دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاوية، فاستَطْرَدَ له أحدُهما، فحَمَل عليه

---

(١) زيادات ر : «تقول: «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشىء فأغريته به. وواها له، إذا تعجبت منه. وحذيف. يريد «حذيفة» فرخم».

(٢) قناء: عالم بمواضع الماء من الأرض، مأخوذ من القناة. وهى كطيمة تحفر تحت الأرض. قاله المرصفى.

(٣) سورة البقرة ١ .

(٤) سورة البقرة ٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١٤٦ .

معاوية، فطعنَه، وحملَ الآخَرُ على معاويةَ فطعنَه مُتَمكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ[1]. فلما تَنادَوا: قتل معاويةُ.

قال خفافُ بنُ ندْبة - وهى أمُّهُ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو[2] أحدُ بنى سُلَيمِ بن منصورٍ -: قَتَلنى اللهُ إنْ رِمْتُ[3] حتى أثأرَ به، فَحَمل على مالكِ بن حمارٍ - وهو سيد بنى شمْخ بن فَزارَةَ - فطعنه فقتله، فقال خُفافُ بن نَدْبَةَ:

إنْ تَكُ خَيْلى قد أُصيبَ صَميمها ... فَعَمْدًا على عَيْنى تيَمَّمْتُ هالكَا
وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خام صُحْبَتى ... لأبنىَ مَجْدًا أو لأثأَرَ هالكا[4]
أقول له والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفافًا إننى أنا ذَلِكا

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعتَ به. هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يَأْطِرُ مَتْنَه» أى يَثْنِى. يقال: أطَرْتُ القوس آطِرُها أطْرًا، وهى مأطورة. وعَلْوَى فَرَسُه.

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**لهم أجْرُ غَيْرُ مَمْنون**﴾[5]، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قدْ عَرَفَه أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الرَّجْـ ... ـعَ مَنِينًا كأنه إهْبَاءُ[6]

قال أبو العباس: مَنِينٌ، يعنى الغُبارَ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قطَعًا وراءَها. والمنينُ: الضعيفُ المؤْذِنُ بانقطاعٍ، أنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد:

يا رِيَّها إنْ سَلِمَت يَمينى ... وسَلِمَ الساقِى الذى يَلِينى

* ولم تَخُنِّى عُقَدُ المَنِين *

---

(١) صميم الخيل: قال المرصفى: «يريد بالخيل الفرسان، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو».

(٢) لفظ «هو» ساقط من ر.

(٣) رمت: برحت.

(٤) خام: جبن وضعف.

(٥) سورة فصلت ٨.

(٦) يصف خيلا. والرجع: رد الدابة يديها فى السير. وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع فى الجو قاله المرصفى.

يريد الحبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ ومَمْنون، كقَتيلٍ ومقتول، وجَريحٍ ومَجْروحٍ، وذكر التَّوَّزىُّ فى كتاب الأضدادِ أن «المنينَ» يكونُ القوىَّ، فجعله[1] «فَعيلا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأول.

وقال غيرُ ابن عباس: ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فيَكْدَر عندهم.

* * *

ويُروى من غير وجه أنَّ ابنَ الأزرق أتَى ابنَ عباسٍ يومًا[2] فجعلَ يسأله[3] حتى أملَّهُ، فجعلَ ابنُ عباس يُظْهِرُ الضَّجَرَ، وطَلَعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباسٍ، وهو يومئذ غلامٌ. فسلَّم وجلسَ، فقال له ابنُ عباس: ألا تُنْشِدُنا شيئًا من شِعْرِكَ؟ فأنشده:

أمِنْ آل نعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ!

بحَاجَة نَفْسٍ لم تَقُلْ فى جَوابِها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالة تُعْذِرُ

تَهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جَامعٌ ... ولا الحبْلُ موصولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنتْ لك نافعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْلِى ولا أنتَ تصْبِرُ

وأُخْرى أتَتْ منْ دُون نعْمٍ ومثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوى أو يُفكِّرُ

إذا زُرْتُ نُعمًا لم يَزَلْ ذُو قرابة ... لها كلَّما لاقَيتُه يَتَنمَّرُ

عزيز عليه أن أمر ببابها ... فُيسرُّ لىَ الشَّحْنَاءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ

ألكنى إليها بالسلام فإنه ... يُشَهِّرُ إلمامى بها ويَنكِّرُ

بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمَدْفَع أكْنَان أهذا المُشَهَّرُ!

قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه ... أهذا المُغيرىُّ الذى كان يُذكَرُ!

أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ... وعَيْشكِ أنْسَاهُ إلى يَوْمِ أُقبَرُ

فقالت: نعم. لا شك غيَّر لونه ... سُرَى الليل يُحْيِى نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[4]

لئن كان إياه لقد حل بعدنا ... عن العَهْد، والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فَيضْحَى وأمَّا بالعَشِىّ فَيَخصَرُ

---

(١) ر: «يجعله». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «يسائله».

(٤) النص: ضرب من السير؛ والتهجر: السير فى الهاجرة.

حتى أتمها، وهى ثمانون بيتًا، فقال له ابنُ الأزرقِ: لله أنتَ يابن عباسٍ! أنَضْربُ إليك أكبادَ الإبل نَسألُك عن الدِّين فتُعرِض، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ فيُنْشِدُك سفَهًا فتسمعه! فقال: تاللهِ ما سمعتُ سفهًا، فقال ابنُ الأزرق: أمَا أنشدكَ:

رأتْ رجُلا أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فَيَخْزَى وأمَّا بالعَشىّ فَيخْسَرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشىِّ فَيَخصَرُ» قال: أوَ تحْفَظَ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتُها إلا ساعتى هذهِ، ولو شئتُ أن أرُدَّها لَرَدَدْتُها، قال: فارْدُدْهَا، فأنشَدَهُ إيَّاها كلَّها[1].

* * *

ورَوَى الزُّبَيْريُّونَ أنَّ نافعا قال له: ما رأيتُ أرْوَى منك قَطُّ. فقال له ابنُ عباس: ما رأيتُ أرْوَى من عُمَر، ولا أعْلَمَ من علىٍّ.

وقوله: «فيَضْحَى» يقولُ: يَظْهَرُ للشمسِ، ويخْصَر، يقولُ: فى البَرْدَين[2]، فاذا ذكر العشىَّ فقد دلَّ على عَقيب العشىِّ، قال الله تَبارك وتعالى: ﴿**وأنَّكَ لا تظْمأُ فيها ولا تَضْحَى**﴾[3]، والضِّحُّ: الشمسُ، وليس مِنْ: «ضَحِيَتْ»، يقالُ: «جاء فلانٌ بالضحّ والرِّيح» يُرادُ به الكثرة، قال عَلْقَمة:

أَغَرُّ أبرَزه لِلضِّحِّ رَاقِبُه ... مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَان مَفْغُومُ

له فَغْمةٌ، أى رائحةٌ طيبةٌ، يعنى إبريقًا فيه شرابٌ. وفى الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ لـمَّا توجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَة، وكانت له امرأتان، وقد أَعَدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيبِ ثمَر بستانه، ومَهَّدَتْ له فى ظلٍّ، فقال: أظلٌّ ممدود، وثمرةٌ طيبةٌ، وماءٌ باردٌ، وامرأةٌ حسناءُ، ورسولُ الله فى الضِّحِّ والرِّيحِ! ما هذا بخير! فركب ناقتَه ومضَى فى أثره، وقد قيلَ لرسول الله ﷺ فى نَفَر تخلّفوا، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم، فجعل لا يُذكرُ له أحدٌ منهم إلا قال: دَعُوهُ فإن يُرد اللهُ به خيرًا يُلْحقْهُ بكم، فقيل ذاتَ يوم: يارسول الله، نرَى رجلا يَرْفَعُهُ الآلُ، فقال رسول الله ﷺ: «كنْ أبا خيثمةَ»، فكانه.

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) البردان: الغداة والعشى.

(٣) سورة طه ١١٩.

وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو «الضُّحَى» مقصورٌ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلكَ فذلك «الضَحاءُ»، ممدود مفتوحُ الأولِ.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواةُ أن الحجَّاجَ أُتِىَ بامرأةٍ من الخوارج، وبحضرته يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولاه، وكان يَستَسِرُّ برأى الخوارجِ، فكلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه، فقال لها يزيدُ بن أبى مسلمٍ: الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ! فقالت: بل الويلُ واللهِ لك يافاسقُ الرَّدِّىُّ.

والرِّدِّىُّ عندَ الخوارج: هو الذى يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتمُه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتِىَ برجلٍ منهم فَبحَثَهُ فرأى منه ما شاءَ فهمًا ثم بحثَه، فرأى ما شاء إرْبًا ودَهْيًا[1]، فرَغِبَ فيه. فاستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مُستَبْصِرًا مُحَقِّقًا، فزاده فى الاستدعاء فقال له: لتُغْنكَ الأُولى عن الثانيةِ، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمَعْ أقُلْ، قال له: قُلْ. فجعل يَبْسُطُ له من قولِ الخوارجِ ويُزَيّن له مذهبَهم بلسان طَلَقٍ وألفاظ بَيِّنَة ومعان قَريبة، فقال عبدُ الملك بعدَ ذلك على معرفته: لقد كادَ يُوقَعُ فى خاطرى أن الجنة خُلقَتْ لهم، وأنَّا[3] أوْلَى بالجهاد منهم. ثم رَجَعْتُ إلى ما ثَبَّت الله علىَّ من الحجة وقَرَّر فى قلبى من الحق. فقلتُ له: لله الآخرة والدنيا، وقد سَلَّطنا[4] الله فى الدنيا، ومكَّنَ لَنا فيها، وأراكَ لَسْتَ تجيب بالقبول[5]، واللهِ لأقْتلَنَّك إن لم تطعْ.

فأنا فى ذلك إذْ دُخِلَ علىَّ بابْنِى مروانَ .

قال أبو العباس : كان مروان أخَا يزيدَ لأمِّه، أُمُّهُمَا عاتكة بنت يَزيدَ بن معاويةَ، وكان أبيًّا عَزيزَ النَّفس، فَدُخِلَ به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيًا لضرب المؤدِّب إياهُ، فشَق ذلك على عبد الملك، فأقبلَ الخارجىُّ، فقال له: دَعْهُ يبكى[6]؛ فإنه أرَحبُ لِشِدقِه، وأصَحُّ لدماغه، وأذْهَبُ لِصَوْتِه، وأحْرَى ألا تأبَى

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى ، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلا مجربا.
(٢) كذا فى الأصل، س ، وفى ر : «واستدعاء».
(٣) ر : « وأبى » .
(٤) ر : « سلطنى » .
(٥) ر : « بالقول » .
(٦) ر : « يبك » وكلاهما جائز .

عليه عينُه إذا حضرتُه طاعةُ الله[1]، فاستْدعَى عبرَتهَا، فأعْجَب ذلك من قوله عبدَ الملك، فقال متعجبًا: أما يَشغَلُكَ مـا أنت فيه وبعَرَضه عن هذا! فقال ما ينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحقِّ شىءٌ، فأمر عبد الملك بحبسه، وصَفَحَ عن قتله، وَقال بعدُ يعتذرُ إليه: لولا أن تُفْسِد بألفاظك أكثر رعيتى ما حَبَسْتُك.

ثم قال عـبدُ الملك: من شكَّكنى وَوَهَّمَنى حتى مالـتْ بى عصمة الله فـغيرُ بعيدٍ أن يَستَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى. وكان عبد الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتَزْعُم الرواةُ أنَّ رجـلا من أهل الكتاب وفدَ عـلى معاويةَ، وكـا موصـوفًا بقراءة الكُتب. فقال له معاويةُ: أتجدُ نعْتى فى شىء من كتب الله؟ قال: إى والله، لو كنتَ فى أُمَّة لوضعتُ يَدى عليكَ من بينهم. قـال: فكيفَ تجدنى؟ قال: أجدُكَ أولَ مَنْ يَحوِّلُ الخلافـةَ مُلْكًا، والخُشْنَةَ لينًا، ثم إن ربَّك من بعدها لغـفورٌ رحيمٌ، قـال معـاوية: فَـسُرِّى عنى، ثم قـال: لا تَقْـبَلْ هذا منِّى، ولكن من نفـسك، فاجْتَبِ[2] هذا الخـبرَ. قـال: ثم يكونُ مـاذا؟ قـال: ثم يَكونُ منك رجلٌ شَـرَّابٌ للخمرِ، سفَّاكٌ للدماء، يَحتَجن الأموال[3]، ويَصْطَنِعُ الرجالَ، ويَجْنُبُ[4] الخيولَ، ويُبيحُ حُرْمَةَ الرسول[4]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكونُ فتنة[6] تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضَى الأمـرُ بها إلَى رجلٍ[7] أعرفُ نعـتُه، يبـيع الآخرةَ الدائمَة بحـظٍّ من الدنيا مخْسُـوسٍ، فيجتمع عليه من آلك وليـس منك، لا يزالُ لعَدُوِّه قاهرًا، وعلى مَنْ ناوأه[8] ظاهرًا، ويكون له قَرينٌ[9] مبير[10] لَعين. قال: أفتعـرفه إن رأيته؟ قال:

---

(١) ر: « طاعة ربه ».

(٢) ر: فاختبر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أى جمعته.

(٣) احتجن الشىء أخذه وحبسه.

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.

(٥) قال المرصفى: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن مـعه من فتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد مـوت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فـرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بنى أمية.

(٧) قال المرصفى: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما».

(٨) ناوأه: عاداه. (٩) يريد به الحجاج بن يوسف، قاله المرصفى.

(١٠) مبير: مهلك، وفى س: « مبين ».

شَدما، فأراه من بالشامِ من بنى أُمية، فقال: ما أراه هاهنا، فوَجَّه به إلى المدينة مع ثقات من رُسُله، فإذا عبدُ الملك بن مروان يَسعَى مُؤتزرًا فى يده طائرٌ، فقال للرُّسلِ: هاهوذا! ثم صاح به: إلىَّ أبو من؟ قال: أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد، إنْ بَشَّرْتكَ ببِشَارَة تَسرُّك ما تَجعَلُ لى؟ قال: وما مقدارُها من السرور حتى نَعْلَمَ مقدَارها من الجُعلِ؟ قال: أنْ تَمْلكَ الأرضَ، قال: ما لى من مَال، ولكن أرأيت[1] إن تكَلَّفْتُ لك جُعْلا، أَأَنَالُ ذلك قبلَ وقته؟ قال: لا، قال: فإن حَرَمْتُكَ، اتُؤَخِّرُه عن وقته؟ قال: لا، قال: فحسْبُك ما سمعتَ.

فذكروا أنَّ معاوية كان يُكْرِمُ عبد الملك ليجعلها يَدًا عندَه يُجَازِيه بها فى مخلَّفته[2] فى وقته.

وكان عبد الملك من أكثر الناس علمًا، وأبرَعهم أدبًا، وأحسنهم فى شَبيبَته ديانة، فقَتَلَ عمْرَو بن سعيد، وتَسمَّى بالخلافة، فَسُلِّمَ عليه بها أوَّل تَسليمةٍ، والْمُصْحَفُ فى حِجْرِه، فأطبقَه وقال: ﴿هذا فَراقُ بيْنى وبَيْنك﴾.

[صديق عبد الملك بن مروان]

قال أبو العباس: وحدثنى ابنُ عائشَ عن حَمَّادِ بن سَلَمة فى إسناد ذكره: أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ، وكان من أهل الكتاب، يقال له يوسفُ، فأَسْلمَ، فقال له عبد الملك يومًا، وهو فى عُنْفوَان نسكه، وقد مضت جيوشُ يزيد بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّى، من مُرَّة غَطَفَانَ، تريدُ المدينة - ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لِحَرَمِ رسول الله ﷺ؟ فقال له يوسفُ: جيشُكَ والله إلى حَرَمِ رسول الله أعظمُ من جيشه. فَنَفَضَ عبد الملك ثوبَه ثم قال: مَعَاذَ الله! قال له يوسفُ: ما قلتُ شاكًّا ولا مُرْتَابًا، وإنى لأَجدُكَ بجميع أوصافك، قال له عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: ثمَّ يَتَدَاوَلها رَهطُك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تَخرج الراياتُ السُّود من خُراسانَ.

[حديث ابن جعدبة للمنصور]

قال: وَحُدِّثْت عن ابن جُعْدُبة، قال: كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمد بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن، قال: فَغَمَّه

(١) ر: « أرأيتك ».

ذلك، حتى امتنع من الغَدَاء فى وقته، وطال عليه فِكْرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حديثًا، : كُنْتُ مع مروانَ بن محمد وقد قَصَدَه عبد الله بن عليٍّ، [قال][1]: فإنّا لكذلك إذ نظَرَ إلى الأعلامِ السُّودِ من بعْد، فقال: ما هذه البُخْتُ المجَلَّلَة[2]؟ قلت: هذه أعلامُ القوم. قال: فَمَنْ تحتَها؟ قلتُ: عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس، قال: وأَيُّهُمْ عبد الله؟ قلت[3]: الفتى المعْرُوقُ[4] الطويلُ، الخفيفُ العارِضَيْنِ، الذى رأيتَه فى وَليمةِ كذا يأكلُ فيُجِدُ، فسألْتَنى عنه فنسَبْتُهُ لكَ، فقلت: إنَّ هذا الفَتى لَتِلقَّامَة[5]، قال: قد عرفْتُه؛ والله لوَدِدْتُ أَنَّ عليَّ بن أبى طالبٍ مكانَه، قال: فقال لى المنصورُ: آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ؟ قلت: واللهِ لقد سمعتُهُ منه. قال: يا غلامُ، هاتِ الغَدَاء.

[قتال أهل النخيلة]

قال أبو العباس: وكان أهل النُّخَيْلَة جَماعةٌ بعدَ أهل النَّهْرَوَان، ممن فارق عبد الله بن وَهْبٍ، وممن لَجأَ إلى راية أبى أيوبَ، وممن كان أقامَ بالكوفة، فقال: لا أُقاتلُ عليًّا، ولا أقاتلُ معه. فتَوَاصَوْا فيما بينَهم وتعاضدُوا، وتأَسَّفُوا علي خذْلاتهمْ أصحابَهُمْ. فقام منهم قائمٌ يقال له المسْتَوْرِدُ، من بنى سعد بن زيد مَنَاة، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمد، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تَخْفِقُ راياتُه. معلِيًا مقالتَه. مبلِّغًا عن ربِّه، ناصحًا لأُمَّته، حتى قبضَه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثم قام الصِّدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيِّه، وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دين ربِّه، وَذكَرَ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ بالزكاة، (6فَرأَى تعطيل إحداهما طعنًا6) على الأخرى، لا بل على جميع منازلِ الدين ثم قبَضه الله إليه موفورًا، ثم قام بعده[7] الفاروقُ، فَفَرَّقَ بين الحقِّ والباطلِ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه، لا مُؤْثِرًا لأقاربه،

---

(١) تكملة من س.

(٢) البخت: جمع بختى؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق. والمجللة: المغطاة بما يزينها.

(٣) ر: «فقلت». (٤) المعروق: القليل اللحم.

(٥) التلقامة: الكثير الأكل.

(٦-٦) ر: «فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى». وما أثبته عن الأصل. س.

(٧) ساقطة من ر.

ولا مُحكِّمًا فى دين ربّه. وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ، والله يقول: ﴿**وَفَضَّلَ الله المُجَاهدينَ عَلَى القَاعدينَ أَجْرًا عَظيمًا**﴾[1]، فكلٌّ أجاب وبَايَعَ.

فوَجَّهَ إليهم علىُّ بن أبى طالب عبدَ الله بن العباسِ داعيًا، فأبْوا فسارَ إليهم، فقال له عَفيفُ بن قَيْسٍ: يا أميرَ المؤمنين، لا تَخْرُجْ فى هذه الساعة؛ فإنها ساعة نَحْسٍ لعدوّك عليك؛ فقال له علىٌّ: توكلتُ على الله وحده، وعَصَيْتُ رأْىَ كلِّ مُتكَهِّن. أنتَ تزعم أنك تعرف وقتَ الظَّفَرِ من وقت الخذْلان، ﴿**إنّي توكلت عَلَى الله ربّى وربّكُمْ مَا مِنْ دَابَّة إلا هُوَ آخذٌ بنَاصيتها إن رَبِّى عَلَى صراط مُسْتَقيم**﴾[2]، ثم سار إليهم فطَحَنَهم جميعًا، لم يُفْلَت منهم إلا خَمْسَةٌ، منهم المسْتَوْردُ، وابنُ جُوَينٍ الطائىُّ، وفَرْوَةُ بن شَرِيك الأشْجعىُّ، وهُمُ الذين ذكَرهُمُ الحسنُ البَصرىُّ، فقال: دعاهُمْ إلى دينِ الله فجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستَغْشَوْا ثيابَهم وأصَرُّوا واستكبرُوا استكبارًا، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطَحنَهم طَحْنًا.

* * *

وفيهم يقول عِمْرَانُ بن حطَّانَ:

إنى أُدِينُ بما دانَ الشُّرَاةُ به ... يومَ النُّخَيْلةِ عندَ الجَوْسَقِ الخربِ[3]

وقال الحِمْيَرىُّ يعارضُ هذا المذهبَ:

إنى أَدينُ بما دانَ الوصىُّ به ... يوم النُّخَيْلَةِ من قَتْلِ المُحلينَا
وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِدنْتُ به ... وشاركت كَفَّهُ كفِّى بصِفِّينَا
تلك الدّماءُ مَعًا يا ربِّ فى عُنُقِى ... ومِثْلَها فاسْقِنى آمين آمينَا

[مناظرة أهل النخيلة لابن عباس]

وكان أصحابُ النُّخَيْلة قالوا لابن عباسٍ: إن كان[4] علىٌّ عَلى حَقٍّ لم يَشْكُكْ فيه. وَحكَّمَ مُضْطَرًّا! فما بَالُهُ حيث ظَفَرَ لم يَسْبِ! فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم، فأمَّا قولكم فى السِّبَاءِ، أفكُنْتُم سَابِينَ أُمَّكُم

(١) سورة النساء ٩٥. (٢) سورة هود ٥٦.

(٣) الجوسق الخرب: بظاهر الكوفة عند النخيلة، والبيت فى معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى قيس بن الأصم الضبّى.

(٤) ر: «إذ كان».

عائشةَ! فوضعوا أصابعَهُمْ فى آذانهم، وقالوا: أَمْسك عَنَّا غَرْبَ لسَانكَ يا بن عباسٍ! فإنه طُلَقٌ ذُلَقٌ، غَوّاصٌ على موضعِ الحجَّة. ثمَّ خَرَجَ المسْتَوْرِدُ بعدَ ذلك بمُدّةٍ على المغيرَة بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، فوَجَّهَ إليه مَعْقلَ بن قَيْس الرِّياحىَّ، فدعاه المستوردُ إلى المبارزة، وقال له: عَلاَمَ يُقتَلُ الناس بينى وبينكَ؟ فقال له مَعْقلٌ: النَّصَفَ سألت. فأَقْسَم عليه أصحابُه. فقال: ما كنتُ لآبى عليه، فخرج إليه فاختلفَا ضَرْبَتَيْن، فخرَّ كلٌّ واحدٍ منهما ميّتًا.

[المستورد التيمى]

وكا المسْتَوْرِدُ كثير الصلاةِ شديد الاجتهادِ، وله آدابٌ يُوصِى بها، وهى محفوظةٌ عنه.

كان يقول: إذا أَفْضَيْتُ بسِّرى إلى صَديقى فأفشاه لم أَلُمْهُ، لأنى كنتُ أَوْلى بحفظه.

وكان يقولُ: لا تُفْش إلى أَحدٍ سِراًّ، وإن كان مُخْلصًا، إلا على جهة المشاورة.

وكان يقولُ: كُنْ أَحْرَصَ على حفظ سرِّ صاحبك منك على حَقْنِ دمك.

وكان يقول: أوَّلُ ما يَدُلُّ عليه عائبُ الناس مَعْرفتُهُ بالعيُوب، ولا يَعيب إلا مَعيب.

وكان يقول: المالُ غيرُ بَاقٍ عليك فاشْتَرِ من الحَمْد مَا يَبْقى عليك.

وكان يقول: بَذْلُ المال فى حَقّه استدعاءٌ للمَزيد من الجَواد.

وكان يكْثِر أن يقولَ: لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذافيرها، ثم دُعيتُ إلى أن أَسْتَفِيدَ بها خَطِيئةً ما فعلتُ.

[الخوارج ومعاوية]

قال: وخَرَجت الخوارجُ، واتَّصلَ خُرُوجُها، وإنما نَذْكر منهم مَن كان ذا خبر طرِيفٍ، واتَّصلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعار.

فأَوَّلُ مَنْ خرَج بعد قتل على بن أبى طالب عليه السلام حَوْثَرَةُ الأسَدىُّ. فإنه كان مُتنحيًا بالْبَنْدَنِيجَيْن[1]، فكتب إلى حابسٍ الطائىِّ يسأله أن يَتَوَلَّى أَمرَ

(١) البندنيجين . بلفظ المثنى : بلد فى طرف النهروان من أعمال بغداد .

الخوارج حتى يسير إليه بجمْعه، فَيَتعَاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرَجعَا إلى موضـع أصحـاب النُّخَـيْلة، ومعاوية بالكوفة حيثُ دَخـلها مع الحسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، بعدَ أنْ بايَـعَه الحسنُ والحسينُ عليهمـا السلام وقَيْسُ ابن سَعْد بن عُبَادة.

ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ، فوَجَّه إليه مـعاويةُ وقد تَجَاوَزَ فى طريقه يسأله أن يكون المتَـوَلِّىَ لمحاربتـهم، فقـال الحسنُ: والله لقـد كَفَـفْتُ عنك لحقـنِ دماء المسلمينَ، ولا أَحْسبُ ذلك يَـسَعُنى، أَفأُقَـاتلُ عنك قومًا أنتَ والله أَوْلى بالقـتال منهم! فلمَّا رَجَعَ الجَوابُ إليه وجَّه إليهم جيشاً(١ أكثُره أهل الكوفة١). ثم قال لأبيه أبى حَوْثَرَةَ: قم فـاكفنى(٢) أَمْرَ ابـنكَ فصار إلـيه أبوه فدعـاه إلى الرجوع، فـأَبى فأَدارَه، فَصَمَّـمَ، فقـال له: يا بُنَىَّ أَجيُـئك بابْنـكَ فلعلك تراه فَتحنُّ إليه؟ فقال: يا أبت، أنَا والله إلى طَعْنَة نافـذة أَتَقلَّبُ فيهـا على كُعوب الـرُّمح أَشْوَق منِّى إلى ابنى! فَرجَع إلى معاويةَ فأَخْبَرَه الخَبر(٣)، فقال: يا أبا حَوْثَرَة، عتَا(٤) هذا جداً!

فلما نَظَرَ حَوْثَرة إلى أهلِ الكوفـة قال: يا أعداءَ الله، أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لتَهُدُّوا سلطانَه، واليومَ تقاتلون مع معاوية لتشُدُّوا سَلطانه!

فخرج إليـه أبوه فدعاه إلى البرَاز، فقال: يا أبت، لك فى غـيرى مَنْدوحةٌ، ولى فى غيرك عنك مَذْهَبٌ، ثم حَمَلَ على القوم وهو يقولُ:

أُكـرُرْ على هذِى الجـموعِ حَـوْثَرَهْ ... فـعَن قليلٍ مَـا تُنَالُ المَـغْـفِـرَهْ

فَحَمَل عليه رجلٌ من طَيِّئ(٥) فقتلَه، فرأى أَثَر السجود قد لوَّحَ جبهتَه، فندِمَ على قتله، ثم انهزم القومُ جميعًا.

* * *

وأنا أحسبُ أَنَّ قولَ القائل:

وَأَجْـرَأُ مَـنْ رأَيْتُ بظَهْـرِ غَـيْبٍ ... على عَـيْبِ الرجـالِ ذوُو العُيُـوبِ

(١-١) ر: جيشا أكثرهم من أهل الكوفة.
(٢) ر: «اكفنى أمر ابنك».
(٣) ساقطة من ر. (٤) عتا: استكبر.
(٥) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش.

إنما أخذه من كلام المستوردِ، قال رجلٌ للمستورد: أُريدُ أن أَرَى رجلا عَيَّابًا، قال: الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه.

***

وقال العباسُ بن الأحْنَف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سرِّه:

تَعَتَّبْتَ تَطلُبُ ما أسْتَحِقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدرُ
وماذا يضيرُكَ من شُهْرَتى[1] ... إذا كان سرُّك لا يُشْهَرُ
أَمِنِّى تَخَافُ انتشارَ الحديث ... وحَظِّىَ فى سَتْرِه أَوْفَرُ
ولو لم تكُن فِىَّ بُقْيَا عليك ... نَظَرْتُ لنَفْسِى كما تَنْظُرُ

[من أخبار مقتل الإمام على، ووصيته لأبنائه]

ويُرْوَى عن حديث محمد بن كعب القرظى قال: قال عَمَّارُ بن ياسر: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العُشَيْرَة فلما قَفلْنَا نزلنا مَنْزِلا، فخرجتُ أنا وعلىٌّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه نَنْظُر إلى قومٍ يَعْتَمِلُونَ، فَنَعَسْنَا فَنِمْنَا، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُّرَابَ، فما نَبَّهَنا إلا كلامُ رسول الله ﷺ، فقال لعلىٍّ: «يا أبا تَراب - لما عليه من التراب - أتعلَمُ مَنْ أَشْقَى الناسِ؟» فقال: خَبِّرْنى يا رسول الله؟ فقال: «أَشْقَى الناسِ اثنان: أحْمَرُ ثَمُودَ الذى عَقَرَ الناقةَ، وأشقاها الذى يَخْضِبُ هذه» - ووَضَعَ يدَه على لحيته - «مِنْ هذا»، ووضع يدَه على قَرْنِه.

***

ويُرْوَى عن عِياضِ بن خَلِيفَةَ الخزاعى قال: تَلَقَّانى علىٌّ صلواتُ الله فى الغلَسِ، فقال لى: مَنْ أَنْتَ؟ قلتُ: عياضُ بن خليفةَ الخزاعىُّ، فقال: ظننتك أشقاها الذى يَخْضِبُ هذه مِن هذا - ووَضَعَ يده على لحيتِهِ وعلى قَرْنِهِ.

***

ويُرْوَى: أنه كان يقول كثيراً - قال أبو العباسِ: أحسِبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه -: ما يَمْنَعُ أشقاها أنْ يُخَضِّبَ هذه مِن هذا!

***

(١) ر: «يضرك» بتشديد الراء.

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقيف أنه خَرَجَ الناسُ يَعْلفونَ دوابَّهم بالمدائن وأرادَ عليٌّ أمير المؤمنين المسيرَ إلى الشامِ، فَوجَّه معْقلَ بن قيس الرِّياحيّ ليُرْجعَهُمْ إليه - وكان ابنُ عَمٍّ لى فى آخر من خَرَجَ - فأتيتُ الحسن بن علىٍّ عليه السلام ذاتَ عَشيَّة، فسألْتُه أن يأخُذَ لى كتابَ أمير المؤمنين إلى مَعْقلِ بن قَيْسٍ فى التَّرْفيه[1] عن ابن عَمِّى، فإنه فى آخرِ مَنْ خَرجَ، فقال: تَغدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى. فبتُّ ليلتى ثم أصبحتُ الناسُ يقولون: قُتلَ أميرُ لمؤمنين الليلةَ. فأتيتُ الحسنَ، وإذا به فى دار علىٍّ عليه السلام، فقال: لولا ما حَدَثَ لَقضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثم قال: حدّثنى أَبى عليه السلام البارحةَ فى هذا المسجد فقال: يا بُنَىَّ إنى صَلَّيتُ مَا رزَقَ الله. ثم نمتُ نومة، فرأيتُ رسول الله ﷺ، فَشكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابى وَقلَّة رغبتهم فى الجهاد، فقال: ادْعُ الله أن يُريحك منهم. فدعوتُ الله، قال الحَسَنُ: ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ.

* * *

وَحُدِّثْتُ من غير وَجْه أن علياً لـمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزله اعترته غَشْيَةٌ ثم أَفاقَ، فدعا الحسنَ والحسَيْنَ فقال: أوصيكُما بتَقْوَى الله والرَّغْبَة فى الآخرة، والزُّهْد فى الدنيا، ولا تأسَفَا على شيء فاتَكُما منها، اعْمَلا الخيرَ، وكونا للظالم خَصماً. وللمظلوم عوْنًا. ثم دَعا محمداً فقال: أما سمعتَ ما أوْصَيْت به أخَوَيْكَ؟ قال: بَلَى، قال: فإنى أوصيك به، وعليك ببِر أخَوَيْك وتوْقيرهما ومعرفة فَضْلهمَا، ولا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا، ثم أَقبلَ عليهما فقال: أوصيكما به خيرًا، فإنه شَقيقُكما وابنُ أبيكما، وأنتما تَعْلَمَان أنَّ أَباكُما كان يُحبُّهُ، فأَحبَّاه، فلمَّا قضَى علىٌّ كرم الله وجهه، قالتْ أُمُّ الْعُرْيَان:

وكنَّا قُبْلَ مَهْلَكه زمانًا ... نَرَى نَجْوَى رسول الله فينَا
قَتلْتُمْ خَيْرَ من رَكبَ المطايا ... وأَكرمَهُمْ وَمَنْ رَكبَ السَّفينَا
أَلا أَبْلغ مُعاوِيةَ بن حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامتينَا

* * *

(١) الترفيه : التنفيس .

ويُرْوَى أَنَّ عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ باتَ تلك الليلة عند الأشْعَث بن قَيْسٍ بن مَعْدى كَرِبَ، وأَنَّ حُجْرَ بن عَدىٍّ سـمعَ الأشعثَ يقولُ له: فَضَحَكَ الصُّبح، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أَميرُ المومنين، قال حُجْر بن عَدىٍّ للأشعث: أنت قتلتَه يا أعورُ!

ويُرْوَى أَنَّ الذى سمع ذاكَ أَخُو الأشعثِ، عَفِيفٌ بن قيسٍ، وأنه قال لأخيه: عَنْ أَمركَ كانَ هذا يا أعورُ!

* * *

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابُنا هذا[1] مفردًا لهم، ولكنَّا[2] نذكر من أمورهم ما فـيه معنًى وأدبٌ، أو شعرٌ مُـسْتَطْرَفٌ، أو كلامٌ من خُطبةٍ مـعروفةٍ مختارةٍ.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُـرَّةَ الأزْدىُّ ورَحَّافٌ الطائىُّ ـ وكانا مجتهـدَيْنِ بالبصرة فى أيام زيادٍ، واختلفَ الناسُ فى أُمـورهما : أيُّهمـا كان الرئيس ـ فاعتـرضًا الناسَ، فَلَقِيَا شيخًا ناسكا من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نزَارٍ، فقتلاهُ، وكان يقالُ له: رُؤْبَةُ الضَّبَعِىُّ ، وتَنَادَى الناسُ، فخرج رجلٌ من بَنى قُطَيعة من الأزد وفى يده السيفُ، فناداه الناسُ من ظُهـور البُيـوت: الحُروريَّةَ الحـروريَّةَ! انجُ بنفـسك. فَنَادَوْهُ: لسنا حَرُوريَّةً، نَحْنُ الشَرَّطُ، فـوقف فقَتلوهُ. وبَلَـغَ أبا بـلال خَبرُهُمَا، فـقال: قُرَيْبٌ، لا قَرَّبَهُ الله من الخـير، ورَحَّافٌ، لا عَـفَا الله عنه، ركبـاها عَشْواءَ مُـظْلِمَةً ـ يريد اعتراضـهما الناسَ ـ ثم جعَلا لا يَمُـرَّانِ بقبيلةٍ إلا قتلا مَنْ وَجَـدَا، حتى مَرَّا ببنى علىِّ بن سُودٍ من الأزْدِ، وكـان فيهم مـائةٌ يجيدُون الرمْىَ، فَـرَمَوْهُ رَمْيًـا شديدًا، فصاحوا: يا بنى علىٍّ! البُقْيا، لا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فقال رجلٌ من بنى علىٍّ:

لا شىء لِلْقَـوْمِ سِـوَى السِّـهـامِ مَـشْـحَـوذة فـى غَلَس الظّلامِ[3]

فَعَرَّدَ عنهم[4] الخوارجُ، وَخافُـوا الطَّلَبَ، فاشْتَقُّوا مقـبَرَة بنى يَشكرَ، حتى نَفذُوا إلى مُـزَيْنَةَ، ينتظرون من يَلْحَقُ بهم من مُـضَرَ وغيـرها، فجـاءهُم ثمانون،

(١) ساقطة من ر . (٢) « لكنا » .
(٣) شحذ السيف : إجلاؤه . (٤) عرد الرجل تعريدا ، إذا عدا فزعا .

وخرجت إليهم بنو طاحِيَةَ بن سُودِ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرها، فاستَقْتَلَ الخوارجُ فقتلوا عن آخرِهِم.

ثم غدَا الناسُ إلى زياد فقال: ألا يَنْهَى كلُّ قوم سُفهاءَهُمْ! يا معشرَ الأزد، لولا أنكم أطفأْتم هذه النارَ لقلتُ: إنَّكُمْ أَرَّثْتُموهَا. فكانت القبائل إذا أحَسَّتْ بخارِجيَّةٍ فيهم شدَّتهُمْ وَثَاقًا[1]، وأَتَتْ بهم زيادًا، فكان هذا أحَدَ ما يذْكَرُ من صحة تدبيره.

* * *

وله أُخْرَى فى الخوارج. أَخْرَجُوا معه امرأة، فَظَفَرَ بها فقتلها، ثم عَرَّاها. فلم تَخْرُجِ النساءُ بعْد علي زيادٍ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ: لولا التعرية لسارعْنَا.

[قتل مصعب لامرأة المختار]

ولَـمَّا قَتَلَ مصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ بنت النُّعْمَان بن بشيرِ الأنصارية، امرأة المختَار - وليس هذا من أخبار الخوارج - أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكار، ورَأَوْه قد أتى بقتل النساء أَمرًا عظيما، لأنَّه أتى ما نَهَى عنه رسول الله ﷺ فى سائر نساء المشركين. ولِلْخَوَاصِّ منهنّ أخبارٌ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ:

إنَّ منْ أَعْظَمِ الكبائر عندى ... قتلَ حَسْنَاءَ غادة عطْبُول[2]
قُتِلَتْ باطلا على غيرِ ذَنْب ... إن لله دَرَّهَا من قَتِيلِ!
كتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[3]

* * *

قال: وكان[4] الخوارجُ أيامَ ابن عَامر أخرجوا معهم امرَأتين، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ، والأخرى قطَام، فجعل أصحابُ ابن عامرٍ يَعيِّرونَهم ويصيحون بهم: يا أصحابَ كُحَيْلَة وقطامِ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفْعِ والرَّدْع، ويقولُ قائلهم: لا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ.

* * *

(١) ساقطة من ر.
(٢) العطبول: المرأة التامة الخلق.
(٣) المحصنات: العفيفات.
(٤) ر: «وكانت».

ويُروَى عن ابن عبّاس في هذه الآية: ﴿والَّذين لا يَشْهدُونَ الزُّور وإذا مَرُّوا باللَّغْوا مَرُّوا كرامًا﴾[١]، قال: أعيادُ المشركين، وقال ابن مسعود: الزُّورُ: الغِنَاءُ، فقيلَ لابن عباس: أوَ ما هذا في الشهادَة بالزُّور! فقال: لا، إنما آية شهادة الزُّور: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيْس لَكَ به علْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلُّ أُولئكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[٢].

[عبد الله بن زياد والخوارج]

عاد الحديث إلى أمرِ الخوارجِ.

وكانت[٣] من المجتهدات من الخوارج ـ ولو قُلت: من المجتهدين. وأنت تعْني امرأةً كان أفصحَ، لأنك تريدُ رجالات ونساءً هي إحداهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بكَلمَات ربِّهَا وكُتُبه وكَانَت منَ الْقَانتينَ﴾[٤] وقال جَلَّ ثناؤُه: ﴿إلا عَجُوزًا في الْغَابرينَ﴾[٥] ـ منهما البَلْجاءُ وهي امرَأةٌ من بني حَرامِ بن يَربوعِ ابن حَنْظلةَ بن مالك بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ، منَ رَهَط سجاحٍ، التي كانت تنَبَأَتْ وسنذكُر خبرها في موضعه إن شاء الله. وكان مِرْداس بن حُدَيْر أبو بلال، وهو أحدُ بني ربيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظمُه الخوارجُ، وكان مجتهدًا كثيرَ الصواب في لفظه، فلَقيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيُّ، فقال: يا أبا بلال! إنّي سَمعْتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زياد يذكر البلجاءَ، وأحْسبُها ستُؤخذ، فمضَى إليها أبو بلال، فقال لها: إنَّ الله قد وَسَّعَ على المؤمنين في التَقيَّة[٦] فاستَتري؛ فإنَّ هذا المسْرِفَ على نفسه، الجبارَ العنيد قد ذكرك، قالت: إن يأخذْني فهو شقَي بي، فأمَّا أنا فما أُحبُّ أن يُعَنَّتَ إنْسَانٌ بسببي.

فوَجَّه إليها عبيدُ الله بن زيادٍ، فأُتي بها فَقَطعَ يديها ورجْلَيْها، ورمَى بها في السُّوق، فمرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البَلجاءُ، فَعَرَّجَ إليها فَنَظَرَ، ثمَّ عَضَّ على لحيَته، وقال لنفسه: لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منكَ يامرداسُ.

* * *

(١) سورة الفرقان ٢٢ .
(٢) سورة الإسراء ٣٦ .
(٣) ر : « وكان » .
(٤) سورة التحريم ١٢ .
(٥) سورة الشعراء ١٧١ .
(٦) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه.

ثمَّ إنَّ عبيد الله تتبع الخوارجَ فحبسهم، وحبس مِرْدَاسًا، فَرأَى صاحبُ السجنِ شدَّة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له: إنى أَرى لك مذهبا حسنا، وَإنى لأُحِبُّ أنَ أُولِيَكَ معروفا؛ إنْ تركْتَكَ تَنْصرفُ ليلا إلى بيتكَ، أَتَدَّلِجُ[1] إلىَّ؟ قال: نعمَ. فكان يفعلُ ذلك به.

ولجَّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلهمْ، فكُلم فى بعض الخوارج فَلَجَّ وأبى، وقال: أَقْمَع النِّفاقُ قَبْلَ أن يَنْجُمَ[2]. لَكَلامُ هؤلاء أَسَرعُ إلى القلوبِ من النار إلى اليراعِ[3].

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشُّرَط، فقال ابنُ زياد: ما أدْرِى ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلا بقتل رجلٍ منهم فَتَكُوا بقاتله! لأَقْتُلَنَّ من فى حَبْسى منهم. فأخْرَجَ السجَّانُ مرداسًا إلى منزله كما كان يفَعلُ، وأَتَى مرداسًا الخبرُ، فلما كان السَّحَرُ تهيَّأ للرجوع، فقال له أهلُه: اتَّقِ الله فى نفسك، فإنك إن رَجَعْتَ قُتلْتَ. فقال: إنى ما كنْتُ لألْقَى الله غادرًا. فرجعَ إلى السَّجانِ فقال: إنى قد علمتُ ما عَزَم عليه صاحِبُكُ، فقال: أعلمتَ وَرَجَعْتَ!

[من أخبار مرداس أبى بلال]

ويُرْوَى أنَّ مرداسًا مَرَّ بأعرابىّ يَهْنَأُ[4] بعيرًا له، فَهَرَجَ[5] البعير، فسقط مِرْداسٌ مغشيًّا عليه، فظنَّ الأعرابىُّ أنه قد صُرِعَ، فقرأَ فى أُذُنه، فلمَّا أفاق قال له الأعرابىُّ: قرأتُ فى أذنكَ، فقال له مِرداس: ليس بى ما خِفْتَهُ علىَّ، ولكنِّى رأيتُ بعيرَك هَرِجَ من القَطِرَان، فذكرت به قطِرَان جهنم، فأَصابنى ما رأيتَ، فقال: لا جرَمَ والله لا فارَقْتكَ أبدًا!

***

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّين مع علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليه. وأنكر التَّحكيمَ، وشهد النَّهْر، ونَجا فيمن نجا، فلمَّا خرج من حبس ابن زيادٍ

(١) الإدلاج: السير من آخر الليل.

(٢) ينجم: يطلع.

(٣) اليراع: القصب الفارسى.

(٤) يهنأ بعيرا: يطليه بالهناء؛ وهو القطران.

(٥) هرج: تعب وتحير.

ورأى جدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامُهم، مُجَانِبين للعدل، مفارقين للفَصْلِ[1]، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ، وإن تجْريد السَّيف وإخافَة السبيل لعظيمٌ، ولكنَّا نَنْتَبِذُ عنهم، ولا نجرِّدُ سيفًا، ولا نقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا. فاجتَمع إليه أصحابه زُهاء ثلاثينَ رجلا، منهم حُرَيْثُ بن حَجَلٍ، وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثًا، فأبى، فولَّوا أمرَهم مِرْداسًا، فلمَّا مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاحٍ الأنصارىُّ ـ وكان له صديقا ـ فقال له: يا أخى[2]، أين تريد؟ قال: أريد أن أَهْرُبَ بدينى وأديانِ أصحابى من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَة. فقال له: أَعَلِمَ بكم أحدٌ؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تَخافُ على مكروهًا؟ قال: نعم، وأن يُؤْتى بك! قال: فلا تَخَفْ، فإنى لا أجَرِّدُ سيفًا، ولا أُخيفُ أحدًا، ولا أقاتلُ إلا مَن قاتلنى. ثم مَضَى حتى نزلَ آسكَ ـ وهو ما بين رامَهُرْمُزَ وأَرَّجانَ ـ فمَرَّ به مالٌ يُحْمَلُ لابن زياد، وقد قاربَ أصحابهُ الأربعينَ، فَحَطَّ ذلك المال، فأَخذَ منه عطَاءَهُ وأَعْطيَات أَصحابِه، وردَّ الباقىَ على الرُّسلِ، وقالَ: قولوا لصاحبكم: إنما قَبضْنَا أُعْطياتنا، فقال بعضُ أصحابه: فعَلامَ تَدَع الباقِىَ! فقال: إنهم يَقْسِمونَ هذا الفىءَ كما يُقِيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

* * *

ولأبى بلالٍ أشعار فى الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبَعْدَ ابن وَهْبٍ ذى النَّزَاهة والتُّقَى ... وَمَن خاضَ فى تلك الحروب المهَالكا[3]
أحبُّ بَقَاءً أوْ أرجِّى سلامة ... وقد قتلوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالكا
فيارَب سَلِّمْ نِيَّتى وبَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقَى حَتَّى ألاقِى أولئكا

قوله: «وقد قتَلُوا» ولم يذكر أحدًا، فإنما فعل ذلك لعلْمِ الناس أنه يَعْنى مُخالفيه، وإنما يَحْتاجُ الضميرُ إلى ذكْرٍ قبله ليُعْرَفَ، فلو قال رجلٌ: ضربتُه، لم يَجُزْ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكْره الهاءَ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قائلٌ[4]: هذا هو، لم يحتَجْ إلى تقدِمِ الذكرِ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ، وعلى هذا قال

(١) الفصل: قول الحق. (٢) لفظ: «يا أخى» من ر.
(٣) ابن وهب: هوعبد الله بن وهب الراسبى. (٤) ر: «قوم».

عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاحِ قصيدته:

هل مَا عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَبلُهَا إذ نَأَتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له.

وقوله: « حَتَّى ألاقى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ، فقد مضى شرحهُ مستقصًى.

* * *

ويُروى أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال: خرجنا فى جيش نُريدُ خُرَاسانَ، فمررنا بِآسك، فإذا نحن بهم ستةً وثلاثين رجلا، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ - وكنت أنا وأخى قد دخلنا - زَرْبًا -، فوقف أخى ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مِرْدَاس: وعليكم السلام، فقال لأخى: أجئتُم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خُراسانَ، قال: فأبَلْغوا مَن لَقيكُمْ أنا لم نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ فى الأرض، ولا لِنُرَوِّعَ أحدًا، ولكن هَرَبا من الظُّلم، ولسنا نقاتلُ إلامن يُقاتلنا، ولا نأخُذُ من الفىء إلا أعْطيَاتنا، ثم قال: أندبَ إلينا أحدٌ؟ قلنا: نعم، أسْلَم بن زُرْعَةَ الكلابىَّ، قال: فمتى تَرَوْنَه يَصِلِ إلينا؟ قلنا: يومَ كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ!

* * *

وَجَهزَ عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بن زُرْعةَ فى أسرع وقت ووجَّهه إليهم فى ألفين، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجلا، فلما صار إليهمْ أَسْلَمُ صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم؛ فإنَّا لا نريدُ قتالا، ولا نَحْتَجِن فَيْئًا. فما الذى تريدُ؟ قال: أريد أن أَرُدَّكُمْ إلى ابن زياد، قال مرداسٌ: إذن يَقْتُلنا، قال: وَإنْ قَتَلَكُمْ! قال: تَشْرَكهُ فى دمائنا، قال: إنِّى أَدينُ الله[1] بأنه مُحقٌّ وأنكم مبطلون، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ: أهو مُحقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ، وهو أحدُهم، ويَقتلُ بالظِّنَّة، وَيخصُّ بالفىءِ، ويَجُورُ فى الحكم! أما علمت أنه قَتلَ بابنِ سُعَادَ أربعة برآءَ، وأَنَا أَحَدُ قَتلته، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنه دراهمَ كانت معه! ثم حملوا عليه حَمْلَة رجلٍ واحد، فانهزم هو وأصحابُه من غير قتالٍ. وكان مَعْبَدٌ أحد الخوارجِ، قد كادَ

(١) ر: « أدين بأنه محق ».

يأخذه. فلما وَرَدَ على ابن زياد غضب عليه غضبًا شديدًا، وقال: وَيْلَكَ! أتَمْضى فى ألفين فتهزمُ لحملة أربعين! وكان أَسْلم يقولُ: لأَنْ يَذمَّنى ابن زيادٍ حيًّا أحبُّ إلىَّ من أن يَمْدَحَنى ميِّتًا!

وكان إذاخرج إلى السوق أو مرَّ بصبيانٍ صاحوا به: أبو بلال وراءَكَ! وربما صاحوا به: يا مَعْبدُ خذْهُ، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فأمرابنُ زياد الشُّرَطَ أن يكُفُّوا الناسَ عنه، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ؛ من بنى تَيْمِ اللاتِ بن ثعْلَبَةَ، فى كلمة له:

فلمَّا أصبحوا صلُّوا وقاموا ... إلى الجُرْد العتَاق مُسَوَّمينَا(١)

فلما استَجْمَعُوا حَملُوا عليهم ... فَظلَّ ذوُو الجَعَائِل يُقْتَلُونَا

بَقيَّةَ يومهم حتى أتاهم ... سَوادُ الليْلِ فيه يُرَاوغونا

يقولُ بَصيرهم لَمَّا أتاهُمْ ... بأَنْ القومَ وَلُّوا هاربينا

أألفا مؤمن فيما زَعَمْتُم ... ويَهْزِمُهُمْ بآسَكَ أَرْبَعُونا!

كذَبْتُمْ لَيسَ ذَاكَ كما زَعَمْتَمْ ... ولكنَّ الخوارج مؤْمنونا

هُمُ الفِئة القليلة غَيْرَ شَكٍّ ... على الفِئة الكثيرة يُنْصَرُونا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زياد الناسَ، فاختارَ عَبَّادَ بن أَخْضَرَ - وليس بابن أَخْضَرَ - هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المازنيُّ، وكان أَخْضَرُ زوج أمِّه، فَغَلَبَ عليه، فوجَّهه فى أربعة آلاف، فَنَهَدَ لهم. ويزعم أهلُ العلم أَنَّ القومَ قد كانوا تَنَحَّوْا عن دَرَابَجرْدِ من أرضِ فارسَ، فصار إليهم عَبَّادٌ، وكانَ التقاؤهم فى يوم جمعة، فناداه أبو بلال: اخرجْ إلى يا عَبَّادُ، فإنى أريد أن أحاورَكَ. فَخَرَجَ إليه، فقال: ما الذى تَبْغى؟ قال: أن آخذ بأقفائكم فأَرُدَّكُمْ إلى الأمير عُبيد الله بنَ زياد قال: أو غيرَ ذلك! قال: وما هُوَ؟ قال: أن ترْجعَ، فإنَّا لا نخيف سَبيلا، ولا نذْعَرُ مسلمًا، ولا نحارب إلا مَنْ حَارَبَنَا، ولا نَجْنى إلا ما حمينَا، فقال له عبَّادٌ: الأمْر ما قُلْتُ لك، فقال له حُرَيْثُ بن حَجْلٍ: أتحاولُ أن تُردَّ فئَةً من المسلمين إلى جَبَّار عَنيد! قال لهم: أنتم أوْلى بالضلال منه، وما من ذاك بُدٌّ!

* * *

---

(١) مسومين: معلمين بعلامات يعرفون بها فى الحرب.

وقدمَ الْقعْقَـاعَ بن عَطيَّةَ الباهليُّ من خراسانَ يريد الحجّ، فلمـا رأى الجمْيعن قال: مـا هذا؟ قالوا: الشُّرَاة، فَـحَمل عليـهم. ونشبت الحربُ، فـأخذَ القعـقاعُ أسيرًا، فـأتىَ به أبو بلال، فقال: ما أنتَ؟ قال: لـستُ من أعدائكَ، وإنما قدمتُ للحجِّ فَجَـهلْتُ وَغُررْتُ، فأَطْلَقُه ، فَـرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأَصلح من شَـأنه. ثم حَملَ عليهم ثانية ، وهو يقولُ :

أقَـــــاتلهُـمْ وليـس عليّ بَـعْثٌ	نَشَــــاطًا لـيس هذا بـالنشـــاط
أكُّـــر عَلَى الحُـــروريّين مُـهْـرى	لأحْـمـلَهُمْ على وَضَح الـصِّـرَاط

فَحَملَ عليه حُرَيثُ بنُ حَجَلٍ السَّدُوسيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقِ الصَّريميُّ، فأسَراهُ فَقَتَلاه ولم يأتيا أبا بلال، فلم يزل القـومُ يَجْتَلدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاة، صلاة يوم الجمعـة، فناداهُمْ أبو بلال: يا قومُ، هذا وَقتُ الصلاة، فوادعُـونا حتى نُصلِّيَ وَتُصلُّوا، قَـالوا: لك ذاك ، فرمي القـومُ أجمعـون أسلحتـهم وعَمـدوا للصلاة، فأسـرع عَبَّادٌ ومن معـه والحرورية مُبْطئـونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وسـاجد في الصلاة وقاعـدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومـن معه، فقتلوهُمْ جمـيعًا ، وأُتى برأس أبى بلالٍ.

* * *

وتَروى الشُّراة أن مرداسًا أبا بلال لـمَّا عقدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللَّهم إن كان ما نحن فيـه حقًّا فأرنا آية. قال[1]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَـرَوَى أهلُ العلم أن رجـلا من الخوارجِ ذكَـر ذلك لأبى العـاليـة الرِّياحيّ يُعَجِّبُـهُ من الآية ، ويرَغبه فى مذهب القـوم، فقال أبو العاليـة: كاد الخسفُ يَنْزِلُ بهم. ثم أدركتهم نَظْرَة الله.

فلما فَـرغ من أولئك الجماعة أقْـبلَ بهم فَصُلِبت رُءوسُهُمْ، وفـيهم داود بن شَبَثٍ. وكان ناسكا، وفيه حبيبةُ البَصْريُّ من قَيْسٍ ، وكان مجتهدًا.

* * *

---

(١) ساقطة من ر .

فيُرْوَى عن عِمْرانَ بن حطَّان أنه قال: قال لى حَبيبةُ: لما عزمتُ على الخروج فكَّرْتُ فى بناتى، فقلتُ ذاتَ ليلة: لأَمْسِكنَّ عن تفقُّدهن حتى أنْظُرَ، فلما كان فى جوف الليل استسقتْ بُنيّةٌ لى، فقالت: يا أبة اسقنى، فلم أُجبها، فأعادتْ، فقامت أُخَيَّةٌ لها أَسَنُّ منها، فَسَقتها، فعلمتُ أنَّ الله عزَّ وَجَلَّ غيرُ مُضَيّعِهنَّ، فأتْممْتُ عزمى.

* * *

وكان فى القوم كَهْمَسٌ، وكان من أبَرِّ الناسِ بأُمِّه، فقال لها: يا أمَّهْ! لولا مكانُك لخرجتُ، فقالت: يا بُنىّ، قد وهبتُكَ لله، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحبَطىُّ:

ألافى الله لافى النَّاسِ شالتْ ... بداود وإخْوته الجذُوع
مَضَوْا قَتْلا وتمزيقًا وصلْبا ... تحُومُ عليهمْ طَيرٌ وُقُوع
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ ... فَيُسْفُر عنهمُ وهُمُ رُكُوع
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا ... وأهلُ الأمن فى الدنيا هُجُوعُ

* * *

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ:

يا عَيْن بكِّى لِمرْداسٍ وَمَصْرَعِهِ ... يا رَبَّ مرداسٍ اجْعَلْنى كَمِرْداس
تركتنى هائما أبكى لِمرْزئتى ... فى منزلٍ مُوحِشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدكَ يا مِرْداسُ بالناسِ
إمَّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوَّلُها ... على القُرون فَذَاقُوا جرْعةَ الكاس
فكلُّ مَنْ لم يذُقها شاربٌ عَجِلا ... منها بأنفاس وِرْدٍ بَعْدَ أنفاس

[عباد بن أخضر المازنى]

قال أبو العباس: ثم إنَّ عَبَّاد بن أخْضَرَ المازنىّ لبثَ دهرًا فى المصْرِ، موصوفًا بما كان منه، فلم يَزلْ على ذلك حتى ائْتَمرَ به جماعةٌ من الخوارج أن يَفْتكُوا به، فَذَمَرَ بعضُهم بعضًا على ذلك[1]، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ، وقد أقبل على بغلةٍ

(١) ذمره: لامه.

له، وابنهُ رَديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألُك عن مسألة، قال: قل. قال: أرأيتَ رجلا قتَلَ رجلا بغير حقٍّ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألوَليِّ ذلك المقتول أن يَفْتُكَ به إنْ قدَرَ عليه؟ قال: بل يَرْفَعُه إلى السلطان، قال: إنَّ السلطانَ لا يُعْدى عليه لمكانه منه وعظم جاهه عنده. قال: أخافُ عليه إنْ فَتكَ به فَتَكَ به السلطانُ، قال: دَعْ ما تخافُه من ناحية السلطان، أتَلْحَقهُ تبعةٌ فيما بينَه وبيَن الله؟ قال: لا. قال: فَحكَّمَ هو وأصحابُه وخَبَطوه بأسيافهم. ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فَنَجَا، وتنادى الناسُ: قُتِلَ عبادٌ! فاجتَمعَ الناسُ فأخَذُوا أفواهَ الطُّرُق، وكان مَقْتَلُ عبَّاد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كُلَيْبٍ - فجاء مَعْبَد بن أخْضَرَ - أخو عبَّاد وهوَ معبدُ بن عَلْقمة، وأخضرُ زوجُ أمهما، فى جماعة من بنى مازن، فصاحُوا بالناس: دَعُونا وثأْرَنَا. فأحْجَمَ الناس وتقَدَّمَ المازنيُّون، فحاربوا الخَوارجَ حتى قتلوهم جميعًا، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلا عُبيدة بن هلالٍ. فإنه خَرَقَ خُصًّا ونَفذ منه. ففى ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدْركَ الأوْتَارَ غيرَ ذَميمة ... إذا ذُمَّ طُلابُ التْراث الأخَاضر
هُمُ جَرَّدُوا الأسْياف يومَ ابنِ أخْضَرَ ... فنالوا التى ما فَوْقَها نَالَ ثَائرُ
أَقَادُوا به أُسْدًا لها فى اقْتِحَامِها ... إذا بَرَزَتْ نحو الحروبِ بَصائرُ(1)

ثم ذَكر بنى كُلَيْبٍ، لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدهم ولم ينصروه، فقال فى كلمته هذه:

كفعل كُلَيْب إذْ أَخَلَّتْ بجارهَا ... ونَصْرُ اللئيم مُعْتمٌ وهو حَاضر(2)
ومَا لكُلَيْبِ حين تُذْكَر أوّلٌ ... ومَا لكلَيْب حين تُذكرُ آخِرُ

وقال معبد بن أخْضَر:

سأحْمِى دِماءَ الأخْضَرِيِّينَ إنه ... أبى النَّاسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخْضَرَا

[عروة بن أدية]

وكان مقتلُ عبَّاد وعبيدُ الله بن زياد بالكوفة، وخليفتُهُ على البصرة عُبَيدُ الله ابن أبى بكْرةَ. فكتبَ إليه يأمره ألا يَدَعَ أحدًا يُعْرَفُ بهذا الرأى إلا حَبَسه وجَدَّ فى

---

(1) أقادوا أسدا. قتلوهم به.

(2) يقال: اعتم الرجل فى الشىء؛ إذا أبطأ فيه.

طلبه. ممن تَغَيَّبَ منهم. فجعل عُبيد الله بن أبى بكْرَةَ يَتتبَّعهُمْ فيأخذُهم، فإذا شُفِعَ إليه فى أحد منهـم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زياد، حتى أُتِىَ بعُـرْوَةَ بن أُدَيَّةَ فأطلقه، وقال: أنا كَفِيلُك، فلما قَدِمَ عـبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ فى الحبس[1] منهم فقتلَهم جميعًا، وطلب الكُفلاء بمَن كَفَلوا به منـهم، فكلٌّ مَنْ جاءه بصاحبه أطلقه، وقتَلَ الخارجىَّ، ومن لم يأت بمَن كـفَلَ به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعُبـيْد الله بن أبى بكْرَةَ: هات عرْوَةَ بنَ أُدَّيَةَ، قال: لا أقْـدرُ عليه. قال: إذا والله أقْتُلُكَ فـإنك كفيلُه، فلم يَزَل يطْلُبُهُ حتـى دُلَّ عليه فى سَرَبِ[2] العلاء بن سُـوَيَّةَ المِنْقَرِىِّ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زِيادٍ، فقرأ عليه الكاتب: إنا أصَبْنَاهُ فى شَرْبٍ.

فَتَهـانَفَ به عُبيدُ الله بن زياد، وكان كـثير المحاورة، عاشقًـا للكلام الجيِّد، مستحـسنًا للصوابِ منه؛ لا يزال يبحثُ عن عُذَرِه، فإذا سَمِع الكلمـةَ الجَيِّدَةَ عَرَجَ عليهـا. ويُرْوَى أنه قال فى عَقِب مـقتل الحسين بن علىٍّ عليـه السلامُ لزينبَ بنت علىٍّ رحـمهمـا الله ـ وكانت أسنَّ مَنْ حُـمِلَ إليه منهنَّ، وقـد كلَّمتْـه فأفـصحتْ وأبلغتْ، وأخذتْ من الحـجّة حاجـتها ـ فـقال لها: إنْ تكونى بلغتِ من الحـجة حاجتَكِ فقد كان أبوكِ خطيبًا شاعرًا. فقالت: ما للنساءِ والشعر[3]! وكان مع هذا ألْكَنَ يَرْتَضِخُ[4] لغة فارسية. وقـال لرجلٍ مَرَّة واتهمَه برأى الخوارج: أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ!

رجع الحديث :

فـقال للكاتب : صَـحَّفتَ والله ولَـؤُمْتَ ، إنما هو « فى سَرَبِ العَـلاء بن سُوَيَّةَ ». ولَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشربُ النبيذَ.

فلمَّا أقيمَ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ بين يديه حاوَره. وقد اخْتُلف فى خبره[5]، وأصَحُّه عندنا أنه قـال له: لقد[6] جهَّـزْتَ أخاكَ علَىَّ. فـقال: والله لقـد كنت به ضنينًا. وكان لى عِزًّا، ولقـد أردت له ما أُرِيدُ[7] لنفسى، فعزم عَزْمًـا فمضَى عليه، وما

---

(١) ر : « السجن » .

(٢) السرب : الطريق والمسلك .

(٣) س : « وللشعر » .

(٤) يرتضخ : يميل إليها فى نطقه .

(٥) ر : « وقد اختلف الناس فى خبره » .

(٦) كلمة « لقد » ساقطة من ر .

(٧) ر : « ما أريده » .

أحبُّ لنفسي إلا المقامَ وتركَ الخروج، قال له: أفأنتَ على رأيه؟ قال: كنَّا[1] نعبدُ ربًّا واحدًا، قال: أمَا لأَمثِّلَنَّ بك! قال له: اخترْ لنفسك من القصاص ما شئتَ. فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف ترَى؟ قال: أفسدتَ عليَّ دنْياىَ وأفسدتُ عليكَ آخرتك، ثم أمر به فقتلَ، ثم صلب على باب داره، ثم دعَا مولاه فسأله عنه، فأجابه جوابًا قد[2] مضى ذكرُه.

* * *

قوله: «فتَهانَفَ». حقيقته تَضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءٍ. وقال ابنُ أبى رَبيعةَ المخزوميُّ:

لقد قالتْ لجارات لها	وتَعَرَّتْ ذات يوم تبْترد
أكَمَّا ينْعتُنى تُبْصرْننى	عَمْرَكُن اللهَ أم لا يَقْتَصدْ!
فتهانفْنَ وقد قُلْنَ لهَا	حَسَنٌ فىْ كلِّ عينٍ مَنْ تودّْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها	وقَديمًا كان فى الناسِ الحسَدْ

[أمر زياد مع الخوارج]

وكان عُبيد الله لا يُلبثُ الخوارج، يحبسهم تارةً ويقتُلهم تارةً، وأكثرُ ذلك يَقْتُلهم، ولا يتغافلُ عن أحد منهم، وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لمَّا وُلِّى بعدَه، فخرجوا عليه.

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلنَ ويَسْتَصْلحُ المُسرَّ، ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتى تزول التّهْمَة. ووَجَّهَ يوما بُجَيْنَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرَجِىَّ إلى رجل من بنى سعد يَرى رأْىَ الخوارج، فجاءه بُجَيْنَةُ فأخذه. فقال: إنى أريد أن أُحْدثَ وضوءًا للصلاة، فدَعْنى أدخلْ منزلى[3]. قال: ومَنْ لى بخروجك؟ قال: اللهُ عز وجل. فتركه. فدخل فأحدث وُضوءًا ثم خرج، فأتى به بُجَيْنَةُ زيادًا، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ، ثم صلّى على نبيه، ثم ذكرَ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ بخير، ثم قال: قعدت عنِّى فأنكرتُ ذلك، فذكرَ الرجلُ ربَّه فَحَمَدَه، ثم ذكَرَ النبىَّ عليه السلام، ثم ذكَرَ

(١) ر: «كلنا». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «أدخل إلى منزلى».

أبا بكرٍ وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولا فَصَدِّقْهُ بفعلك، وكان من قولك: ومَنْ قَعَد عنَّا لم نَهِجْهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوةٍ وحملان، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كلُّكم أستطيعُ أن أخبرَه، ولكنى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا لنفسه، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فرزقَ اللهُ منه ما ترَوْنَ.

* * *

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلا الرُّجْلَةَ(١). فيقولون: أجَل، فيحملهم، ويقول: اغشَوْنى الآن واسْمُرُوا عندى. فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل اللهُ زيادًا! جَمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ(٢)، وحاطُهم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة، وأصلَح العِراقَ بأهل العراق، وترَك أهلَ الشام بشأمِهم(٣)، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ.

* * *

قال أبو العباس: وبلغَ زيادًا عن رجل يُكْنى أبا الخير، من أهل البأس والنَّجْدةِ، أنه يرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدىْ سابور وما يَليها، ورزَقَه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهر، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيئًا خيرًا من لزوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظهُرِ الجماعة! فلم يزل واليًا حتى أنكر منه زيادٌ شيئًا. فتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه، فلم يَخرجه من حبسه حتى مات.

[الرهين المرادى وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ ـ وكان رجلا من مُرَاد، وكان لا يرَى القعودَ عن الحرب، وكان فى الدُّهاءِ والمعرفةِ والشعرِ والفقه بقول الخوارج، بمنزلة عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّة ورئيسَهم ومفتيَهُم.

---

(١) الرجلة : المشى على الرجلين .

(٢) الذرة : واحدة الذر ؛ وهو النمل الصغار.

(٣) ر : « فى شأمهم » .

وللرُّهَيْن المراديِّ ،ولعـمرانَ بن حِطَّانَ مـسائلُ كـثيـرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار، وفى السِّيَر والسُّنَن، وفى الغَريب، وفى[1] الشعر، نذكر طَريفَها إن شاء الله . قال المراديُّ :

يا نَفْس قدْ طال فى الدنيـا مُرَاوَغَتى ... لا تأمَنَنَّ لصَـرْف الدهَّر تنقيـصًا[2]

إنِّى لَبـــائعُ مـــا يَفْنَـى لبـاقــيـــة ... إن لَمْ يَعُقْنى رجاءُ العيشِ تَرْبيصًا[3]

وأســألُ الله بَيْعَ النفس مـحْـتَسِـبًـا ... حتى ألاقِىَ فى الفرْدَوْسِ حـرقوصًا

ـ [قال الأخْفَشُ : حرقوصٌ : ذو الثُّدَيَّة] .

وابن المَنِيـح ومِـرْداسًـا وإخْـــوَتَهُ ... إذ فارقوا زَهْرة الدنيا مَـخاميِصًا[4]

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم.

* * *

وكان زيادُ ولَّى شَيْبـانَ بن عبد الله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْبُـرَة بنى شيبان باب عثمانَ وما يليه، فجَـدَّ فى طلب الخوارج وأخافَهم، وكانوا قد[5] كَثُروا، فلم يَزَلْ كـذلك حتى أتاه ليلةً ـ و هو مـتكئٌ ببـاب داره ـ رجلان من الخـوارج، فضـرباه بأسيافهما فقتلاه، وخرَج بَنُون له للإغاثة فقُتلوا، ثم قَتَلهما الناسُ. فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجل من الخوارج. فـقال: اقـتلوهُ مُتَّكِئًا كـما قُتِل شـيبـانُ متكئًا. فـصاح الخارجىُّ: يا عَدْلاهُ! يَهْزَأْ به.

فأمَّا قولُ جريرٍ :

ومِنَّا فَتَـى الفِتْيَـانِ والبأسِ مـغْفِلٌ ... ومنَّا الذى لاقى بـدِجْلَةَ مَـعْـقِـلا

فإنه أراد مَـعْقِلَ بن قَيسٍ الرِّيَاحِى، ورِياحٌ بن يربـوعٍ، وجرير من كُلَيْبِ بن يربوعٍ.

وقولُه:

* ومنَّا الذى لاقى بِدِجلة مَعْقلا *

---

(١) ر : « والشعر » .

(٢) ر . س : « تنغيصا » .

(٣) التربيص : الانتظار .

(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .

(٥) ساقطة من ر .

يريدُ المستَوْرِدَ التَّيمِيَّ، وهو من بنى تَيْمِ[١] بن عبد مناةَ بن أدٍّ، وتميمٌ بنُ مُرة ابن أدٍّ.

وأمّا قولُ ابن الرُّقيات:

والذى نَغّصَ ابنَ دَوْمةَ ماتُو — حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباحَ العراقَ يَضْربُهم بالسَّيفِ — صَلْتاً وفى الضِّرابِ غلاءُ[٢]

فإنما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختار بنَ أبى عُبيدِ الثَّقفىَّ، والذى نَغّصَهُ مصعَب بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ. كان خارجيًّا، ثم صار زُبيْريًّا، ثم صار رافضيا فى ظاهره.

وقوله: «ما تُوحى الشَّياطينُ»، فإنَّ المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السِّجَاعة[٣] لأمورٍ تكونُ، ثم يحتالُ فيوقعُها، فيقولُ الناس: هذا من عند الله عزَّ وجَلَّ.

فمن ذلك قوله ذات يومٍ: لَتَنْزلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فَلَتُحْرقَنَّ دارَ أسماء. فَذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجةَ، فقال: أقد سَجَعَ بى أبو إسحاقَ! هو والله مُحْرِقٌ دارِى! فتركه والدار وهربَ من الكوفة.

وقال فى بعض سجعه: أمَا والذى شَرَعَ الأديان، وجَنَّبَ الأوثانَ، وكَرَّهَ العصْيان، لأقتلنَّ أزْدَ عُمانَ، وجُلّ قيسِ عَيْلانَ، وتميما أولياءَ الشيطان، حاشا النَّجيبَ ظَبْيَان! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول: لم أزَلْ فى عُمْرِ المختار أتقلَّبُ آمِناً.

[المختار بن أبى عبيد وبعض أخباره]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبيد - حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة - اتَّهمَه ابنُ الزبير، فولى رجلا من قريش الكوفة، فلما أطَلَّ قال لجماعة من أهلها: اخرُجُوا إلى هذا المغرور فُرُدُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تُريد؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختار، فرجع.

(١) ر: «من تميم».
(٢) الصلت: الماضى فى الشىء. والغلاء: مجاوزة القدر فى كل شىء.
(٣) السجاعة: صناعة السجع.

وكتب المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبَك جاءنا فلما قاربَنا رجع، فما أدْرى ما الذى ردَّهُ! فغضب ابن الزبير على القُرشىّ وعَجَّزهُ وردَّه إلى الكوفة، فلما شارفها قال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلامَ القرشىَّ، فلما كان فى الثالثة فَطِنَ ابنُ الزبير، وعَلِمَ بذلك المختارُ، وكان ابنُ الزبير قد حَبَسَ محمدَ بن الحنفية مع خمسةَ عشرَ رجلا من بنى هاشمٍ، فقال: لَتُبَايعُنَّ أو لأحرِقَنَّكم، فأبَوْا بيْعَتَه، وكان السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سجن عارمٍ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ:

تُخَبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن غارمِ

ومَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من منى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ

سَمِيُّ النبى المصطفى وابن عمه ... وفكَّاكُ أغلال وقاضى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقولُ ابن الرُّقَيَّات يَذْكُرْ مُصْعَباً:

بَلَدٌ تأمن الحمامةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعى المُحِل، لإحلاله القتالَ فى الحَرمِ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَة بنت الزبير:

ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنَّى غَزِلْ ... بِذِكْرِ المُحِلةِ أُخْتِ المْحِلْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغض لابن الحنفيّة إلى بُغْضِ أهله، وكان يَحْسُدُهُ على أيْده[1]، ويقال: إن علياً استطال درْعاً فقال: لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً، فقَبض محمدُ بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فَضلها، ثم جَذْبها فقَطعه من الموضع الذى حَدَّه أبوه، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ[2].

فلما رأى المختارُ أن ابنَ الزبير قد فَطِن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عُبيدٍ الثّقفىّ خليفة الوصى محمد بن علىٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماءَ. ثم

(١) الأيد: القوة. (٢) الأفكل: اسم للرعدة تعلو الإنسان.

ملأ الكتاب بسبِّه وسبِّ أبيه. وكان قَبْلَ ذلك فى وقت إظهاره طاعةَ ابن الزبير يَدُسُّ إلى الشّيعة، ويُعْلمهم مُوالاتَه إياهم، ويُخْبِرُهم أنه على رأيهم وحَمْد مذاهبهم، وأنه سيُظهِر ذلك عمَّا قليلٍ، ثم وَجَّهَ جماعة تسيرُ الليل وتكْمُنُ النهارَ، حتى كسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بنى هاشمٍ، ثم ساروا بهم إلى مأمَنِهِم.

وكان من عجائبِ المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشْتَر يسأله الخروجَ إلى الطَّلبِ بدم الحسين بن على رضى الله عنهما، فأبى عليه إبراهيمُ إلاَّ أن يستأذنَ محمدَ بن على بن أبى طالب، فكتب إليه يستأذنه(١ فى ذلك١)، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكَتب محمدٌ إلى إبراهيمَ بن الأشْتَرِ: إنه ما يَسوءُنى أن يأخُذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَىْ مَنْ شاء(٢) من خلقه. فخرج معه إبراهيمُ بن الأشترِ، فوجهه(٣) نحوَ عُبيد الله بن زياد. وخرج يُشَيِّعُه ماشياً، فقال له إبراهيمُ: اركبْ يا أبا إسحاقَ! فقال: إنى أحِبُّ أن تغبَرَّ قَدَمَاىَ فى نصرة آلِ محمد ﷺ.

فشيَّعه فرسخين، ودَفَعَ إلى قومٍ من خاصَّته حمَاماً بيضاً ضِخاماً، وقال: إن رأيتم الأمرَ لنا فَدَعُوها، وإن رأيتم الأمرَ علينا فأرسِلُوها، وقال للناس: إن استقمتم فَبَنَصرِ الله، وإن حصتُمْ حَيْصة(٤) فإنِّى أجِدُ فى محكمِ الكتاب، وفى اليقين والصواب، أنَّ اللهَ مُؤيِّدُكم بملائكةٍ غِضَابٍ، تأتى فى صورِ الحمَامِ دُوَيْنَ السحاب.

فلما صار ابنُ الأشتر بخَازَر(٥) وبها عُبَيْدُ الله بن زياد. قال: من صاحبُ الجيشِ؟ قيل له: ابنُ الأشترِ، قال: أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشىء، وعلى مَيْمنة ابن زياد، حُصَيْنُ(٦) بن نُمَيْر السكُونىُّ من كِنْدَةَ - ويقال السَّكُونىُّ السُّكُونىُّ، والسَّدُوسى والسُّدُوسىُّ، كذا كان أبو عبيدة يقول.

[قال أبو الحسن : السُّكُوبُّى أكثر](٧) ، وعلى ميسرته عُمير بن الحباب فارسُ الإسلام .

(١-١) ساقط من ر .

(٢) ر : « من يشاء » .

(٣) ر : « فتوجه » .

(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .

(٥) خازر : نهر بين إربل والموصل .

(٦) ر : « حضين » ، وما أثبته عن الأصل .

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَين بنُ نُمَيرٍ لابن زياد: إنَّ عُميرَ بن الحبَاب غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْج[1]. وإنى لا أثِقُ لك به. فقال ابنُ زياد: أنتَ لى عدوٌّ، قال حُصَيْنٌ: ستعلمُ.

قال ابنُ الحُبَاب: فلما كان الليلة التى يُريد أن نَواقِعَ ابنَ الأشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً، ومعى رجلٌ من قومى، فصرتُ إلى عسكره. فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ[2] ومُلاءَةٌ، وهو متوشح[3] السيف يَجُوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهى، فالْتزَمْتُه من ورائه، فوالله ما الْتفتَ إلىّ ولكن قال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: عُمير بن الحُبَابِ، فقال: مرحباً بأبى المُغلِّسِ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك، فقلت لصاحبى: أرأيتَ أشْجَعَ من هذا قط! يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوٍّ، ولا يدرى من هو؟ فلا يلتفتُ إليه! ثم عاد إلىَّ وهو فى أربعة آلاف، فقال: ما الخبرُ؟ قلت: القومُ كثيرٌ، والرأىُ أن تُناجزَهم، فإنه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نُصبحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَات السيوف وأطراف القَنَا، فقلت: أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُثِ الناس غداً.

فلما الْتَقَوا كانت على أصحاب إبراهيمَ فى أول النهار، فأرسلَ أصحابُ المختارِ الطير، فتصايحَ الناسُ: الملائكة! فتراجعوا، ونكَّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايَتَهُ، ونَادَى: يا لَثَأرَاتِ المَرْجِ! وانخزَل بالمَيْسَرَةِ كلِّها، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ، واقتتل الناسُ حتى اختلَطَ الظلامُ وأسرع القتلُ فى أصحاب عُبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أفنْوا، فقال ابنُ الأشْتَرِ: لقد ضربتُ رجلًا على شاطئ هذا النهرِ فرجع إلىَّ سيفى، فيه[4] رائحةُ المسك. ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأةً، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبَلَ المشرق، ورجلاه قِبَلَ المغرب، فانظُرُوا.

فأتوْه بالنِّيران، فإذا هو عُبيد الله بن زيادٍ.

* * *

وقد كان عند المختار كُرسىٌّ قديمُ العهد. فَغَشَّاهُ بالدِّيباج، وقال: هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . فضعوه فى

---

(١) قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها . قاله المرصفى .

(٢) هرویٌّ : منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان .

(٣) ر : «متشح» . (٤) ر : « ومنه » .

بَرَاكاء الحـربِ، وقاتلوا عليه، فـإنَّ مَحلَّه فيكـم مَحَلُّ السَّكينة فى بنـى إسرائيل. ويقال إنه اشترى ذلك الكرسىَّ من نجَّارٍ بدرهمين[1].

وقوله: « فى بَرَاكاءِ القتال » ويقـال: بَرَاكاءُ وبَرُوكاءُ، وهو موضعُ اصطِدَامِ القومِ، وقال الشاعرُ[2]:

ولـيـس بمُنْـفِـــذٍ لك مـنــه إلا ... بَـرَاكَــاءُ القـتَــالِ أو الـفِــرَارُ

وهذا باب[3] اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة

إذا استـغثـتَ بواحـدٍ أو بجـماعةٍ فـاللامُ مفتـوحـةٌ. تقول: يا لَلِّــرجالِ، ويالَلقوم، ولَزَيدٍ! إذا كانتَ تدعوهم.

وإنما فتحـتَها لتَفْصل بـين المَدْعُوِّ والمدعو له، ووجب أن تَفْتَـحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضَة إنما كـان الفتحَ، فكُسرَت مع المُظْهَرِ ليَفصلَ بينهـا وبين لامِ التوكيد، تقول: إنّ هذا لزَيْدٌ. إذا أردت: إنَّ هذا زَيْدٌ. وتقول: إنّ هذا لزيدٍ. إذا أردتَ أنه فى مِلْكِه. ولو فَتَحْتَ لالتَبَسا[4].

فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها، فقلتَ: إن هذا لَكَ. وإن هذا لأنْتَ، إذا أردتَ لام التوكيد ليس هاهنا لَبسٌ. وذاك أنَّ الأسماء المضمرةَ على غير لفظ المُظْهَـرةِ. فلهذا أجْرَيْتَهَا على الأرضِ، والاستغـاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجل اللَّبْسِ.

والمدعـوُّ له فى بابه. فـاللامُ مـعه مكـسورة. تقـولُ: يا لِلـرِّجَالِ للمـاء! ويالِلرِّجالِ للعَجَبِ ويا لِزَيد للخَطْبِ الجليلِ! قال الشاعرُ:

يا لِـلرجـالِ لِـيَـوْمِ الأربِـعـاء أمـا ... يَنْفَكّ يبـعث لى بعد الـنبّى طربَا[5]

(١) ر: «بدرهمين من بخار».

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* ولا ينجى من الغمرات إلا *

(٣) ر: « هذا ». (٤) ر: « لالتبستا ».

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى.

وقال آخر :

تكَـنَّفنـى الوشـاةُ فَـأزعــجـونى فيـــا لِلنّـاس للـوِاْشى المطاُع[1]

وفى الحديث لَمَّا طَعَنَ العلْجُ ـ أو العبدْ ـ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح: يالله يا لَلْمسلمين !

وتقولُ : يـا للْعَجَـب، إذا كنتَ تـدعو إليه، و «يا» لِغَـيْرِ العَجَـبِ، كأنكَ قلتَ: يا لَلنَّاس للعَجَب. ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يـا لَعْنَـة الله والأقــوامِ كـلِّهـم والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ[2]

فيَا لغير اللعنَة، كأنه قال: يا قوم لعنةُ الله والأقوامِ كلّهم.

وزَعَمَ سيبويه أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثة دليل، بمنزلة الألف التى تَبين بالهاء فى الوقف إذا أردتَ أن تُسْمِع بعيداً. فإنما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللامِ. وذلك قولك : يا قَوْماهْ! على غيرِ النَدْبَة، ولكن للاستغاثة وَمَدَّ الصوت.

والقولُ كما قال. محلّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ. فإذا وصلتَ حذفتَ الهاءَ، لأنها زيدَتْ فى الوقف لخفاء الألف. كما تَزادُ لبيان الحركة، فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدَها عنها. تقولُ: يا قَوّمَا تعالَوْا . ويا زيدا لا تفْعلُ. ولا يجوزُ أن تقولَ: يا لَزَيْد وهومُقْبلٌ عليكَ. وكذلك لا يجوزُ أن تقول: يا زَيْداه وهو معك، إنما يقال ذلكً للبعيد أو يُنبَّه به النائمُ.

فإن قلتَ: يا لَزَيد ولعمرو، كسرتَ اللامَ فى «عمرو» وهو مَدْعُوٌّ، لأنك إنما فتحت اللامَ فى «زيد» لتفصل بين المَدْعُوِّ والمدعو إليه، فلما عطفت على «زيد» استغنيت عن الفصل، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار فى مثْل حاله.

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ: رأيتُ زيداً، فتقولُ: مَنْ «زيداً»؟ وإنما حكيتَ قولَه لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذكَرَ بعينه، ولا تسألُه عن زيد غيره، والموضعُ موضعُ رفعٍ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ، فإن قلت: ومَنْ زيدٌ؟ أو فمنْ زيدٌ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامه، فاستغنيتَ عن الحكاية، لأن العطفَ لا يكونُ مستأنَفاً.

---

(١) نسبه المرصفى إلى قيس بن ذريح وقبله :

فواكبدى وعاودنى رداعى وكان فراق لبنى كالخداع

(٢) سمعان . : بفتح السين وكسرها. وكلاهما صحيح.

ونَظيرُ هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قولُ الشاعرِ :

يَبْكِـيكَ نَاءٍ بَعِـيدُ الدَّارِ مُـغْتَـرِبٌ ... يَا لَلْـكُهُولِ ولِـلشُّبَّـانِ لِلعَـجَبِ !

فقد أحْكَمْتُ كلَّ ما فى هذا الباب.

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خالد بن عباد السدوسى]

قال أبو العبـاس : وذُكِرَ لعُبَيْدِ الله بن زيادٍ رجلٌ من بـنى سَدُوسٍ، يقال له خالدُ بن عَبَّاد - أو ابن عُـبادة - وكان من نُسَّاكِهِم، فَوجَّهَ إليـه فأَخذَه. فأتاه رجلٌ من آل ثَوْرٍ، فكَذَّبَ عنـه. وقال: هو صِهرِى وهـو فى ضِمْنى. فَخَـلَّى عنه. فلم يَزَلِ الرجلُ يَتَفَقَّدُهُ حـتى تَغَيَّب، فأَتَى ابنَ زيادٍ فأخبره ، فَبَـعَثَ إلى خالد بن عَبادٍ فأُخِذَ، فـقال عُبيد الله بن زياد: أين كـنتَ فى غَيْبَتك هذه؟ قـال: كنتُ عند قومٍ يَذْكَرونَ اللهَ ويذكرون أئمـةَ الْجَور فيَتَبَرَّءونَ منهم! قـال: ادللنى عليهم[1]، قال: إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى. ولم أَكُن لأَرَوِّعهُمْ!

قال: فمـا تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال: خـيراً. قال: فما تقـولُ فى أمير المؤمنين عـثمانَ، أَتَتَـولاَّه وأمير المؤمـنين معاوية؟ قـال: إن كانا ولِيَّـيْنِ لله فلستُ أُعاديهما، فأَرَاغَهُ مرات فلم يرجع، فعـزَم على قتله، فأمر بإخراجه إلى رَحْبَةٍ[2] تُعرُف برَحْبَةِ الزَّيْنَبى.

فجعل الشُّـرَط يتفَادَوْنَ منْ قتله، ويَرُوغُـونَ عنه توَقِّياً، لأنه كان شَـاسفاً[3] عليه أثَرُ العِـبَادَةِ، حتى أتى المُثَلَّمُ بنُ مَسْـرُوح الباهلىُّ، وكان من الشُّرَطِ، فـتقدَّم فقتلَـه، فأتمَر به الخوارجُ ليقـتلوه، وكا مُغْرمـاً باللِّقاح[4] يَتَتَبَّعُهُا[5] فيشـتريها من مَظَانِّها. وهم فى تَفَقُّدِهِ فدسُّوا إليه رجلا فى هيئة الفتْيان. عليه رَدْعُ زعفرانٍ[6].

---

(١) ر : « دلنى عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : اليابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التى لها لبن .

(٥) ر : « يتتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزعفران.

فلَقِيه بالمرْبَد[1] وهو يسأل عن لقْحةٍ صفى[2]، فقال له الفتى : إنْ كنُتَ تبْلُغُ [3] فعندى ما يُغْنيك عن غيره. فامضِ معى .

فمضَى المثلَّمُ على فرسهِ والفتى أمامَهُ، حتى أتى به بنى سَعْدٍ، فدخل داراً، وقال له: ادخلْ على فرسك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلق البابَ، وثارتْ به الخوارجُ، فاعْتَورَهُ خُرَيْثُ بن جَحْلٍ، وكَهْمَسُ بن طَلْق الصَّرِيمىُّ فقتلاه، وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه. ودفناه فى ناحية الدارِ، وحكَّا آثارَ الدَّم، وخَلَّيا فرسَه فى الليل، فأصِيبَ من الغدِ فى المِرْبد، وتجسَّس[4] عنه الباهليُّون فلم يَرَوْا له أثراً. فاتهموا به بنى سدوسٍ، فاسْتَعْدَوْا عليهم السلطان، وجعل السَّدْوسِيُّون يحلفون، وتحامل[5] ابن زيادٍ مع الباهليين. فأخذ من السدوسيين أربعَ ديات. وقال: ما أَدرِى ما أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ! كلما أمرت بقتل أحدهم اغتالوا قاتلَه فلم يُعْلَمْ بمكانه. حتى خرج مِرْدَاسٌ، فلما وافقهم ابن زرعةَ صاح بهم جُرَيث ابن جحْلٍ: أهاهنا مِن باهلَة أحدٌ؟ قالوا: نعم، قال: يا أعداء الله، أخذتْم بالمُثَلَّم أربع دياتٍ وأنا قتلته[6] ، وجعلت دراهم كانتْ معه فى بطِنه، وهو فى موضع كذا مدفونٌ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ، فَصابُوا أَشْلاءه والدراهمَ، ففى ذلك يقولُ أبو الأسْوَدِ الدؤلىُّ :

آليتُ لا أغدُو إلى رَبِّ لِقْحةٍ ... أسَاوِمُهُ حتى يَعُودَ المثلَّمُ[7]

ثم خَرَجَتْ خوارجُ لا ذِكَر لهم، كلُّهم قُتِلَ، حتى انتهى الأمرُ إلى الأزارقِة.

---

(١) المربد : المكان الذى تحبس فيه الإبل وتصان . ومنه سمى مربد البصرة. وكان موضع سوق الإبل.
(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .
(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنا جيدا . قاله المرصفى .
(٤) ر : « وتحسن » . (٥) ر : « فتحامل » .
(٦) ر : « وأنا قاتله » .
(٧) بعده كما ذكره المرصفى :

وَقَالَ لهُ كوماءُ حَمْراءُ جَلْدَةٌ ... وَقَاربَهُ فى السَّوْم والقَتْلَ يكتمُ
فأصْبَحَ قَدْ عُمِّىَ عَلى النَّاس أَمْره ... وَقَدْ بات يَجْرى فوقَ أثْوابه الدَّمُ
وقَدْ كانَ فيما كانَ منْهُ بمعزل ... ولكنَّ حَيْنَ المَرء للْمَرء مُسْلِمُ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضربٍ :

الإباضيَّةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إبَاض .

والصُّفْرِيَّةُ : واختلفوا فى تسميتـهم، فقال قومٌ: سمُّوا بابنِ صفَّار[1]، وقال آخَرْون ـ وأكثر المتكلمين عليه ـ هم قومٌ نَهكتْهُمْ العبادة فاصفَرَّت وجوهُهم.

ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ،وهم أصحابُ بَيْهَس[2].

ومنهم الأزارِقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزْرقِ الحنَفِىّ .

وكانوا قبلُ عـلى رأى واحد، لا يختلفون إلاَّ فى الشىء الـشاذِّ من الفروع، كمـا قال صَـخْرُ بن عُرْوَةَ: إنـى كرهت قتـال علىٍّ بن أبى طالـب رضى الله عنه لسابِقَته وقَرَابَته، فأمّا الآنَ فـلا يَسَعُنى إلاّ الخروجُ. وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ، فَضَلّلَته[3] الخوارجُ بامتناعه من قتال علىٍّ.

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرهم الذى نَسْتَاقُه: أَنَّ جماعةً من الخوارج، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر الحنفىُّ عزَمُـوا على أن يقصدوا مكة، لَمَّا تَوَجَّهَ مُـسْلِمُ بن عُقْبَةَ يريدُ المديـنةَ لوقعة الحَرَّة؛ فقـالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة، ويجب علـينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله منه. ونمتحنَ ابن الزُّبير، فإن كان على رأينا بايعْناهُ، فَمضَوْا لذلك.

فكان أولَ أمرهم أنَّ أبا الوَازِع الرَّاسِبىَّ ـ وكان من مـجتهدى الخوارج ـ كان يَذْمُرُ نَفْسَه ويلومُـها على القعودِ، وكان شاعراً، وكان يفـعلُ ذلك بأصحابه. فأَتى نَافع بن الأزرقِ وهو فى جماعةٍ من أصحابه، يَصفُ لهم جَوْرَ السلطان ـ وكان ذا لسان عَضْب، واحتـجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ـ فأتـاه أبو الوَازِع، فقال : يا نافعُ، لَقد أُعْطيتَ لساناً صارماً. وقلباً كَلـيلاً، فَلَوَدِدْت أن صَرَامةَ لسَانكَ كانت لقلبك، وكلاَلَ قَلبك كـان للسَانك، أَتَحُضُّ على الحَقِّ وتَقْـعُدُ عنه، وتُقَبِّحُ البـاطلَ وتُقيمُ عليه! فقال: إلى أن يَجْتَمع[4] من أصحابك من تَنْكِى به عدوَّك، فقال أبو الوازع:

---

(1) هو عبد الله بن الصفا .

(2) هو هيصم بن جابر .

(3) ضللته : نسبته إلى الضلال .

(4) ر : « تجمع » .

لســـانكَ لا يُــنْكى بــه القـــومُ إنما تَنـالُ بكَفَّـيْكَ الـنّجَـاةَ من الـكَرْبِ
فَجـاهِدْ أُناساً حاربُوا اللهَ واصْـطَبرْ عسى اللهُ أن يُخْزى غَوىَّ بنى حَرْبِ

ثم قال: واللهِ لا ألومك ونفسي أَلُومُ، وَلأغْـدُونَّ غَدْوة لا أَنْثَنى بعدَها أبداً. ثم مضى فاشترى سَيفاً، وأتى صيْقَلاً [1] كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ علي عوراتهم، فشاوره في السيف فحمدهَ، فقال: اشْـحَذْهُ، فَشَحَذَهُ. حتى إذا رَضيهُ حكَّمَ وَخَبطَ به الصقيل وحملَ علي الناس فَتهاربُوا منه، حتى أتى مَقْبَرَةَ بنى يَشْكرَ، فَدَفعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرة فكرهتْ ذلك بنو يَشْكرَ. خوفاً أن تَجْعَل الخوارجُ قبره مُهاجَراً، فلما رأى ذلك نَـافعٌ وأصحابُه جَدُّوا، وخَـرج فى ذلك جماعَـةٌ، فكان ممن خَرَج عيـسى بن فَاتِك الشـاعرُ الخَطىُّ، من تيْـمِ اللاَّتِ بن ثَعْلبةَ، ومَـقْتَلُه بعـدَ خروج الأزارقَة.

فمضى نافعٌ وأصـحابُه من الحُروريَّة قبل الاختلاف إلى مكة، لِـيَمْنَعُو الحَرَمَ من جيش مُسْلمِ بن عُقْبَةَ، فلما صاروا إلى ابـن الزبير عَرَّفوه أنفسهم، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مـسلم بن عُقْبةَ وأهلُ الشاْم، فـدافعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بن معاويةَ، ولم يبايعوا ابنَ الزبير .

ثم تناظروا فيـما بينهم فقـالوا: نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظُر مـا عندَه، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ، وبَرِئَ من عثمـانَ وعليٍّ، وكفَّر أَباه وطلحةَ، بايَعْنَاه،وإن تكنِ الأخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه. فَتَشَاغلنا بما يُجْدى علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو مُتَبَذِّلٌ. وأصحابُـه متفرقون عنه. فقالوا: إنَّا جئناك لَتـخْبرنا رأيَك، فإن كنتَ على الصواب بايعناك، وإن كنتَ على غيره دَعَـوْنَاكَ إلَى الحقِّ، ما تقولُ فى الشَّيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقولُ فى عثمان الذى أَحْمَى الحمَى، وآوى الطَّريدَ، وأظهر لأهل مصرَ شـيئاً وكَتبَ بخـلافه. وأَوْطَأَ آل أبى مُعَيْط رِقـابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بفَىْء المسلمين؟ وفى الذى بعـدَه الذى حكَّم فى دينِ اللهِ الرِّجالَ. وأقام علـى ذلك غير تَائب ولا نادم؟ وفى أَبيكَ وصاحـبه، وقد بايَعا عليَّا وهو إمـامٌ عادلٌ مَرْضيٌّ، لم يَظْهَرْ منه كـفْرٌ، ثم نكثا بعَرَض من أعـراض الدنيا، وأخرجا عائشـةَ تُقَاتلُ، وقد أَمَرَها اللهُ وَصواحِبهَا أن يَقَرْنَ[2] فى بُيُوتهنَّ؟ و كان لـك فى ذلك ما يَدعُوكَ إلى

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب ٣٣ : ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ .

التوبة! فإن أنت قلت كما نقولُ فلك الزُّلْفةُ عندَ الله والنَّصْرُ على أيدينا، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ وإن(١ أَبَيتَ خذَلَك الله وانْتصرَ منك بأيدينا١).

فقال ابن الزبير : إنَّ الله أمر ـ وله العزَّةَ والقُدْرَةُ ـ فى مخاطبة أكْفَر الكافرين وأعْتى العُتاة بأرفه(٢) من هذا القولَ، فقالَ لموسى ولأخيه ـ صلى الله عليهما ـ فى فرعونَ: ﴿فقُولا له قَولاً لَيِّناً لعلَّه يتذكَّرُ أَوْ يخْشَى﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ : «لا تُؤذُوا الأحياءَ بسَبِّ الْموتَى» فَنَهَى عن سَبِّ أبى جهلٍ من أجل عكْرمةَ ابنه، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرّسول، والمقيم على الشِّرْك، والجادُّ فى المَحاربة، والْمُتَبغِّضُ إلى رسول الله ﷺ قبلَ الهجرة، والمحاربُ له بعدَها، وكفَى بالشِّرْكِ ذنباً! وقد كان يُغْنيكم عن هذا القول الذى سَمَّيتُمْ فيه طلحةَ. وأَبى أن تقولوا: أَتَبْرأَ من الظالمين؟ فإن كانا منهم، دخلاَ فى غِمْار(٤) الناس، وإن لم يكونَا منهم لم تُحفْظُونى(٥) بسَبِّ أَبي وصاحبه. وأنتم تعلمون أنَّ الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أَبَوَيْه: ﴿وإنْ جاهَدَاكَ علَى أَنْ تُشْرِكَ بى ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فلا تُطعهما وصاحبْهُما في الدُّنيَا معْرُوفاً﴾(٦)، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وقُولُوا للنّاس حُسْنًا﴾(٧). وهذا الذى دعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه، وليس يُقْنعكُم إلاَّ التوقفُ والتَّصْريح، ولَعَمْرى إنّ ذلكَ لأَحْرَى بقَطْعِ الحُجُجِ، وأوضحُ لمنْهاجِ الحقِّ، وأَوْلَى بأن يَعْرفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه، فُروحُوا إلىَّ منْ عَشيَّتكم هذه أكْشفْ لكم ما أَنَا عليه إن شاء الله .

فلماكان العَشىُّ راحُوا إليه، فخرج إليهم وقد لَبسَ سلاحه، فلما رَأى ذلك نجدة قَال: هذا خروجُ مُنابذ لكم، فجلس عَلَى رَفْعٍ من الأرض فحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه ﷺ . ثم ذكَرَ أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذَكْرِ عثمانَ فى السِّنينَ الأوائلِ من خلافتَه، ثم وَصَلَهُنَّ بالسِّنينَ التى أنْكرُوا سيرتَه فيها. فجعلها كالماضيةِ، وخبَّرَ أنه آوى الحكَمَ بن أبي العَاص بإذنِ رسول الله ﷺ ،

(١-١) كذا وردت العبارة فى الأصل . س . وفى ر : « وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول. وتصويب أبيك وصاحبه. والتحقيق بعثمان، والتولى على السنين الست التى أحلت دمه. ونقضت. . . وأفدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا » .

(٢) فى ر : «بأرأف» .
(٣) سورة طه ٤٤ .
(٤) غمار الناس : جماعاتهم .
(٥) لم تحفظونى : لم تغضبونى .
(٦) سورة لقمان ١٥ .
(٧) سورة البقرة ٨٣ .

وذكر الحمى وما كان فيه من الصَّلاحَ، وأنَّ القومَ استَعْتَبُوهُ من أُمور، وكان له أن يفعلَها أُوَّلا مُصيباً، ثم أَعتبَهمْ بعدَ مُحْسناً، وأَنَّ أَهلَ مصرَ لَمَّا أَتوه بكتاب ذَكرُوا أنه منه بعدَ أَنْ ضَمِنَ لهم العُتْبى؛ ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه، فحلف أنه لم يَكْتُبْهُ ولم يَأمُرْ به، وقد أُمِرَ بقبول اليمين ممَّن ليس له مثلُ سابَقته، معَ ما اجْتَمعَ له من صِهْرِ رسول الله ﷺ ومكانه من الإمامة، وأن بَيْعةَ الرِّضْوان تحتَ الشَّجرة إنما كانت بسببه، وعثمانُ الرجل الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حلَفَ عليها لَحَلَفَ على حقٍّ فافتداها بمائة أَلف ولم يَحْلفْ، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ».

فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصَاحِبَيْه، وأنا وليُّ وَلِّيه، وعَدُوُّ عَدُوِّه، وأَبى وصاحبُه صَاحِبَا رسول الله ﷺ، ورسولُ الله يقولُ عن الله تعالى يومَ أحد لَمَّا قُطعَتْ إصْبَعُ طلحةَ: «سَبَقَتْه إلى الجنة»، وقال: «أَوْجَب طلحةُ»، وكان الصدِّيقُ إذا ذَكَرَ يوم أحُد، قال: ذاك يوم كَلُّه أو جُلُّهُ لطلحةَ، والزبيرُ حَوَارىُّ رسول الله وَصفوتُهُ، وقد ذَكرَ أنهما فى الجنة، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿**لَقَدْ رضى اللهُ عَنِ المُؤْمنينَ إذ يُبَايعُونكَ تحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[1]، وما أَخبرَنا بعدُ أنه سَخطَ عليهم، فإن يكنْ ما سَعَوْا فيه حقًّا فأَهلُ ذلك هُمْ، وإن يكنْ زَلَّة فَفى عفو الله تَمْحيصُها، وَفيما وفقهم له من السابقة مع نَبيِّهم ﷺ. ومهما ذَكَرْتُمُوهَا به فقد بَدَأْتُم بأُمِّكُمْ عائشةَ رضى الله عنها. فإنْ أَبَى آب أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمان عنه، قال اللهُ جلَّ وعزَّ ـ وقولُهُ الحقُّ: ﴿**النَّبى أَوْلَى بِالمُؤْمنينَ مِنْ أَنْفُسهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[2].

فَنَظر بعضُهم إلى بعضٍ، ثم انصرفوا عنه.

* * *

وكان سببُ وضعِ الحربِ بينَ ابنِ الزبير وبين أهلِ الشام ـ بعدَ إذ كان[3] حُصَيْن بن نمَيْر قد حَصَرَ ابنَ الزبير أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاوية فتوادعَ الناسُ، وقد كان أهلُ الشام ضَجِرُوا من الْمقامِ على ابن الزبير، وحَنِقَتِ الخوارجُ فى قتالهم، ففى ذلك يقول رَجلٌ من قُضاعَةَ:

(١) سورة الفتح ١ (٢) سورة الأحزاب ٦.

(٣) ر: «أن كان».

يا صاحبىَّ ارْتَحِلاَ ثم املُسَا   لا تحْبسَا لَدَى الْحَصِين مَحْبَسَا

إنَّ لَدَى الأركانِ ناساً بُؤَّسَاً

ـ [قال الأخفشُ : حِفْظِى « بَأْساً أَبؤُسَا »] ـ

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأَنْفُسَا   إذا الفتى حَكَّم يوماً كلَّسَا

قوله : «ثم املُسَا» يريد: تَخَلَّصَا تَخَلُّصاً سهلا ، وكَلَّسَ، أى حَمَلَ وَجَد.

* * *

ولما سمَّحَ ابن الزبير للخوارج فى القولِ وأَظهر أنه منهم قال رجل يقال له فلان بن هَمَّامٍ[1] من رَهْط الفَرَزْدَق :

يَا بنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا   ظلماً أباك ولَمَّا تُنْزَع الشِّكَكُ

ضحَّوْا بعثمانَ يومَ النحر ضاحيةً   ما أَعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهكُوا!

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتْنى التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشَايَعْتُها.

الشِّكَك : جمعُ شِكَّة ، وهى السلاحُ . قال الشاعر :

ومُدَجِّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ   مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ

* * *

فتفرقتِ الخوارجُ عن ابن الزبير لما تَولَّى عثمانَ ، فصارت طائفة إلى البصرة، وطائفة إلى اليمامَة، وكان رجاءٌ النصرىّ [2] وهو الذى كان جَمَعَهم للمدافعة عنِ الحرَم، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ، وبنو الماحُوزِ السليطِّيونَ، ورئيسُهم حسَّانُ بن بحدج[3]. فلما صاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأَمَّروا عليهم نافعاً.

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويُرْوَى أن أبا الجَلْد اليشْكرىَّ قال لنافع يوماً : يا نافعْ إنّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ، وإن أشدَّها حَرّاً لَلْبابُ الذى أُعدَّ للخوارج، فإن قَدَرْتَ ألا تكون منهم

(١) ر : « قيس بن همام » .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ر : « النمبرى » .   (٣) ر : « محرج » .

فافعلْ، فأجمع القومُ عَلَى الخروج، فمضى بهم نافعٌ إلى الأهْواز[1] فى سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يَهيجون أحداً، ويُناظرهم الناسُ.

وكان سببُ خروجهم إلى الأهواز أنه لَمَّا مات يزيدُ بايعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله ابنَ زياد، وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجلٍ من الخوارج، وضَعُفَ أمْر ابنِ زياد، فَكُلِّمَ فيهم فأطلقهم، فأفسدوا البَيْعَة عليه، وفَشَوْا فى الناس، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطان ويُظْهرون ما هم عليه، حتى اضْطَرَبَ عَلى عُبيد الله أمره. فتحوَّل عن دار الإمارة إلى الأزْد، ونَشَأَت الحرب بسببه بين الأزد وربيعةَ وبين بنى تميم، فاعتزلهم الخوارجُ إلاَّ نفراً منهم من بنى تميم. معهم عَبَسُ بن طَلْق الصَّريمىُّ أخو كَهْمَسٍ، فإنهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطعانِ فى سعد، والرِّبَابُ فى القلب بحذاء الأزد.

وكان حارِثة بن بَدْرِ اليربوعىُّ فى حَنْظلة بحذاء بَكْر بن وائل، وفي ذلك يقول حارثة بن بدرٍ للأحْنف؛ وهو صَخْرُ بن قيس :

سيكفيك عبسٌ أخو كَهْمس ... مُواقَفَةَ الأزْد بالْمِرْبَد
وتكفيكَ عَمْروٌ على رسْلِها ... لُكيْزَ بن أَفْصَى ومَا عَدَّدُوا

ـ لُكَيزٌ هو عبدُ القَيْس ـ

وَتَكفيكَ بكْراً إذا أقبلت ... بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فما قُتل مسعودْ بن عَمْرو الَمعْنىُّ، وتَكافَّ الناس، أقام نافعُ بن الأزْرق بموضعه بالأهوازِ، ولم يَعُدْ إلى البصرة، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها، وجَبَوُا الْفَىْءَ.

[خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق ، والرسائل التى دارت بينهما]

ولم يزالوا على رأيٍ واحد، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومرْداساً ومن خرج معه، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ، فقال له: إنّ أطفالَ المشركين فى النارِ، وإن مَن خالَفنا مشركٌ، فدماءُ هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ. قال له نافعٌ: كفرتَ وأحللت بنفسك[2]، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقْتُلْنى ، ﴿قال نوحٌ رَبِّ لا

(١) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس .
(٢) ر : س : « وأدللت » .

تَذَرْ على الأرض من الكافرينَ دَياراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضلّوا عبادَك ولا يَلِدُوا إلاَّ فاجراً كفَّاراً﴾[١]، فهذا أمرُ الكافرين وأمرُ أطفالهم، فشهِدَ نافعٌ أنهم جميعاً فى النارِ، ورأى قتلهم. وقال: الدار دار كُفر إلا من أظْهر إيمانه، ولا يحلُّ أكل ذبائحهم[٢]، ولا تَناكُحهُمْ، ولا تَوارثُهُمْ، ومتى جاءَ منهم جاء فعلينا أن نمْتَحنَهُ وهم ككُفَّار العرب، لا نَقبلُ منهم إلا الإسلامَ أو السيفَ والقَعَدُ بمنزلتهم، والتَّقيَّةُ لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إذا فريقٌ منهم يَخْشَوْنَ الناسَ كخشيةِ الله أو أشَدَّ خَشيَةً﴾[٣]. وقال عزّ وَجلَّ فيمن كان على خلافهم: ﴿يُجاهِدُونَ فى سبيل الله ولا يَخافونَ لَوْمةَ لائم﴾[٤]. فَنَفَرَ جماعةٌ من الخوارج عنه، مَنهم نَجْدَةُ بن عامرٍ، واحتجَّ بقول الله عز وجلَّ: ﴿إلا أن تَتَّقُوا منهم تُقاةً﴾[٥]، وبقوله عز وجل: ﴿وقال رجلٌ مؤْمنٌ من آل فرعْونَ يَكْتُمُ إيمانَهُ﴾[٦]. فالقَعَدُ منَّا، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ، لقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَفَضلَ اللهُ المجَاهدِينَ على القاعدينَ أجْراً عظيما﴾[٧].

ثم مضى نَجْدَةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرَّقوا فى البُلْدان.

فلما تَتَابعَ[٨] نافعٌ فى رأيه وخالَفَ أصحابَه، وكان أبو طالوتَ سالمُ بن مَطَر بالخَضَارم[٩] فى جماعة قد بايعوه، فلما انْخَزَل نَجْدة خَلَعوا أبا طالوتَ، وصاروا إلى نجدةَ فبايعوه، ولَقِى نجدةُ وأصحابهُ قوماً من الخوارج بالعَرِمَة[١٠] - والعرمة كالسِّكر[١١] - وجمعُها عَرِمٌ، وفى القرآن المجيد: ﴿فأرْسَلْنا عليهم سَيْلَ العَرِم﴾[١٢] وقال النابغة الجَعْدىُّ:

مِنْ سَبَأ الحاضِرين مَأربَ إذ يبْنُون من دُون سَيْلِه العَرِما

فقال لهم أصحابُ نَجْدةَ: إن نافعاً قد أكفر[١٣] القَعَد ورأى الاستعراضَ، وقتل الأطفالِ، فانصرَفوا مع نجدةَ. فلما صار باليمامة كتبَ إلى نافع.

---

(١) سورة نوح ٢٦، ٢٧.
(٢) س: « لا تحل ».
(٣) سورة النساء ٧٧.
(٤) سورة المائدة ٥٤.
(٥) سورة آل عمران ٢٨.
(٦) سورة غافر ٢٨.
(٧) سورة النساء ٩٥.
(٨) التتابع فى الشر وهو التهافت عليه.
(٩) خضارم: اسم واد باليمامة.
(١٠) العرمة: أرض صلبة تتاخم الدهناء.
(١١) السكر، بكسر فسكون: اسم لما سد به فم النهر.
(١٢) سورة سبأ ١٦.
(١٣) ر: « كفر ».

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعدُ: فإنّ عَهْدى بك وأنتَ لليَتيم كالأَبِ الرحيم. وللضعيف كالأَخ البَرِّ، لا تأخذكَ فى الله لومةُ لائم. ولا تَرَى معونة ظالم، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك، أمَا تَذْكُرُ قولَكَ: لولا أنِّى أعلم أن للإمام العادلِ مثلَ أجرِ جميع رعيَّته ما توليتُ أمر رجلين من المسلمين؟ فلما شَرَيْت نَفْسَك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه، وأصبتَ من الحقِّ فصَّهُ، وركبت مُرَّهُ. تَجرَّدَ لك الشيطانُ، ولم يكن أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك ومَن أصحابك. فاستمالَك واستهواكَ واستْغواك وأغواكَ، فَغَوَيْتَ فأكفرتَ الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَد المسلمين وضَعَفَتهمْ، فقال جل ثناؤُه، وقولهُ الحق ووَعْدُهُ الصِّدْقُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاء ولا عَلَى المَرْضَى ولا عَلَى الَّذينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُوله﴾[1]. ثم سَمَاهم أحسن الأَسماء، فقال: ﴿مَا عَلَى المُحْسنينَ من سَبيل﴾[2]. ثم استَحْلَلْت قتلَ الأطفال، وقد نَهَى رسول اللهُ ﷺ عن قَتلهم، وقال الله عز ذكره: ﴿ولا تَزِرُ وَازرةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[3]، وقال فى القَعَد خيراً، وَفَضلَ اللهُ من جاهَدَ عليهم، ولايَدفعُ مَنْزِلَةُ أكثر النَّاس عملا منزلَةَ مَنْ هو دُونَه، أَوَ مَا سمعتَ قولَه عز وجل: ﴿لا يَسْتَوى القَاعدُونَ من المؤمنينَ غيرُ أولى الضَّرر﴾[4]، فجعلهم اللهُ من المؤمنين، وفضلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيتَ ألا تُؤَدِّيَ الأمانة إلى مَنْ خالفَك، والله يأمر أن تؤدَّى الأماناتُ إلى أهلها، فاتقِ الله وانظرْ لنفسك، واتق يوماً ﴿لا يجْزى والدٌ عن وَلَده ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالده شيْئاً﴾[5]، فإن اللهُ عزَّ ذكره بالمِرْصَاد، وحُكْمُهُ العَدْلُ، وقوله الفَصْلُ، والسلامُ.

* * *

فكتب إليه نافعٌ:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فقد أتانى كتابُكَ تعظُنى فيه وتذكِّرُنى، وتَنْصَحُ لى وتَزْجُرُنى، وتَصفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ، وما كنتُ أوثِرُه من الصوابِ، وأنا أسأل الله جلَّ وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول

(١) سورة التوبة ٩١
(٢) سورة التوبة ٩١ .
(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .
(٤) سورة النساء ٩٥ .
(٥) سورة لقمان ٣٣ .

فيتّبِعُونَ أحسَنَهُ، وعبْتَ عليَّ ما دنْـتُ به من إكفار القعد وقَتْلِ الأطْفالِ واستحلال الأمانة، فسأفَسِّرُ لكم ذلك إن شاء الله .

أمَّا هؤلاء القَعَدُ فليسوا كَـمنْ ذكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله ﷺ . لأنهم كانوا بمكَّة مَقْهُـورين محصورين، لا يَجدون إلى الهَرَبِ سـبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقة، وهؤلاء قد فَقِهُـوا فى الدِّين، وقَرَءوا القرآن، والطريق لَهم نَهْجٌ واضحٌ، وقـد عرفتَ مـا قال اللهُ عـز وجل فيـمن كان مـثْلهم، إذ قـالوا: **﴿كنَّا مُسْتَضْعَفينَ فى الأرْض﴾**[1] . فقيل لهم: **﴿أَلَمْ تكنْ أرْضُ الله واسـعةً فتُهـاجروا فيها﴾**[2] . وقَالَ: **﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمقْعَدهمُ خلافَ رسُول الله﴾**[3]، وقال **﴿وجَاءَ المُعَذِّرونَ من الأعْرَابِ ليُؤْذَنَ لَهُمُ﴾**[4] . فَخَبَّر بتعذيرهمْ، وأنهم كَذَبُوا الله ورسولهُ وقال: **﴿سَيُصِيبُ الذين كَفَرُوا منهم عذابٌ أليمٌ﴾**[5] . فانْـظُرْ إلى أسمـائِهم وسِماتِهِمْ.

وأمَّا أَمْرُ الأطفال فإنَّ نبيَّ الله نوحاً عـليه السلامُ كان أعلمَ بالله ـ يا نَجْدَةَ ـ منى ومنكَم فقال: **﴿رَبِّ لا تذرْ على الأرْض منَ الكافرين ديَّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يضلُّوا عبادكَ ولا يَلدوا إلا فَاجراً كفَّاراً﴾**[6] . فسَمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ. وقبلَ أنْ يولدوا. فكيفَ كَان ذلك فى قوم نوح ولا نَكـونُ نَقُولُه فى قومنا! واللهُ يقولُ: **﴿أكفَارُكُمْ خيرٌ منْ أولئكُمْ أَمْ لكمْ بَرَاءَةٌ فى الزُّبُر﴾**[7]، وهؤلاءِ كمُشْركى العربِ، لا نَقْبَلُ منهم جزية، وليس بيننا وبينهم إلا السيفُ أو الإسلامُ.

وأما استحـلالُ أمانات مَنْ خالَفَنَا فإن الله عز وجل أَحَلَّ لنا أمـوالَهم، كما أحلَّ لنا دمَاءَهم ، فـدماؤهُم حلالٌ طلْقٌ[8]، وأموالُهم فيءٌ للمـسلمين. فاتَّقِ اللهَ ورَاجعْ نفسَك، فإنه لا عُـذَر لك إلاَّ بالتوبة، ولن يَسَعَكَ خذْلانُنَـا، والقعودُ عنَّا، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لكَ من طريقَتِنا ومَقالَتنا ، والسلامُ على مَنْ أَقَرَّ بالحقِّ وعَمِلَ به.

[كتاب نافع إلى ابن الزبير]

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يَدعوه إلى أمرِه :

---

(١) سورة النساء ٩٧ .
(٢) سورة النساء ٩٧ .
(٣) سورة التوبة ٨١ .
(٤) سورة التوبة ٩٠ .
(٥) سورة التوبة ٩٠ .
(٦) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .
(٧) سورة القمر ٤٣ .
(٨) الطلق : الحلال .

أمَّا بعدُ : فإني أحذِّركَ من الله ﴿يوم تجد كلُّ نفْس ما عملَتْ من خير مُحْضَراً وما عملَتْ منْ سوء تودُّ لو أنَّ بينَها وبيْنَه أمَداً بعيداً ويُحذِّرُكُمْ الله نَفْسَهُ﴾[1] . فاتَّق اللهُ ربَّكَ ولا تَتولَّ الظالمين ، فإن الله يقولُ : ﴿لاَ يتَّخذ المؤمنونَ الكافرينَ أوْلياءَ منْ دُون المؤْمنينَ ومَنْ يَفْعَل ذلك فلَيْسَ منَ الله في شَيْءٍ﴾[2] . وقد حَضَرْتَ عثمانَ يوم قُتلَ فلَعَمْرى لئن قُتلَ مظلوماً لقد كَفرَ قاتلوه وخاذلوه ، ولئن كان قاتلوه مُهتَدينَ ـ وإنهم لمُهْتَدونَ ـ لقد كفرَ منْ يتولاّه وينصرُه ويَعْضُدُه . ولقد علمتَ أن أباكَ وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ الناسِ عليه ، وكانوا في أمره منْ بيْنَ قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباكَ وطلحةَ وعثمان ، فكيف[3] ولَايَةُ قاتلٍ متُعمِّد ومقتول في دينٍ واحد! ولقد مَلَكَ عليٌّ بعدَه فنَفَى الشُّبهات ، وأقامَ الحدودَ ، وأجْرى الأحكامَ مَجاريها ، وأعْطَى الأمورَ حقائقها ، فيما عليه وله ، فبايعه أبوكَ وطلحة ، ثُمَّ خلَعَاهُ ظالمَيْنِ له ، وإنَّ القول فيك وفيهما لكَمَا قال ابنُ عباس : إنْ يكنْ عليٌّ في وقت معصيتكم ومُحارَبَتكم له كان مؤمنا ؛ أمَا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، ولئن كان كافراً كما زعمتم ، وفي الحُكْم جائراً ، لقد بُؤْتُم بغضب من الله لفرارِكم من الزَّحْف ، ولقد كنتَ له عدواً ، ولسيرته عائباً ، فكيف تَوليْتَهُ بعدَ موته! فاتَّق اللهُ فإنه يقولُ : ﴿ومَنْ يَتَولَّهُمْ منكُمْ فإنَّه منْهُمْ﴾[4] .

[كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة]

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرَة من المُحكِّمة :

بسم اللهُ الرحمن الرحيم . أمَّا بعدْ : فإن الله اصطفَى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، والله إنكم لتَعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ ، ففيم المُقَامُ بين أظْهرِ الكفَّار ، تَروْنَ الظُّلم ليلا ونهاراً ، وقد نَدَبكم الله إلي الجهادِ فقال : ﴿وقاتلُوا المشركينَ كافَّة﴾[5] ، ولم يجعل لكم في التَّخلُّف عذراً في حال من الحال ، فقال : ﴿انفرُوا خفافاً وثقالا﴾[6] ! وإنما عذَرَ الضُّعفاءَ والمْرضَى والذينَ لا يَجدُون ما يُنفقونَ ومَنْ كانت إقامتُه لعلَّةٍ . ثُمَّ فضل عليهم مع ذلك

(١) سورة ال عمران ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران ٢٨ .
(٣) ر : « وكيف » .
(٤) سورة المائدة ٥١ .
(٥) سورة التوبة ٣٦ .
(٦) سورة التوبة ٤١ .

المجاهدين. فقال: ﴿لا يَسْتَوى الْقَاعدُونَ مَنْ المؤمنين غَيْرُ أُولى الضرر والمجاهدُون فى سبيل الله﴾[1]؛ فلا تغتَروا ولا تَطمئنُّوا إلى الدنيا، فإنها مرارة مكَّارةٌ. لذَّتها نافدَةٌ، ونَعْمَتُها بائدةٌ. حُفّتْ بالشَّهوات اغتراراً. وأظْهَرتْ حَبْرَةً[2]. وأضمرتْ عَبْرة، فليس آكلٌ منها أكلة تسرُّه. ولا شاربٌ شُرْبَةً تُؤْنقُهُ[3]. إلاَّ دنَا بهَا درجةً إلى أجله، وتَبَاعَد بها مسافةً من أمَلِه، وإنما جعلَها الله داراً لمن تَزَوَّدَ منها إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فلن يَرْضَى بها حازمٌ داراً، ولاحليمٌ بها قراراً، فاتقوا الله ﴿وتَزوَّدُا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التقْوَى﴾[4]. والسلام على من اتَّبع الهدَى.

* * *

فوَرَدَ كتابُه عليهم، وفى القوم يومئذ أبو بَيْهَسٍ هيْصَمُ بن جابرِ الضُّبَعِىُّ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ، من بنى مُرَّة بن عُبَيد، فأقبل أبو بَيْهَسٍ على ابن إباضٍ فقال: إن نافعاً غَلاَ فَكَفَرَ، وإنك قصَّرْتَ فكَفَرْتَ، تَزْعُمُ أَنَّ مَن خالفَنا ليس بمشركٍ. وإنما هم كُفَّارُ النِّعَمِ؛ لتمسُّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرَّسول، وتَزْعُمُ أن مَنَاكحَهُمْ ومَواريثهم والإقامةَ فيهم حَلٌّ طلْقٌ[5]؟ وأنا أقولُ: إن أعداءَنا كأعداءِ رسول الله ﷺ، تَحلُّ لنا الإقامةُ فيهم. كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة. وأحكام المشركين تجْرى فيهم[6]، وأَزْعُمُ أَنَّ مَنَاكحَهم ومواريثهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يظهرون الإسلامَ. وأنَّ حكمَهم عندَ الله حكَمُ المشركين.

فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويلَ: قول نافعٍ فى البَرَاءة والاستعراضِ واستحلال الأمانة وقتلِ الأطفال. وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه، وَقول عبد الله بن إباضٍ. وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّة من أقاويل الضُّلاَّل. والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدَيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقول ابن إباضٍ. وقد قال ابن إباضٍ ما ذكرنا من مقالته.

وأنا أقول: إنَّ عَدُوَّنا كعدوِّ رسول الله ﷺ، ولكنى لا أحرِّمُ مناكحتهم ومَوَارِيثَهم، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ بالكتابِ والرسول عليه السلام، فأَرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ، وَأَرَاهُمْ كُفاراً للنِّعَمِ، وَقَالَتْ الصُّفْرِيَّةُ أَلْيَنَ من هذا القول فى أمْرِ القَعَدِ. حتى صار عَامَّتُهُمْ وَاخْتَلَفوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك. فقال قوم:

---

(١) سورة النساء ٩٥.
(٢) الحبرة: النعمة وسعة العيش.
(٣) تؤنقه: تعجبه.
(٤) سورة البقرة ١٩٧.
(٥) طلق: حلال.
(٦) ر: «فيها».

سمُّوا صُـفْرِيَّةَ لأنهم أصحـاب ابنِ صَفَّار، وقال قـومٌ: إنما سُموا بِصُفَـرةِ عَلَتْهُمْ. وتصديقُ ذَلِك قـولُ ابن عاصـمٍ اللَّيثـيِّ. و كان يَرَى رأىَ الخوارجِ، فتـركه وصار مُرْجِئاً :

فـارقت نَـجْـدَةَ والذيـن تَزرَّقُـوا ... وَابْنَ الزُّبَـيْر وشـيعَـةَ الكَذَّابِ[1]!

وَالصُّـفْـرَ الاذانِ الذيـن تَخَـيَّـرُوا ... ديـناً بـلا ثِـقَـةٍ ولا بـكـتـاب

ـ خَفَّفَ الهمزة من « الآذَانِ » ولولا ذلك لانكسر الشِّعْرُ ـ

وَقَالَ أُبو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كفرٍ . والاستعراضُ فيها جائزٌ، وإن أصيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مقتل نافع بالأهواز]

وتَفَـرَّقَت الخوارجُ على الأضْـرُبِ الأربعةِ التـى ذكرنا، وأقام نـافع بالأهوازِ يعترضُ الناسَ وَيَقتلُ الأطفال، فإذا أجيبَ إلى المَقـالةِ جَبا الخراجَ. وفَشَا عُمَّالهُ فى السَّوادِ[2]. فارتاعَ لذلك أهلُ الـبصرة، فاجتـمعوا إلى الأحْنَفِ بن قـيس، فشكَوْا ذلك إليـه، وقالوا: ليس بينـنا وبين العدوِّ إلا ليلـتان، وسيـرتُهُمْ ما تَرَى. فـقال الأحنفُ: إن فعلهم فى مصرِكم ـ إنْ ظَفِروا به ـ كَفعْلِهِمْ فى سَوادِكم ، فَجِدُّوا فى جهادِ عـدوِّكم. فاجتَمع إليه عـشرةُ آلاف، فأَتى عبدَ الله بـن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عـبد المطلبِ ـ وهـو بَبَّةُ[3] ـ فسألَه أن يُـؤَمِّرَ عليهم، فاختـار لهم ابنَ عُبَيْسِ[4] بن كُرَيْزٍ، وكان دَيِّناً شجـاعاً، فأَمَّره عليهم وشَيَّعهُ، فلمـا نَفَذَ من جسرِ البصرةِ أقـبلَ علي الناس فقال: إنى ما خرجـتُ لامْتِيَارِ[5] ذَهبٍ ولا قضـةٍ وإنى

---

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) الببة فى الأصل : كثرة اللحم وتراكبه . لقب به عبد الله بن الحارث؛ وكانت أمه ترقصه وتقول:

لأُنـكِـحَـنَّ بَـبَّـهْ ... جـاريـةً كـالْـقُـبَّـهْ

مـكـرمَـةً مـحـبَّـهْ ... تحب أهـل الـكـعـبَـهْ

(٤) هو مسلم بن عبيس .

(٥) الامتيار هنا : جلب الطعام .

لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءَهم إلاّ سيوفُهم ورماحُهم، فمن كانَ شأنه الجهادَ فَلْيَنْهَضْ. ومَنْ أحَبَّ الحياةَ فليرجعْ . فرجع نَفرٌ يسيرٌ، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدُولاب[1] خرج إليهم نافعٌ. فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى تكسَّرت الرماحُ، وعُقِرَت الخيل، وكَثُرَت الجِراحُ، والقتلى[2]، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد، فقُتِلَ فى المَعْرَكَة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بن الأزرق.

وكان ابنُ عُبَيْسٍ قد تَقَدَّمَ إلى أصحابه فقال: إنْ أُصبْتُ فأميركم الرَّبيعُ بن عمرو الأجْذَمُ الغُدانىُّ، فلما أُصيبَ ابنُ عُبَيس أَخَذَ الربيع الرايةَ. وكان نافعٌ قد استخلفَ عُبَيْدَ الله بن المَاحُوزِ السَّلِيطىَّ. فكان الرئيسان من بنى يربوع: رئيس المسلمين من بنى غُدَانة بن يربوع، ورئيسُ الخوارج من بنى سَلِيط بن يربوعٍ، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وادَّعى قتلَ نافع سَلاَمَةُ الباهلىُّ، وقال: لَمَّا قَتَلْتُهُ وكنتُ على بِرْذَون وَرْد[3]، إذَا برَجُلٍ على فرسٍ - وأنا واقفٌ فى خُمْسِ قَيْس - يُنَادى :يا صاحبَ الوَرْد! هَلُمَّ إلى المبارزة. فوقفتُ فى خُمْسِ بنى تميمٍ، فإذا به يَعْرِضُهَا علىَّ. وجعلتُ أتنقَّلُ من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ . وليس يُزايلُنى. فَصرْتُ إلى رَحْلى، ثُمَّ رَجَعْتُ . فرآنى فدعانى إلى المبارزة، فلما أَكْثرَ خَرَجْتُ إلَيْه فاختلفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فضربتهُ فصرعته، فَنَزَلْتُ لسلبه وأَخْذ رأْسه، فإذَا امْرأَةٌ قد رَأَتْنى حين قلتُ نافعا، فخرجتْ لتثأَرَ به، فلم يَزَلِ الرَّبيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفاً وعشرين يَوْماً. حتى قال يوما: أنا مَقْتولٌ لاَ مَحَالَة. قالُوا: وكيف؟ قَالَ: لأنى رَأَيْتُ البارحةَ كَأَنَّ يَدِى التى أصيبَت بكابُلَ انحَطتْ من السماء فاسْتشلَتْنى، فلما كان الغَدُ قَاتَلَ إلى الليل، ثم غادَاهُمْ فقتلَ. فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَةَ حتى خافوا العَطَبَ، إذْ لم يكن لهم رئيسٌ، ثم أجمعوا على الحجَّاج بن باب الْحميْرىِّ فأباها، فقيل له: ألاَ ترَى أنْ رؤساءَ العرب بالحَضْرة. وقد اختاروك من بينهم! فقال: مَشْؤُومَةٌ، ما يأخذها أحدٌ إلا قتلَ، ثم أخذها، فلم يزل يقاتلُ الخوارج بدُولابَ، والخوارجُ أعَدُّ بالآلات والدُّروع والجواشنِ[4]، فالْتَقَى الحجاجُ بن باب وعِمْرانُ بن الحارثِ الرَّاسبىُّ وذلك بعد

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ.

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء .

(٤) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أن اقتتلوا زهاءَ شهر، فاختَلَفَا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمُّ عمرانَ ترثيه:

اللهُ أيَّـدَ عــمْـــرَانـاً وطَهّـــرَهُ ... وكان عمرانُ يدعُـو اللهُ فى السَّحر
يدَعـــوه سَـراً وإعْـلاناً لـيـرزُقَـهُ ... شـهـادةَ بـيـدَىْ ملْـحَـادة غُـدَر
ولَّى صَـحَابتُـهُ عن حَـرِّ ملحَمَـةٍ ... وشدَّ عمـرانُ كالضَرْغامـةِ الهصرِ

* * *

قولُ الرَّبيع: «اسْـتَشْلَتْنى»، أى أخذَتْنى إليهـا واستَنْقذتنى. يقال: اسْـتَشلاَه واشْتَـلاه. وفي الحـديث: «إن السارقَ إذا قُـطعَ سبـقتْـهُ يدُه إلى النار، فـإن تاب اسْتَشْلاَهَا». قال رُؤْبَة :

* إنَّ سلمانَ اشْتَلاَنَا ابنَ عَلى *

وقولُ الناس: «أشْلَيْتُ كَلْـبِى» أى أغريتُهُ بالصيد، خطـأ، إنما يقال: آسدته، وأَشْلَيْتُهُ: دعوتُهُ.

وقولُهـا: «بيَدَىْ ملْحَادَة» «مـفْعَالٌ» من الإلْحـاد، كما تقول: رجـل معطاءٌ يافتى، ومحسانٌ، ومكْرَامٌ، وأدْخلَت الهاءُ للمـبالغة، كما تُدْخَل فى راويةٍ وعَلاَّمَةٍ ونسَّابةٍ.

«وغُدَر» «فعَلٌ» من الغَدْر. ولـ «فعل» بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة. إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضَّرْغَامةُ: من أسماء الأسد.

والهصرُ: الذى يَهْصِر كلَّ شيء، أى يَثنيه، قال امرؤ القيسِ:

فلمَّا تـنَازعنا الحديثَ وأَسْـمَحتْ ... هصَرْت بغصنٍ ذى شَـمَاريخَ ميَّالِ

* * *

ولذكرنَا الصُّفْـريةَ والأزارقةَ والبَيْهَسِـيَّةَ والإباضِيَّةَ تفسـيرٌ، لِمَ نسبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبى بَـيْهَسٍ بالكُنْيَة المضـاف إليها. ونسبَ إلي صُـفْر ولم يُنْسَبْ إلى واحدِهم، ونـسبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعِلَ النسبُ إلى أبـيه؟ وهذا نذكره بعد باب «فُعَلٍ».

[لقطرى يوم دولاب]

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر فى يوم دُولاب قولُ قطرىٍّ :

لَعَمْرُكَ إنى فى الحياة لَزَاهدٌ ... وفى العَيْشِ ما لم ألقَ أم حكيم[1]

منَ الخَفرات البيض لم يُرَ مثلُها ... شفاءٌ لِذى بَثٍّ ولا لِسَقيمِ

لَعَمْرُكَ إنى يَوْمَ أَلْطِمُ وَجْهَهَا ... على نائباتِ الدَّهر جِدُّ لئيمِ

ولو شَهدَتني يومَ دولابَ أَبصرَتْ ... طعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذميمِ

غداةَ طَفَت عَلْمَاء بكْرُ بنُ وَائلِ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تميمِ

وكان لعَبْدِ القَيْسِ أولُ جَدِّها ... وأَحْلافِهَا من يحصُبٍ وسلَيمِ[2]

وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْدِ فى حَوْمَة الوَغى ... تَعُومُ وظَلْنَا فى الجِلادَ نَعُومُ[3]

فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً ... يَمُجُّ دماً من فائظٍ وكَليمِ[4]

وضارِبَة خَداً كريماً على فَتًى ... أغرَّ نَجيبِ الأمَّهَاتِ كريمِ

أصِيبَ بِدُولابٍ ولم تَكُ مَوْطناً ... له أرضُ دُولَابٍ ودَيْرُ حَميمِ[5]

فلو شَهِدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنا ... تُبيحُ من الكُفَّارِ كل حَريمِ

رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإلَه نفوسَهم ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعيمِ

قوله: «ولو شهدَتْنَا يومَ دُولابَ» فلم يَنْصَرفْ «دُولابُ» فإنما ذاك لأنه أرادَ البَلْدَة، ودُولابُ: أعجميٌّ، مُعْرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجميةِ نكرة بغير

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطرى. وكانت من أجمل النساء وجها، وأحسنهم بدينهم تمسكا. كانت تحمل على الناس وترجز :

أَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ ... وقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهُ

ألا فتى يحمل عنى ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصغر وكبر للوزن.

(٣) فى البيت إقواء.

(٤) المقعص : المطعون . والفائظ. من قولهم: فاظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم : موضع بالأهواز .

الألفُ واللَّامِ، فإذا دخلَتْه الألفُ واللامُ فقد صار مُعَرباً، وصار على قياس الأسماء العربية، لا يمنعه من الصرف إلاّ ما يمنعُ العربيَّ، فدولابُ «فُوعالٌ» مثلُ طومارٍ وسولاف. وكلُّ شيء لايَخُصُّ واحداً من الجنس من غيره فهو نكرةٌ، نحوُ رجلٍ، لأن هذا الاسم يَلْحقُ كل ماكان على بِنْيَتِه، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام العجمِ معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريف آخرَ فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرْعَونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيمْ، ويَعْقُوب.

وقوله :

* غدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ *

وهو يريدُ على الماءِ ، فإن العربَ إذا الْتَقَتْ فى مثل هذا الموضع لامَان استجازُوا حذفَ إحداهما استثقالا للتضعيف ، لأنَّ ما بَقىَ دليلٌ على ماحُذِفَ، يقولون: «عَلْمَاء بَنُو فلان» كما قالَ الفَرزْدقُ :

وما سُبق القيْسِىُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلةٍ ولكنْ طَفتْ عَلْمَاءِ قُلْفَةُ خَالِدِ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماءِ القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفة فإنهم يُجبزون معه حذفَ النون التى فى قولك «بَنو» لقربِ مَخْرَجِ النون من اللامِ، وذلك قولك : فلانٌ من «بَلْحارِثِ» و «بَلْعَنْبرِ» ، «بَلْهجَيْم».

وقال آخرُ من الخوارجِ :

يَرَى مَنْ جاءَ يَنْظُرُ مِن دُجَيْل شَيوخَ الأزدِ طافيةً لِحَاها(١)

وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ والحائزُونَ بِنَافِعِ بنِ الأزْرَقِ
والموتُ حَتْمٌ لا مَحَالَةَ واقِعٌ مَنْ لا يُصبِّحُه نَهاراً يَطرُقِ
فلئِن أميرَ المؤمنينَ أصابَهُ رَيْبُ المنونِ فَمَن يُصبْهُ يَغْلَقِ

---

(١) دجيل : نهر بالأهواز.

نَصَبَ بعـدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ الجـزاء للفعـلِ ، فإنما أرادَ : فَلَئنْ أصابَ أمـيرَ المؤمنين، فلماحذَف هذا الفعلَ وأضمرَ ذَكَرَ «أصـابَه» ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمرِ ابن تولَب :

لا تَجْـزَعِى إنْ مُـنْفِـساً أَهْـلكتُـه وإذا هَلَكْتُ فـعندَ ذلك فَاجْـزَعى

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا ابنَ أَبـى مُوسَـى بلالاً بَلَغْـتِـه فقـامَ بفأسٍ بين وِصْلَـيكَ جازِرُ[1]

لأنّ «إذا» لاّ يليها إل الفعلُ، وهى به أولَى .

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

هذا باب « فُعَلَ »

اعلم أن كلَّ اسمٍ علىَ مثالِ « فُعَل » فهو مصروفٌ فى المعرفة والنكرة إذا كان اسماً أصليًّا أو نعتاً، فالأسماءُ نحو، صُرَد ونُغَر وجُعَلٍ، وكذلك إن كان جَمْعاً، نحو: ظلم وغُرَف. وإن سَمَّيْتَ بشىءٍ من هذا رجلا انصرفَ فى المعرفة والنكرةِ. وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاق حُطَمْ *

وكذلك مالٌ لُبَدٌ، وهو الكثيرُ، من قوله جلَّ جلالُه : ﴿**أَهْلَكتُ مَالا لُبَدًا**﴾(١).

فإن كان الاسمُ على «فُعَلَ» مَعْدُولا عن «فَاعِلٍ» لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة، وينصرفُ فى النكرةِ، وذلك نحوُ: عُمَرَ وقُثَمَ، لأنه معدولٌ عن عامر، وهو الاسمُ الجارى على الفعلِ، فهذا مِمَّا معرفتُه قبل نكرَته، فإذا أُريدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تبَنِيَه فى النداء من كل فِعْلٍ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه، وذلك قولُك : يا فُسَقُ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : « بيَدَىْ ملْحَادَة غُدَرَ » فى غير النداء للضرورة، فنقلتْهُ معرفةً من النداءِ، ثم جعلَتْه نكرة لخروجه عن الإشارةِ، فنعتَتْ به «ملْحَادَةً» كما قال الحُطَيْئَة:

أجَولُ ما أُجَولُ ثم آوِى إلى بيتٍ قَعِيدتُهُ لكَاعِ

وهذا لا يقعُ إلاَّ فى النداء ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً. على حدِّ ما كان له فى النداء. فيُلْحَقُ قولُها «غُدَرٌ» بقوله: رجلٌ حُطَمٌ، ومالٌ لُبدٌ، وما أشْبَهُ، و «فَعَالِ» فى المؤَنَّث بمنزلة «فُعَلٍ» فى المذكَّرِ، ولو سميتَ رجلاَ «حُطَماً» لصرَفْتَهُ، من قولك: هذا سائقٌ حُطَمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير معدولٍ، فهو فى النعوت بمنزلة «صُرَدٍ» فى الأسماءِ .

---

(١) سورة البلد .

هذا باب النسب إلى المضاف

[النسب إلى العلم المضاف]

اعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول، وذلك قولُك في عَبْد القَيْس: عَبْدِيٌّ، وكذلك في عبد الله بن دارم، فإن كان الاسمُ الثاني أشْهَرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه، لئلا يَقَعَ في النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسمٍ، وذلك قولُك في النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنَافٍ مَنافيٌّ، وإلى أبي بَكْرِ بن كلابٍ بكْرِيٌّ.

وقد يجوزُ، وهو قليلٌ، أن تَبْنِيَ له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ، وذلك قولك في النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ، وفي النسب إلى عبد القَيْس عَبْقَسِيٌّ .

[النسب إلى المضاف غير العلم]

فإن كان المضافُ غير عَلَم فالنَّسبُ إلى الثاني على كل حال، وذلك قولُك في النسب إلى ابن الزُّبير زُبَيْرِيٌّ، لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير، وكذلك النَّسبُ إلى ابن رَأْلانَ رَأْلانِيٌّ، فلذلك قالوا في النَّسب إلى ابن الأزْرَقِ أزْرَقِيٌّ، وإلى أبي بَيْهَسٍ، بَيْهَسِيٌّ.

[النسب إلى الجماعة]

فأما قولهم: «صُفْرِيٌّ» فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوان، فَنَسَبُوا إلى الجماعة. وحَقُّ الجماعة إذا نُسبَ إليها أن يَقَعَ النسبُ إلى واحدِها، كقولك: مُهَلَّبِيٌّ. ومِسْمَعِيٌّ، ولكن جعلوا «صُفْراً» اسماً للجماعة، ثم نسبوا إليه، ولم يقولوا: أصْفَرِيّ، فَيُنْسَبُ إلى وحَدِها، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصُّفْرَ اسماً للجماعة، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحد، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنْصار، أنْصَارِيٌّ لأنه كان عَلَماً للقبيلة، وكذلك مَدَائِنيّ. وتقولُ في النسبِ إلى الأبْناء من بني سَعْد أبناوي، لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولهم: «الأزَارِقةُ»، فهذا بابٌ من النَّسَب آخرُ، وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ، إذا كانوا يُنْسَبُونَ، ونظيُره المهالِبَةُ، والمَسامِعةُ، والمناذِرَةُ.

ويقولون: جاءنى النُّمَيْرُونَ والأشعَرُونَ جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْراً وأشْعَرَ، فهذا يَتَّصِلُ فى القبائل، على ما ذكرتُ لك.

وقد تُنْسَبِ الجماعةُ إلى الواحد على رأى أو دينٍ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الولادَة، كما قالوا أزرَقِىٌّ، لمن كان على رأى ابن الأزْرَق، كما تقول تميمى وقيسىٌّ لمن وَلَده تميمٌ وقَيْسٌ، ومن قرأَ: ﴿سَلامٌ على إلْيَاسِينَ﴾[1]، فإنما يريد إلْيَاس عليه السلامُ، ومَنْ كان على دِينه، كما قال:

* قَدْنِىَ من نَصْرِ الخبيبينَ قَدِ *

يريدُ أَبَا خُبَيْبٍ ومن معه.

وقد يجتمعُ الرجل مع الرجل فى التثنية إذا كان مَجازهما واحداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قولهم: «العُمَرَان» لأبى بكرٍ وعمرَ رضى الله عنهما، ومن ذلك قولهم : «الخُبَيْبَانِ» لعبد الله ومُصْعَبٍ، وقد مضى تفسيرُه.

(١) سورة الصافات ١٣٠ .

عاد القولُ في الخوارج

قال : والأزارقةُ لا تُكَـفِّرُ أحدًا من أهل مقـالتها فى دار الهجْـرَة إلاّ القاتلَ رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلمُ حجةُ الله، والقاتِلُ قَصَدَ لقَطْعِ الحجة.

[الأزارقة وولاة البصرة]

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالكِ بن مسْـمَعٍ فى الحرب التى كانت بين الأزْد وربيعةَ وبنى تميمٍ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيده إلى حمَالة سيفه وقال: ألاَ تنصرنـا فى حربنا هذه! فـقال: لا يحلُّ لى ، قال: فـما بالُ مُؤْمـنِى بني تميمٍ يَنصـرون كُـفَّارَهم في هـذه الحرب! فـأمْسَـكَ عنه، وخَرج بـعدَ ذلك بـأيامٍ إلى الأهْوازِ، فلما قُـتِلَ مَنْ قُتِلَ ممَّنْ بخَـازرَ من الخوارجِ فى أيامِ ابن المَاحُوزِ كَـرِهَ بَبَّةُ القتـالَ، وأقام حارثةُ بن بَـدْرٍ الغُدَانِىُّ بإزاء الخوارج، يـناوشُهم على غـير ولاية، وكان يقولُ: ما عُذْرُنا عندَ إخواننـا من أهل البصرة إنْ وَصَلَ إليهم الخوارجُ ونحن دونهم! فكتب أهلُ البصـرة إلى ابن الزُّبير يخبرونه بقُعُود بَـبَّةَ، ويسألُونَه أن يُوَلِّيَ والياً، فكتب إلى أنَس بن مالك أن يُصَلِّيَ بالناس، فصلَّى بهم أربعين يوماً، وكَتَب إلى عمرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاّه البصرةَ. فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ، وهو فى بعضِ الطريـقِ، فرجَعَ فأقام بالـبصرة، وولّى أخاه عـثمانَ محـاربةَ الأزارقَة، فخرج إليهم فى اثنى عشرَ ألفاً، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه، وعبيدُ الله بن الماحُوز فى الخوارج بسُوق الأهْواز، فلمَّا عَبَرُوا إليـهم دُجَيْلاَ نهضَ إليهم الخوارجُ، وذلك قَبْيلَ الظُّـهْر، فقال عثمـانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْرٍ: أمَّـا الخوارجُ إلاَّ ما أَرى! فقال له حارثة: حَـسْبُك بهؤلاء! فقال: لا جَرَمَ، واللهِ لا أَتَغَـدَّى حتى أناجزَهم! فقال له حارثةُ: إنَّ هؤلاء لا يُقاتَلُونَ بالتَّعَـسُّفِ، فأَبْقِ على نفسك وجُنْدك، فقال: أَبَيْتُمْ يا[1] أهل العـراق إلاَّ جُبْنًا! وأنتَ يا حـارثةُ، ما علمكَ بـالحرب؟ أنتَ واللهِ بغير هذا أعلَـمُ! يُعَرِّضُ له بالشراب. فغضبَ حـارثةُ، فاعتزلَ، وحاربَهم عـثمانُ يومهَ إلى أنْ غـابت الشمسُ، فـأَجْلَت الحَربُ عنه قـتيلاً، وانهـزَمَ الناسُ، وأخذَ حارثةُ الـرايةَ، وصاحَ بالناس: أنا حـارثةُ بن بدرٍ، فثـاب إليه قومُـهُ، فعَبَـرَ بهم دُجَيْلا، وبَلغَ قَتلُ عثمانَ البصرةَ؛ وخاف الناسُ الخَوارجَ خوفاً شديدًا.

---

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعَزَل ابن الـزُّبير عُمَـرَ بنَ عبيـد الله ، ووَلّى الحارث بن عبـد الله بن أبى رَبيعـةَ، المعروفَ بالقُبَـاعِ، أحدَ بنى مَخزومٍ، وهـو أخو عُمَرَ بن عـبد الله بن أبى ربيعـة المخزومىِّ الشاعر، فـقدم البصرةَ، فـكتبَ إليه حارثةُ بن بدر يـسأله الولايَة والمَدَدَ، فأراد توليتَه[1]، فقال له رجلٌ من بكْرِ بن وائلٍ: إن حارثةَ لَيس بِذاك، إنما هو رجل شَرابٍ[2]، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه[3]:

أَلَـمْ تَرَ أَنَّ حـــارثةَ بـن بَـدْرٍ ... يُصَلِّـى وهو أكفَـرُ من حمَـارِ
ألم تَـرَ أنَّ لِلْـفـتـيـان حـظاً ... وحَظّك فـى البَـغايا والـقِمَـارِ

فكتب إليه القُبَاعُ: تكفينى[4] حَرْبَهم إن شاء الله .

فأقام حارثةُ يدافِعُهُم.

فقال شاعرٌ من بنى تميمٍ يَذْكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْس وحارثةَ بن بدرٍ :

مضَى ابنُ عُبَيْس صابراً غيرَ عاجزٍ ... وأعْـقَبَنـا هذا الحجـازىُّ عـثمـانُ
فأرْعَـدَ من قبْلِ اللقـاء ابن مَعْـمَرٍ ... وأبْرَقَ والـبَـرْقُ اليـمـانىُّ خَـوَّانُ
فَضَـحْتَ قُرَيْشـاً غَثَّهـا وسَمينـها ... وقـيلَ بنو تَيْـم بن مُرَّةَ عُـزْلان[5]
فلولا ابـنُ بدر للعِـراقَين لـم يَقُمْ ... بما قـام فـيـه للـعـرَاقيْـن إنسـانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقـيقةِ أومأتْ ... إليـه مَـعَـــدٌّ بالأنوفِ وقَـحْطان

* * *

قوله: «فأَرْعَدَ»، زعمَ الأصمعىُّ أنه خطَأ، وأن الكُمَيْتَ أخطأ فى قوله:

أَرِعـــدْ وَأَبْـرِقْ يـا يَـزيـد ... فـمـا وَعِـيدُكَ لـى بضـائرْ

وزعمَ أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ وهو قولُه:

---

(١) ر : « أن يوليه » .
(٢) ر : « صاحب » .
(٣) نسبه المرصفى إلي علقمة بن عبد المازنى .
(٤) ر : « تكفى » .
(٥) عزلان : حمع أعزل ؛ وهو من لا سلاح معه .

أنْبَضُوا مَعْجِس القِسِى وأبْرَقْناكما تُرْعِدُ الفُحولُ الفحولا[١]

وأنه لا يُقـال إلاَّ «رَعَد وبَرَقَ» إذا أَوْعَد وتَهَـدَّدَ ،وهو «يَرْعُدُ ويَبْـرُقُ» وكذا يُقالُ: رعَدَتِ السماءْ وبَرَقَتْ، وأرْعَدْنا نحن وأبْرَقنا، إذا دَخَلنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ، قال الشاعرُ :

* فقلْ لأبى قابوسَ ما شئْتَ فارْعُدِ *

ورَوَى غيرُ الأصمعى «أرْعَدَ وأَبْرَقَ» على ضَعْف.

قوله: «والبَرْقُ اليَمانىُّ خَوَّان»، يريد والـبرقُ اليمانىُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ إلى اليمنِ «يمَنىٌّ» ويجوزُ «يمَان» بتخفيف الياء،وهو حَسَنٌ، وهو فى أكثر الكلامِ، تكونُ الألفُ عـوَضاً من إحدى الـياءَين، ويجـوزُ «يَمَانىٌّ» فاعـلم ، تكونُ الألفِ زَائدةً وتُشَدَّدُ اليَاءُ، قال العَبَّاسُ بن عبد المُطَّلِب :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَـرْبَ الأحَامِسِ غُدْوَةً بكـلِّ يَمـَانىٍّ إذا هزُّ صَـمَّـمَـا[٢]

[تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم]

ثم إنّ حارثةَ لَمَّـا تفرَّق الناسُ عنه أقـام بنهر تِيرَى ،فـعَبَرَتْ إليـه الخوارجُ، فهربَ وأصحابَه يَرْكُضُ، حتى أتى دُجَيْلاً، فـجلس فى سفينة، واتَّبعه جماعةٌ من أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه، والخوارجُ وراءَه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ ، فـصاح به: يا حارث؛ ليس مـثلى ضُيِّعَ، فقال للـملاَّح: قرِّبْ. فقرَّبَ إلى جُرُفٍ، ولا فُرْضَةَ هناك[٣].

فطَفَرَ[٤] بسلاحه فى الـسفينة ، فساخَتْ بـالقوم جميعـاً، وأقامَ ابنُ المَاحُوز يَجْبى كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ، ثم وَجَّهَ الزُّبْيَرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة. فضجَّ الناسُ إلى الأحنف، فأتى الـقُباعَ فقال: أصلـح اللهُ الأميرَ! إن هذا العدوَّ قـد غَلَبنا على سَوادنا وفَيْـئنا، فلم يبق إلاَّ أن يحصُرَنـا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً، قال: فـسَمُّوا رَجلاً، فقالَ الأحنفُ: الرأىُ لا يُخيل[٥]، ما أرى لها إلا المُهَلَّـبَ بن أبى صُفْرَةَ،

---

(١) الإنباض : جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس : مقبضها، أو موضع السهم منها .

(٢) الأحامس : جمع أحمس، وهو الشديد الصلب فى الدين والقتال.

(٣) الجرف : ما أكله السيل من أسفل شقى الوادى والنهر . والفرضة : ثلمة فى النهر يسقى منها .

(٤) طفر : وثب .

(٥) لا يخيل : لا يشتبه .

فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة! اجتمعوا إلىَّ فى غَد، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ، وعَقَدَ الجِسْرَ ليَعْبُر إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه.

وقد اجتَمع للخوارج أهلُ الأهواز وكُوَرها، رغبةً ورَهْبَةً، فأتاه البصريون فى السُّفنِ وعلى الدوابخ ورَجَّالة. فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ، فقال الزبيرُ لَمَّا رآهم: أَبَى قومُنا إلاَّ كُفْراً، فقطع[1] الجسرَ، وأَقام الخوارجُ بالفرات بإزائهم، واجتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً، وكانوا ثلاثَ فِرَق، فَسَمَّى قومٌ المهَلَّبَ، وسَمَّى قومٌ مالكَ بنَ مسْمَع، وسَمَّى قومٌ زيادَ بن عمرو بن الأشرف العَتَكىَّ، فصرفهم، ثم اختَبَر ما عند مالك وزياد، فوجدَهما مُتَثاقلَيْن عن ذلك[2]، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا: قد رَجَعْنا عن رأينا، ما نَرَى لها إلاَ المُهَلَّب، فوجَّه الحارثُ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد تَرَى ما رَهقَنَا[3] من هذا العدوّ، وقد اجتمعَ أهلُ مصْرَك عليك، وقال الأحنفُ: يا أبا سعيد، إنَّا والله ما آثرناك بها ولكنَّا لم نَرَ مَنْ يقومُ مَقامك. فقال الحارثُ ـ وأَوْمأَ إلى الأحنَف ـ إن هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ إلاَ إيثاراً للدِّين، وكلُّ مَنْ فى مصْرك مادٌّ عَيْنَهُ إليك. راجِ أن يكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغمَّةَ بك، فقال المهلَّبُ: لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله، إنى عندَ نفسى لَدُونَ ما وَصَفْتُمْ، ولستُ آبياً ما دَعَوْتُم[4] إليه، على شُروط أشترطُها. قال الأحنفُ: قُلْ، قال: على أنْ أنْتَخبَ مَنْ أحببتُ، قال: ذاك لَكَ، قال: ولى إمْرَةُ كلِّ بلد أَغْلبُ عليه، قال: وذاك لكَ، قال: ولى فَىْءُ كل بلد أَظْفَرُ به.

قال الأحنفُ: ليس ذاك لكَ ولا لنَا، إنما هو فَىْء المسلمين، فإن صلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوّهم، ولكن لك أن تُعطى أصحابَك من فْىء كل بلد تغْلبُ عليه ما شئتَ. وتُنْفق(٥ منه ما شئت٥) على محاربةِ عدوّك، فما فضلَ عنكم كان للمسلمين. فقال المهلب: فمَنْ لى بذلك؟ قال الأحنفُ: نحن وأميرُك وجماعةُ أهلِ مصرك، قال: قد قبلْتُ.

---

(١) ر: « فقطعوا ».
(٢) ر: « عن ذاك ».
(٣) رهقنا: أتعبنا.
(٤) س: « مما دعوتم ».
(٥-٥) ساقط من ر.

فكتبـوا بذلك كتاباً ووُضِعَ عـلى يَدَى الصَّلْت بن حُرَيْث بن جـابرٍ الحنفى، وانتخبَ المهلَّبُ من جميع الأخماسِ، فبلغت نخبُتُه اثنى عَشَرَ ألفاً، ونظروا ما فى بيت المال، فلم يكن إلاّ مائَـتى ألف درهم، فعَجَزَت، فبعثَ المـهلبُ إلى التُّجَار: إنّ تجارتَكم مُذ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ علـيكم بانْقطاعِ موادِّ الأهواز وفارسَ عنكم، فهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أوْفكُمْ إن شاء الله حـقوقكم، فتاجرُوه، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكَره، واتخذ لأصحابه الخفَاتِينَ والرَّانات المَحْشُوَّةَ بالصُّوف.

ثم نَهَضَ وأكـثر أصـحابه رَجَّـالُة، حتى إذا صـار بحذاء القـوم أمر بسـفُنٍ فأحضِرتْ وأُصْلحتْ، فـما ارتفَع النهارُحتي فُرِغَ منها، ثم أَمَـرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ، وأمَّر عَليهم ابْنهُ المغيرةَ، فخرج الناسُ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم[1] بالسهام حتى تنحَّـوْا، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ، فحارَبُوهم فكشفَوهم وشغَلـوهم، حتى عَقَدَ المهلّبُ الجِسْرَ، وَعَبَرَ والخوارجُ منهزمون، فَنَهَى الناسَ عن اتّباعهم، ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأزْد:

إنَّ العــراقَ وأهلـهُ لم يخْــبـُروا مثل المُـهَلب فى الحروب فَسَـلَّمُوا
أَمْـضى وأَيْمَنُ فى اللـقَاءِ نَقيبَـة وَأَقَلَّ تـهليـلاً إذا مـا أحْـجَـمُـوا

التهليلُ: التكذيبُ[2] والانهزام.

وأبْلَى مع المغيرة يومـئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرٍو العَنْبرىُّ، وكـان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم، فقال عطيةُ:

يـدْعى رجـالٌ لـلـعطاءِ وإنما يُدْعَـى عَطِيَّـةُ للطعـانِ الأجْـرَدِ

وقال الشاعر:

ومـا فــارسٌ إلاّ عطـيـةُ فـوقَـه إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجذها الفَما
بـه هَـزَمَ اللهُ الأزارقَ بـعــدَمــا أَباحُـوا من المِصْرَيْن حِـلاًّ وَمحْـرَمَا

فأقام المـهلَّبُ أربعين يوماً يَجْبـى الخَراجَ بِكُور دِجْلَة، والخوارجُ بنهـر تيرَى والزبيـر بن علىٍّ منفردٌ بعـسكره عن عسـكر ابن المَاحُوزِ، فَـقَضى المهلّب التُّـجَار

(١) نضحهم بالسهام: رماهم بها.

(٢) قال المرصفى: «التكذيب: مصدر كذب فى القتال إذا فر ونكس».

وأعْطَى أصحَابَه، فـأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجـاهدة الخوارج، ولما فى الغنائم، وللتِّجارات، فكان فـيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأزدىُّ وعبـدُ الله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ ابن قُرَّةَ المَرىُّ ـ وكان يقـولُ ـ يعنى معاويةَ ـ: لو جاء الدَّيْلَـمُ من هاهنا والْحَرورية من هاهنا لحاربتُ الحـرويةَ ـ وأبو عمْرانَ الجَوْنىُّ كان يقول: وكَـانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتيلَ غيرهم بعَشَرة أَنْوارٍ.

ثم نَهَضَ المهلّبُ إليهم إلى نهر تيرَى. فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز. وأقام المهلَّبُ يَجْبِى ماحَـواليه من الكُـور، وقد دَسَّ الجَـواسيسَ إلى عـسكر الخوارجِ، فـأَتَوهُ بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم، فإذا حُشْوةٌ[1]؛ ما بين قَصَّارٍ وصبَّاغٍ ودَاعرٍ وحَدَّاد.

فَخطَبَ المهـلّبُ الناسَ فَذَكَرَ مَنْ هُناكَ وقـال للناس: أَمثْلُ هؤلاء يَغـلبونكم على فَيْئكم! فلم يَزَلْ مـقيماً حتى فهمَهُمْ وأُحْكَمَ أَمْرَهُ، وقَـوَّى أصحابَه، وكثرت الفُرْسانُ فى عسكره، وتَتَامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفاً.

ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهواز، فاسْتَخْلَفَ أخاه المُعاركَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تِيرَى ، وفى مُقَدِّمـته المغيرةُ بن المَهلب، حتى قاربَهُمُ المغيـرةُ، فَنَاوَشوه، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابه، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومه وليلته، يُوقدُ النيرانَ ثم غاداَهم القتالَ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرَانَ فى ثِقْلة متاعهم، وارْتَحُلوا عن سوق الأهواز، فدخلَها المغـيرة، وجاءَت أوائـلُ خيلِ المَهلَّب، فـأقام بسُـوق الأهواز، وكتـب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ: فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نعَمٍ من الله متصـلة علينا، ونقْمة من الله مـتتابعة علـيهم، نُقْدِمُ ويُحْجِـمونَ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ، إلى أن حَلَلْـنَا سُوقَ الأهوازِ، والحمدُ لله ربِّ العـالمين، الذى من عنده النصرُ، وهو العزيزُ الحكيمُ.

فكتب إليه الحـارثُ : هَنِيئاً لك أَخَا الأزْدِ، الشَّرَفُ فى الـدنيا، والذخرُ فى الآخرةِ، إن شاء الله !

فقال المهلّبُ لأصـحابه : ما أَجْفَى أهلَ الحجـاز ! أَمَا تَرونَهُ عرف[2] اسمى واسمَ أبى وكُنْيَتى !

---

(١) حشوة الناس : رذاالهم .　　(٢) ر : « يعرف » .

وكان المهلّبُ يَبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ، كما يبثُّهم[1] فى الخوف، ويُذْكِى العُيونَ فى الأمصار، كما يُذْكيها فى الصَّحارَى، ويأمر أصحابَه بالتَّحرُّز، ويُخوفَهم البيَاتَ [1]، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ، ويقولُ: احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكيدون، ولا تقولوا: هزَمْنَا وغَلَبْنَا، فإنَّ القومَ خائفون وجِعُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الْحِيلةِ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يا أيُّها الناس؛ إنكم قد عَرفْتُم مذهبَ هؤلاء الخوارج، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنُوكُمْ فى دينكم وسَفَكوا دماءَكم، فقاتلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولهم عليُّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه، فقد لقيهُمْ قبلَكم الصَّابِرُ المحتسبُ مُسْلِمُ بن عبيس، والعَجِلُ المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصى المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعاً وقتلوا. فالْقوهمْ بجدٍّ وحَدٍّ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدكم، وعارٌ عليكم، ونقصٌ فى أحسابكم وأديانِكم أن يغلبكم هؤلاء على فَيْئِكُم، ويطئوا حريمَكُم.

ثمَّ سار يُريدُهُمْ، وهُمْ بمَناذرَ الصُّغْرَى، فَوجَّه عبيدُ الله بن بَشير بن الماحُوزِ رئيس الخوارجِ رجلاً يقال له واقدٌ، مَوْلًى لآل أبى صُفْرةَ من سَبْىِ الجاهلية، فى خمسين رجلاً، فيهم صَالحُ بن مخْراق، إلى نهر تيرَى، وبها المعاركُ بن أبى صُفْرَةَ، فقتلوه وصلبوه، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب. فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ فدخلَ نهر تِيرَى وقد خرج وَاقدٌ منها، فاستنزلَه ودفنه، وَسَكَّنَ الناسَ، وَاسْتَخْلفَ بها، ورجع إلى أبيه وقد حل بَسُولاف[2]، والخوارجُ بها، فَواقعهُمْ، وجعل على بنى تميمٍ الْحَرِيشَ بن هلال، فخرج رجلٌ من أصحاب الْمُهَلّب، يقال له عبدُ الرحمن الإسْكافُ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهوعلى فرس له صفراءَ، فَجَعَلَ يأتى الميمنةَ والْمَيْسَرة والقَلْبَ، فيَحُضُّ الناسَ وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارج، ويَخْتالُ بين الصَّفَّين، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه: يا معشر المهاجرين، هل لكم فى فتكةٍ فيها أريحيةٌ؟

فحملَ جماعة منهم على الإسكاف فقاتَلهم وحدَه فارساً، ثم كَبَا به فرسُهُ[3] فقاتلهم راجلاً، قائماً وبارِكا، ثم كَثُرتْ به الجراحَاتُ، فَذَبَّبُ بسيفه، وَجَعلَ يحْثُو

(١) البيات : الإيقاع بالقوم وهم غارون .
(٢) سولاف : قرية غربى دجيل .
(٣) كبا به الفرس : أى عثر .

الترابَ فى وجـوههم، والمهلَّبُ غيرُحاضـر، ثم قُتلَ رحمه الله ، وَحَـضَرَ المهلَّب فأُخْبر. فقال للحَرِيش وعَطيَّةَ العَنْبَرِىِّ : أَأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهل العسكرِ، لم تُعيناه ولم تَستَنْقذَاهُ حسداً له، لأنه رجل من الموالى! ووَبَّخَهُمَا وحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتله، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكر، فانهزَم الناسُ، وقتَلوا سبعين رجلاً وثَبتَ المهلَّبُ وأَبْلَى المغيرةُ يومئذ وعُرِفَ مكانُهُ، ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذ حَيْصَةَ[1]. وتقولُ الأزْدُ: بل كان يَرُدُّ المنْهزِمَةَ ويَحْمى أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِـى منْقَر بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْد بن مَنَاةَ بن تميمٍ :

بسـولافٍ أَضَـعْـتَ دمـاءَ قـوْمِى ... وطِـرْتَ علـى مُـواشـكَـةٍ دَرُور

قوله : «مُوَاشكَـةٍ» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشْـكِ رحيلٍ. ويقال: ذَميلٌ مُواشِكٌ، إذا كان سريعاً، قال ذُو الرُّمَّة :

إذا مَـا رَمَـيْنَا رَمْـيَـةً فى مَـفَـازَةَ ... عَراقـيبهَـا بالشيَّـظْمى المُواشك[2]

ودَرُورٌ : «فعُولٌ» مِنْ دَرَّ الشَّىْءُ . إذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِـعْنَا الأَعْـوَرَ الْكَذَّابَ طَـوْعـاً ... يُـزَجِّى كُـلُّ أربَعْـةَ حـمَـاراَ[3]

فَـيـا نَدْمَـى علىِ تَـرْكِى عطَـائى ... مُـعَـايَـنَـةً وأَطْلُبـهُ ضِمـاراَ

إذَا الرَّحْـمـنُ يَسَّـر لـى قُـفُـولاً ... فَـحَرِّقَ فى قـرَى سـولاف نارا

قوله: «الأعـورَ الكذَّابَ». يعنى المُهَـلَّبَ، ويقال: عـارتْ عينه بسـهمٍ كان أصابها، وقال: «الكـذَّابَ» لأن المهلَّبَ كان فقيهاً. وكان يعـلَمُ ما جاء عن رسولِ الله ﷺ من قـوله: «كُلُّ كَـذب يُكْـتَبُ كَـذباً إلاَّ ثلاثة: الـكذبُ فى الصَّـلح بين الرجلين، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعدُها، وكَذِبُ الرجلِ فى الحربِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ».

وجاء عنه ﷺ : «إنما أنتَ رجلٌ فَخَذِّلْ عَنَّا فإنما الحربُ خُدْعَةٌ».

---

(١) حاص حيصة : أى جال جولة يطلب بها الفرار .

(٢) الشيظمى : الطويل الجسم.

(٣) يزجى : يسوق .

وقال عليه السلام فى حرب الْخَنْدق لسعد بن عُبَادَة وسعد بن مُعاذ. وهما سَيدا الحيَّيْن. الْخَزْرج والأوْس: «إيتيَا بَنى قُرَيْظَةَ. فإن كانوا على العهد فأَعْلنَا بذلك وإن كَانوا قد نَقضُوا ما بيننا فَالْحَنَا لى لَحنًا أَعْرفه. ولا تَفُتَّا فى أَعْضَاد المسلمين. فرجَعَا بغَدْر القومِ فقالا: يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «أَبْشِرُوا فإن الأمْرَ ما تحِبُّونَ».

* * *

[قال الأخفشُ: سألتُ المَبَرِّدَ عن قولهما: «عَضَلٌ والقَارَة» فقال: هذان حَيَّان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ. فأرادَا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين] .

* * *

قال أبو العباس: فكان المهلّبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ من أمرِ الخوارج ،فكان حَيٌّ من الأزْدِ يقال لهم النَّدَب إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا: قد راحَ المهلّبُ ليكذِبَ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنتَ الفتى كلُّ الفتى ... لو كُنْتَ تَصْدُقُ ما تَقُولُ

* * *

فبات المهلبَ فى ألفَيْنِ، فلما أصبح رجَع بعضُ المنهزمة فصارَ فى أربعة آلاف، فخطب أصحابَه فقال: والله ما بكم من قلَّة،وما ذَهَبَ عنكم إلاّ أهلُ الجُبْنِ والضَّعْف والطَّمَعِ والطَّبَعِ، فإنَ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُهُ، فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله .

فقام إليه الحرِيش بنُ هلاَلَ فقال: أَنْشدُكَ اللهَ [1] أيها الأميرُ أن تقاتلهم إلاَّ أن يُقاتلُوك! فإن بالقوم جراحاً وقدْ أثخنَتْهُمْ هذه الجَوْلَةُ.

فقبِلَ منه ومَضى المهلَّبُ فى عشَرة. فأشْرَفَ على عسكر الخوارج. فلم يَرَ منهم أحداً يتحَّركُ. فقال الحريشُ: ارْتَحِلُ عن هذا الموضعِ، فارتَحَلَ. فعَبَرَ دُجَيْلا، وصار إلى عَاقُول [2] لا يُؤْتى إلاّ مِن وجهٍ واحدٍ. فأَقام به واستراحَ الناسُ ثلاثاً، وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

---

(١) أنشدك الله : أى أذكرك الله .

(٢) العاقول : الأرض لا يهتدى لها .

ألا طرقتْ من آل بثنةَ طارقَه[1] على أنها مَعشُوقةُ الدَّل عاشقَهْ
تبيت وأرضُ السُّوسِ بَيْني وبينها وسُولافُ رُسْتَاقٌ حَمَتْه الأزَارقَهْ
إذا نحن شِئْنَا صَادَفتْنَا عصابةٌ حُرورِيةٌ أَضْحَتْ من الدِّين مارقه
أجازَتْ إلينا العسْكَرَيْن كَلَيْهمَا فباتتْ لنا دُونَ اللحَافِ مُعانِقه

وقد ذكرنا «الضّمارَ» ومعناه الغائبُ، وأصلهُ من قولك: «أَضْمَرْتُ الشيءَ» أي أخفيتُه عنك، ويقال: مالٌ عيْنٌ، للحاضر، ومالٌ ضِمارٌ للغائب، قال الأعْشى:

ومَن لا تَضيعُ له ذمَّةٌ فيَجعَلها بعد عَيْنٍ ضِمارَا

وقال أيضاً :

أبانا فَلاَ رِمْتَ منْ عنْدنَا فإنَّا بِخَيْرٍ إذَا لَمْ تَرِمْ
أرانَا إذا أضْمَرتَك البلا دُ تجْفَى وتقطعُ مِنَّا الرَّحِمْ

والفعلُ من هذا أَضْمَرَ يُضْمِرُ، والمفعولُ به مُضْمَرٌ، والفاعل مُضْمِرٌ، والضِّمارُ اسمٌ للفعل فى معنى الإضمار، وأسماءُ الأفعال تَشْرَكُ المصادرَ فى معانيها، تقول: أعطيته عَطاءً، فيَشْرَكُ العَطاءُ الإعْطاءَ فى معناه. ويُسمَّى به المفعولُ، وتقول: كلَّمتُه تكليماً وكلاَّماً، فى معناه، والمصدرُ يُنْعتُ به الفاعلُ فى قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نوْمٌ. ويومٌ غَمٌّ وغَيْمٌ، وينعتُ به المفعولُ فى قولك: رجل رضِىٌّ. وهذا درهم ضَرْبُ الأمير. وجاءَنى الخَلْقُ، تعنى المخلوقين.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليومِ :

وكائنْ تركْنَا يومَ سُولافَ منهمُ أسارَى وقتْلَى فى الجحيم مَصيرُها

وقوله :«وكائنْ» معناه «كمْ». وأصلْه كافُ التشبيه دخلتْ على «أيٍّ» فصارتا بمنزلةِ «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهما. إنما هى «ذا» دخلت عليها الكاف، والمعنى له كهذا العدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهماً، فهو كناية عن

(١) ر : «بيبة» : س . «مية» . وما أثبته رواية الأصل .

أحَدَ عَشَرَ درهماً إلى تسعةَ عَشَرَ، لأنه ضَمَّ العدَدَيْن، فإذا قال: كذا وكذا، فهوكنايةٌ عن أحد وعشرين إلى ما جازَ فيه العطفُ بعدهُ. ولكنْ كَثُرَتْ «كأيٍّ» فَخُفِّفَتْ والتشقيلُ الأصلُ، قال الله تعالى: ﴿وكَأَيٍّ منْ قرْيَة أمْلَيْتُ لهَا وهي ظالمَةٌ﴾[1] ﴿وكَأَيِّ مِنْ نبيٍّ قاتَلَ معَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[2]، وقد قُرِئَ بالتَّخْفيفِ كما قالَ الشاعرُ:

وكائن رَدَدْنَا عنكم مِن مدجّجٍ يَجيءُ أمامَ الألف يردِي مُقَنّعا[3]

وقال آخرُ:

وكائن تَرى يومَ الغُمَيْصاءِ مِن فتى أصيب ولم يجْرَحْ وقد كان جارِحَا[4]

قال أبو العباس: وهذا أكثرُ على ألسنتهم، لطلب التخفيف. وذلك الأصلُ، وبعض العرب يَقْلِبُ فيقول: «كَيْءٍ» يافتى، فيؤخِّرُ الهمزة لكثرة الاستعمال، قال الشاعر:

وكَيْءٍ في بني دُودَانَ منهم غداةَ الرَّوْعِ معروفاً كَمِيٌّ

قال أبو العباسِ: فأقام المهلبُ في ذلك العَاقولِ ثلاثةَ أيامٍ ثم ارتحلَ. والخوارج بسلَّى وَسِلَّبْرَى.

* * *

[قال الأخفش: «سَلَّى» و «سَلَّبْرى» بفتح السين فيهما: موضعانِ بالأهواز، و «سِلَّى» بكسر السين موضعٌ بالبادية، وكذا يُنْشَدُ هذا البيت:

كَأَنَّ غَديرَهمْ بجنُوبِ سَلَّى نَعامٌ قاقَ في بلدٍ قِفَار

* * *

فننزل قريباً منهم، فقال ابن الماحوز لأصحابه: ما تنتظرون بعدُوِّكم وقد هزَمتموهم بالأمس وكَسرتْمْ حَدَهم؟ فقال له وافدٌ مَوْلَى أبي صُفْرَةَ: يا أمير المؤمنين، إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضعف والجُبْن، وبَقِي أهلُ النجْدةِ والقوةِ، فإن

---

(١) سورة الحج ٤٨ . (٢) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٣) يردى : يعدو . والمقنع : المغطى بالسلاح .

(٤) الغميصاء : موضع بالبادية قرب مكة .

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئا، لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غَلَبْوا ذهب الدِّينُ، فقال أصحابُهُ: نافقَ وافدٌ، فقال ابن الماحُوز: لا تَعْجَلُوا على أخيكم، فإنه إنما قـال هذا نظراً لكم، ثـم تَوجَّهَ الزبـير بن على إلـى عسكر المـهلَّب لِيَنْظـرَ ما حالهم، فـأَتَاهم فى مائَتَين ، فَـحزَرَهمْ ورجَع وأَمرَ المهـلَّبُ أصحابَه بالتَّـحارُس، حتى إذا أَصبح ركِبَ إليهم على تَعْبِيَةٍ صحيـحة، فالْتقَوْا بسلَّى وَسلَّبْرَى فَتصَافَّوا، فخـرج من الخوارج مائة فـارس، فركَزوا رماحـهم بين الصَّفَّـيْنِ واتَّكئُوا عليـها، وأخرج إليهـم المهلَّب عدادَهم، ففعلـوا مثلَ ما فعلوا، لا يَرِيمُونَ إلاّ لِـصلاةٍ حتى أَمْسَوْا ، فرجع كلُّ قوم إلى مُعَسْكرهِمْ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ.

ثم إن الخوارجَ تَطاردُوا لهم فى اليوم الثالث، فـحَملَ عليهم هؤلاء الفرسان يجولون سـاعةً. ثم إن رجلاً من الخوارج حَـمَلَ على رجل فطعنهُ، فحـمل عليه المهلَّبُ فطعنه، فَـحَملَ الخوارجُ بأجمعهم، كـما صَنَعُوا يوم سُولافَ، فَضَـعْضعوا الناسَ، وَفقدَ المهلَّبُ. وثبتَ المغيرةُ فى جمعٍ أكثُرهم أهلُ عمانَ، ثم نجم المهلّبُ[1] فى مائـة فارس. وقد انغـمَسَتْ كفّـاهُ فى الدَّم، وعلى رأسه قَلَـنْسُوَةٌ مُربَّعـةٌ فوقَ الْمغفر[2] مَحْشُوةٌ قَـزًّا. وقد تمزَّقَتْ، وإنّ حَشْوَها ليَـتطَايرُ، وهو يَلْهَثُ، وذلك فى وقت الظُّهْر، فلم يزَل يحاربُهم إلى الليل، حتى كَثُر القتلُ فى الفريقين.

فلما كان الغَدُ غاداهم، وقد كان وَجَّهَ بالأمسِ رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فـهْم بن الأزد يَردُّ المنهزمين، فـمرَّ به عامـرُ بن مسْمَعٍ فردَّه، فـقال: إن الأميرَ أذنَ لى، فبعث إلى المهلَّب فأعلمه، فـقال: دعْهُ فلا حاجةَ لى فى مثله من أهلِ الجبنِ والضَّـعْف، وقد تفـرّق أكثُر النـاس، فغاداَهم المهـلّبُ فى ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكُمْ من قلة، أيعْجزُ أحدُكُمْ أن يَرْمى رمحه ثم يَتَقَدَّم فيأخُذَه، ففعلَ ذلك رجلٌ من كنْـدَةَ يقَالُ له عيَّاشٌ، وقال المهلَّبُ لأصحـابه: أعدُّوا مخاليَ فيهـا حجارةٌ وارمُوا بهـا فى وقت الغَفْلة. فـإنها تصدُّ الفـارس وتصْرَعُ الراجلَ، ففعَلوا، ثـم أمر منادياً يُنادى فى أصحابه، يَـأْمُرُهُمْ بالجدِّ والصبْرِ، ويُطْـمعُهُمْ فى العدُوِّ، ففعَـلَ، حتى مرَّ ببنى العدويَّة، من بنى مالك بن حنْظلة فضَرَبُوهُ، فدعـا

---

(١) نجم : ظهر .

(٢) المغفر : ما يقى الرأس : وهو حلق يتقنع بها المسلح .

المهلَّبُ بسيِّدهم، وهو معاوية بن عمْرو فَجعَلَ يَرْكُلُه(١) برجْله، وهذا معروفٌ فى الأزْد، فقال: أصلَح الله الأمير! أَعْفنى منْ أَمِّ كيْسَانَ - والرُّكْبَةُ تُسَمِّيهَا الأزْد «أمَّ كَيْسَانَ». ثم حمل المهلَّبُ وحَمَلُوا. فاقتتلوا قتَالاً شديداً. فجَهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: أَلا إنّ المهلَّبَ قد قُتِلَ! فركبَ المهلَّبُ برْذوْناً قصيرا أَشْهَبَ. وأَقبَلَ يرْكُضُ بين الصَّفَّيْنِ، وإنَّ إحْدَى يديه لَفى القباء ومـا يَشْعُرُ بها. وهو يصـيحُ أنَا المهلَّبُ! فسكنَ الناسُ بعـدَ أَنْ كانوا قد ارتابُوا، وظنُّوا أَنَّ أَميرَهم قـد قُتل، وكَلَّ الناسُ مع العَصْـر، فصاحَ المهلبُ بابنـه المغيرة: تقَدَّمْ. فـفعَلَ. وصاحَ بذَكـوانَ موْلاه. قدِّمْ رَايَتَكَ. فَفَعل. فقال له رجلٌ مـن وَلَده: إنك تُغـرِّرُ بنفسك، فَذَمَرَهُ(٢) ثم صاحَ: يا بنى تميم، أآمُرُكُمْ فتعصوننى! فَتـقدَّمَ وتقدم الناسُ، واجْتَلَدُوا أشدَّ جلاد، حتى إذا كان مع المَسَاء قتِلَ ابنُ المَاحُوز. وانصرفَ الخوارجُ ولم يَشْعُر المهلَّبُ بقتلِه، فقال لأصحابه: ابْغـونى رجلاً جَلْداً يطُوفُ فى القَتْلَى، فأشاروا عـليه برجلٍ من جَرْمٍ، وقالوا: إنَّا لم نَر رجلا قَط أَشـدَّ منه، فطَوَّفَ ومعه النِّيرَانُ، فَجَـعَلَ إذاً مَرَّ بجريح من الخوارج قال: كافـر وربِّ الكعبةِ! فأَجْهَزَ عليه. وإذا مَـرَّ بجريحٍ من المسلمين أمَرَ بسَقْيِه وحَمْله.

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمُرهم بالاحتراسِ، حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَد. فى عَشَرة فصاروا إلى عسكرِ الخوارج، فإذا القومُ قد تحَمَّلُوا إلى أرّجَانَ، فرجَع إلَى المـهلبِ فأَعْلَمَهُ، فقال: أنـا لَهُم السَّاعَةَ أشدُّ خوفـاً. فاحْذَرُوا البَيَاتَ.

* * *

[قـال الأخْفَشُ: الْيـحْـمَدُ من الأزد. والخلـيلُ منْ بَطْنٍ مـنهم يقـال لهم الفَراهيد. والـفُرْهُودُ فى الأصلِ الحملُ، فإنَ نَسَبْـتَ إلى الحيِّ قلتَ: «فَرَاهدى»، وإن نسبت إلى الحمْلاَنِ قلتَ: «فُرْهودِيٌّ» لا غَيْرُه].

* * *

قال أبو العـباس: ويرْوَى عن شـعْبة بن الحجَّـاج أن المهلَّب قال لأصـحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يئِسوا من ناحيتكم إلا من جهة البَيَاتِ. فإن كان ذلك

(١) الركل: الرفس بالرجل.

(٢) ذمره: حضه.

فاجْعلوا شعارَكُمْ «حَمٓ لا يُنْصرُون» فإن رسولَ الله ﷺ كان يأمُرُ بها ،ويُرْوَى أنه كان شعارَ أصحابِ على بن أبى طالبِ صلوات الله عليه.

فلمَّا أصبحَ المهلب غدَا على القَتْلى، فأصاب ابنَ الماحُوزِ فيهم:

ففى ذلك يقول رجل من الخوارج:

بِسِلّى وَسِلْبرَّى مَصَارِعُ فِتْيَةٍ | كِرَام وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودها

وقال آخرُ:

بسِلَّى وسَلْبرَّى مصارِعُ فتيةٍ | كِرامِ وعَقْرَى من كُمَيْت ومن وَرْدِ[1]

* * *

وقال رجلٌ من موالى المهلّب: لقد صرعتُ يومئذ بحَجرٍ واحد ثلاثة. رميتُ به رجلا فأصبتُ أصل أُذْنه فصرعْتهُ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخَرَ على هامتِه فصرعتُه، ثم صرعتُ به ثالثاً.

وقال رجل من الخوارج:

أتانَا بأحْجار ليقتلَنا بها | وهل تُقْتلُ الأبطالُ وَيْحَك بالحجَرْ!

* * *

وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يومِ سِلَّى وَسِلبْرَى وَقتْل ابن المَاحُوز:

وَيَوم سلى وَسلْبرَى أحاط بهم | منَّا صواعقُ ما تُبْقى ولا تذَرُ
حتى تَركنَا عُبَيْدَ الله مُنْجدِلا | كَما تَجدَّلَ جِذْعٌ مَالَ مُنْقعِرُ

قال أبو العباس: تقولُ العربُ: «صاعقةٌ وَصواعقُ»، وهو مذهبُ أهل الحجاز، وبهُ نزلَ القرآنُ، وبنو تميم يقولون: «صاقِعةٌ وصوَاقِعُ».

والمُنْقَعِرُ: المُنْقطعُ من أصلهِ، قال الله أصدقُ القائلين: ﴿**كأنهُمْ أعْجازُ نَخلٍ مُنْقعِر**﴾[2].

---

(١) نسبه ابن برى إلى أبى المقدام بيهس بن صهيب بن عامر الجرمى، وهو فارس شاعر كان مع المهلب فى هذه الحرب، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن. وعقرى : جمع عقير؛ بمعنى معقور ، من عقر الفرس، إذا قطع قوائمه. (رغبة الآمل).

(٢) سورة القمر ٢٠ .

ويُرْوَى أن رجلاً من الخوارج يوم سِلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلّب فطَعَنَه، فلما خالطَه الرمحُ صاح: يا أَمَّتَاه! فصاح به المهلَّبُ: لا أَكْثَرَ اللهُ بمثلك المسلمْين! فضَحِكَ الخارجيُّ وقال:

أمُّك خيرٌ لك منى صَاحِبَا ... تَسْقيكَ مَحْضاً وتَعُلُّ رائبا

* * *

وكان المغيرة بنُ المهلب إذا نَظَرَ إلى الرماحِ قد تَشَاجَرَتْ فى و جهه نَكَسَ على قَرْبوسِ سَرْجِه، وحَمَلَ من تَحتها فَبَراهَا بسيفه، وأثر فى أصحابها، حتى تَخَرَّمَت المَيْمَنَةُ من أجله، وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تَبسُّمًا، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِد معى حرباً قط إلاَّ رأيتُ البِشْر فى وَجْهه.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليوم:

فإن تَكُ قَتْلَى يومَ سِلّى تتابعتْ ... فكم غادَرت أسيافنا من قُماَقم![1]

غداةَ نَكُرُّ المشرفَّية فيهم ... بسُولاف يوم المأزق المَتلاَحِمِ

المأزقُ: هو يومُ تَضايُق الحرب. والمَتلاحِمُ: نعتٌ له. وَالمَشْرَفَّيةُ: السُّيوف. نُسِبْت إلى المشارف مِنْ أرضِ الشَّامِ، وهو الموضعُ الملقبُ «مُوتة» الذى قتِل به جعفرْ بن أبى طالب وأصحابهُ.

* * *

[قال الأخْفَشُ: كان المَبردُ لا يَهْمِزُ «مُؤْتَةَ» . ولم أَسْمَعْهاَ من علمائِنا إلا بالهمزِ] .

* * *

قال أبو العباس : فكَتَب المهلب إلى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القِباع.

(١) القماقم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإنا لقينا الأزارقةَ المارقةَ بحدٍّ وَجدٍّ، فكانتْ فى الناس جَوْلةٌ، ثم ثابَ أهلُ الحفاظ والصبر، بنّيات صادقة، وأبدان شدَاد، وسيوف حدَاد ، فأعْقبَ اللهُ خيرَ عاقبة، وجاوزَ بالنعمة مقدارَ الأمل، فصاروا دَرِيئةَ رماحنا، وضرائبَ سيوفنا(١)، وقتَلَ اللهُ أميرَهم ابنَ المَاحُوز. وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوّلها، والسلام.

* * *

فكَتَبَ إليه القباعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأزْد. فرأيتكَ قد وَهَب اللهُ لك شرفَ الدنيا وعِزَّها. وذَخرَ لك ثوابَ الآخرةِ ـ إن شاء اللهُ ـ وأجْرها، ورأيتُك أوثقَ حصونِ المسلمين. وهادُّ أركانِ المشركين، وأخا السياسةِ وذا الرِّياسةِ، فاستَدِمِ اللهَ بشكره يتْمِمْ عليك نِعَمَهُ، والسلام .

* * *

وكتب إليه أهل البصرة يُهَنِّئونَه، ولم يكتب إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقرءْوا عليه السلام، وقولوا له: أنَا لَكَ على ما فارقْتُك عليه، فلم يزَلْ يقرأ الكتبَ ويَلْتَمِسُ فى أَضْعافِها كتابَ الأحنف، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه: أمَا كتَبَ إلينا؟ فقال له الرسول: حمَّلنى إليك رسالة . وأَبْلَغُه. فقال: هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ.

* * *

واجتمعت الخوارجُ بأَرجَانَ، فبايعُوا الزُّبيرَ بن عليٍّ، وهو من بنى سَليط بن يَرْبُوعٍ، من رَهْطِ ابن الماحوز، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضَعْفاً بَيِّناً، فقال لهم: اجْتَمعُوا، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أَقْبل عليهم فقال: إنْ البَلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخزىٌ، وإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ، وقد أَصبَتُم فيهم(٢) مُسْلمَ بن عُبَيْس ورُبيعاً الأجْذَمَ والحجَّاج بنَ بابٍ وحارثَةَ بنَ بدرٍ. وأَشْجَيْتُمُ المهلبَ. وقتلتم

(١) الدرئة : الحلقة يتعلم فيها الرمى والطعن، والضرائب جمع ضريبة . وهى كل ما ضربت بسيفك .
(٢) ر : « منهم » .

أخاهُ المُعَارك، والله يقولُ لإخوانك منَ المؤمنين: ﴿إن يَمْسَسْكَمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القوم قَرْحٌ مثْله وتلك الأيَّامُ نُدَاولُها بَيْنَ النَّاس﴾[1]، فيَوْمُ سلَّى كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويَومُ سُولافَ كان لهم عُقُوبة ونكالاً، فلا تُغْلبُنَّ على الشُّكْرِ فى حِينه، والصَّبْر فى وقته، وثِقُوا بأنكم المستَخلَفون فى الأرض، والعاقبةُ للمتَّقين.

ثم تَحَمَّل لمحاربة المُهَلَّب. فنفحَهُمُ[2] المهلبُ نَفْحَةً. فرجعَوا فأكْمنَ للمهلَّب فى غُمْضٍ من غُمُوض الأرض[3]، يَقْرُبُ من عسكره، مائةَ فارس ليَغتالُوه، فسار المهلبُ يوماً يطوفُ بعسكره ويتفقد سَوَادَه، فوقَف على جبلٍ فقال: إن من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمْنتْ فى سَفْحِ هذا الجبل كميناً، فبعثَ عَشَرة فوارس، فاطَّلعُوا على المائة، فلما عَلمُوا أنهم قد علموا بهم قَطَعوا القَنْطَرة ونجَوا، وكَسفَت الشمسُ، فصاحوا بهم: يا أعداءَ الله! لو قامت القيامة لجَدَدْنَا فى جهادكم. ثم يَئس الزُّبير من ناحية المهلّب، فَضَرَبَ إلى ناحية أَصْبَهَان، ثم كَرَّ راجعاً إلى أَرْجَانَ، وقد جَمع جموعاً، وكان المهلّبُ يقول: كأنِّى بالزُّبير وقد جمع جموعاً، فلا تَرْهَبُوهُمْ فَتَخْبُثَ قلوبُكم، ولا تُغْفلُوا الاحتراسَ فيَطمَعُوا فيكم، فجاءوه من أرْجَانَ فألْفَوهُ مُستَعدا آخذاً بأفواه الطرق. فحاربوه فظَهَرَ عليهم ظهوراً بيِّناً. ففى ذلك يقول رجلٌ من بنى تميمٍ. أَحْسبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع:

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَ غَيْث ... من الوَسْمىِّ يَنْتَحر انتحارَا[4]
فما وهَن المهلَّبُ يومَ جاءتْ ... عَوابُس خَيْلهم تَبْغى الغِوَارَا

وقال المهلَّبُ يومَئذ: ما وقعتُ فى أمرٍ ضيِّق من الحرب إلا رأيتُ أمامى رجالا من بنى الهجَيمِ بن عَمْرو بن تميمٍ يُجَالِدُونَ، وكأنَّ لحاهُمْ أذنابُ العقَاعِق[5]. وكانوا صَبَرُوا معه فى غير مَوْطِن.

***

(١) سورة آل عمران ١٤٠. (٢) فنفحهم: دفعهم.
(٣) الغموض: جمع غمض؛ وهو المطمئن من الأرض.
(٤) ينتحر انتحارا؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبعق بماء كثير؛ قال الراعى:

فمرَّ عَلَى منَازِلِهَا وَألْقى ... بها الأثْقَالَ وَانتحَرَ انتِحَارَا

(٥) العقاعق: جمع عقعق؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ. من بنى عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

ألاَ يامَـنْ لِصَبٍّ مُسْـتَحِنٍّ [١] ... قَـرِيح القلب قـد صَحِـبَ المَزُونَا
لهــانَ علـى المهلَّبِ مـالَقِـينا ... إذا مــا راحَ مَــســروراً بَطِـينَـا
يجُــرُّ السَّـابِـرىَّ ونحنُ شُـعْثٌ ... كـأنَّ جلودَنا كُـسِـيَتْ طحِـينَا [٢]

المَزونُ : عُمَانَ . وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ :

فـأمَّــا الأزْدُ أَزْدُ أبى سـعـيـدٍ ... فـأكْــرُه أن أُسَـمِّـيَـهَـا المَـزُونَا

وقال جريرٌ :

وأطْفَـأتَ نِـيـرانِ المَزُونِ وأهـلـهـا ... وقـد حاولـوها فـتنة أن تُسَـعَّـرَا

* * *

وَحَمل يومـئذ الحريشُ بن هلالٍ على قـيسِ الإكافِ، وكان قـيسٌ من أَنْجَدِ فُرْسانِ الْخوارجِ، فطَعنه فَدَقَّ صلْبَهُ، وقال:

قَيْسُ الإكافِ غَـدَاةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنى ... ثَبْتَ الُـمقَـام إذا لاقـيتُ أَقْـرابِى

* * *

وقد كـان فُلُّ المهلبِ يـوم سِلَّى وَسِلَّبْـرَى صاروا إلى البـصرة، فـذكروا أن المهلبَ أصيبَ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنقلة إلى البـادية، حتى وَرَدَ كتابُه بظفره، فأقام الناسُ، وتَرَاجعَ من كان ذَهب منهم، فعند ذلك يقول الأحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصـرةُ المهلَّبِ. وقَدِمَ رجلٌ مـن كِنْدةَ يقال لـه فلانْ بنُ أرقَمَ، فَنعَـى ابنَ عمٍّ له. وقال: رأيتُ رجلا من الخوارجِ وقد مكَّنَ رمْحه من صُلْبه، فقَدِمَ المَنْعُّى، فقيلَ له ذلك. فقال: صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كـتفَيَّ صحتُ: البَقيَّةَ! فرَفعه عنىَ، وتَلاَ: ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

* * *

(١) مستحن : من الحنين .
(٢) الثوب السابرى : الرقيق .
(٣) سورة هود ٨٦ .

ووَجَّهَ المهلّبُ بِعَقِب هذه الوَقعَةِ رجلا من الأزدِ، برأس عُبَيْد الله بن بَشير ابن المَاحُوزِ إلى الحارثِ بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباع. فلما صار بكُرْبَج[١] دينار لَقِيهُ حَبيبٌ وعبدُ الملك وعلىٌّ، بنو بَشير بن الماحوز، فقالوا له: ما الخبرُ؟ولا يَعْرِفُهم، فقال: قتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوزِ، وهذا رأسُه مَعِى. فَوَثُبوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودفَنُوا الرأسَ، فلما وَلِىَ الحجّاجُ دخل عليه علىُّ بن بَشِير، وكان وَسِيما جَسِيما، فقال: مَنْ هذا؟ فَخُبِّر، فقتَلهُ، ووهب ابنهَ الأزهَرَ وابنتَهُ لأهل الأزدىِّ المقتولِ، وكانت زينب بنتُ بشير لهم مُواصِلةَ، فوهبوهما لها.

[تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه المهلب]

فلم يَزَل المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ فى ولايَة الحارثِ القُبَاعِ، حتى عُزلَ الحارثُ ووُلِّىَ مُصْعبُ بن الزُّبير، فكَتَب إليه أن أقْدَمْ علىَّ، واستخلف ابنَك المغيرةَ، ففَعل، فجَمعَ الناسَ فقال لهم: إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرة. وهو أبو صغيركم رقة ورحمة، وابنُ كبيركم طاعة وبراً وتبجيلاً، وأخو مثْله مُواساةً ومناصحةً، فلْتحْسُنْ له طاعتُكمْ، ولْيلنْ له جانبكم، فوالله ما أردتُ صوابا قط إلا سَبَقنى إليه. ثم مضى إلى مُصْعَب، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته، وكتب إليه: إنك لم تكُنْ كأبيك، فإنك كافٍ لما ولَّيْتكُ، فشَمِّرْ واترْر وجِدَّ واجتهدْ.

* * *

ثم شَخَصَ المصْعَبُ إلى المذار[٢] فَقَتَلَ أَحْمَرَ بن شميْط، ثم أتى الكوفةَ فقتلَ المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ. وقال للمهلّبِ: أشِرْ علىَّ برجلٍ أجْعلْه بينى وبين عبد الملك فقال: أذكُر لك واحداً من ثلاثة: محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ الدارمىَّ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكِىَّ أو داود بن قَحْذَمٍ. فقال: أو تكفينى؟ قال: أكْفيك إن شاء اللهُ، فولاه المَوْصلَ. فشَخصَ المهلَّب إليها.

---

(١) موضع قريب من الأهواز.

(٢) المذار: بلد فى ميسان بين واسط والبصرة، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام.

[مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج]

وصار مـصْعَب إلى البصـرة، فسأل: مَنْ يَسْـتكفى أمر الخـوارج ويَفِدْ إلى أخيه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: وَلِّ عُـبيدَ الله بن أبي بكْرَةَ. وقال قومٌ: وَلِّ عمر ابن عُبيد الله بن مَعْمر، وقال قومٌ: ليس لهم إلاَّ المهلبُ فارْدُدْهُ إليهم.

وبَلَغتِ المَشـورة الخوارجَ ، فأداروا الأَمْـرَ بينهم، فـقال قطَرِىٌّ بن الفُـجاءَة المازنى: إن جـاءكم عبيـد الله بن أبى بكْرة أتاكم سـيِّدٌ سمْـحٌ جوادٌ كريمٌ مُـضيعٌ لعسكره. وإن جاءكم عُمـر بن عبيد الله بن معْمَرٍ أتاكم شـجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ، يقاتلُ لدينهِ ومُلْكه، وبطبـيعةٍ لم أَرَ مثلَها لأحد، فقد شهـدتَه فى وقائعَ فما نودىَ فى القوم لحـربٍ إلا كان أولَ فارس يطْلُعُ حتـى يَشْدَّ على قِرْنه فيَـضربَه، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قـد عرفتموه، إن أخذتم بطَرَف ثوب أخَذَ بـطرفه الآخرَ، يَمُدُّه إذا أرسلتـموه، ويُرْسله إذا مـددتُموهُ، لا يَبْـدؤكم إلاَّ أن تَبْدءَوهُ، إلا أن يَرَى فَـرصَةً فينتهزَها. فهو الليثُ المبرُّ [1] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ. والبلاء المقيمُ.

* * *

فولّى عليهم عمرَ بن عُبَـيْدِ الله، وولاَه فارسَ ، والخوارج بأَرَّجَان، وعليهم الزَّبير بن على السَّليطىُّ. فشخص إليهم فقاتلهم، وأَلَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصْبهَان، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصـعباً ولَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال: رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها.

فَجَمعُوا لـه وأعَدُّوا واستعدُّوا. ثم أَتواْ سَابُورَ. فسارَ إلـيهم حتى نزلَ منهم على أربعـة فراسـخ. فقـال له مالكُ بـن حَسَّـان الأزْدىُّ: إن المهلَّبُ كـان يُذْكِى العيونَ. ويخلفُ البـياتَ. ويَرْتَقِبُ الغفلةَ. وهو على أبْعَدَ مـن هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسكتْ خَلَعَ الله قلبَك! أتُـرَاكَ تموتُ قبلَ أَجَلَكَ! فأقام هناكَ. فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ. فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ. فلم يَظْفَرُوا منه بشىء. فأَقـبلَ على مالكِ بن حَـسَّانٍ فقال: كـيف رأيتَ؟ قال: قـد سَلَّمَ الله عزَّ وجل. ولـم

---

(١) المبر : الغالب .

يكونوا يَطمعون منَ المهلَّبِ بمثلها. فقال: أمَا إنكم لو ناصحتمونى مُناصحَتَكم المهلَّبَ لَرجَوْتُ أن أَنْفِى هذا العدوَّ. ولكنكم تقولون: قُرَشِىٌّ حجازىٌّ بَعيدُ الدار. خيْرُهُ لغيرنا. فتقاتلون معى تَعْذِيراً.

* * *

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم، فقاتَلهم قتالا شديداً. حتى ألجأهَمْ إلى قنطرة. فتكاثف الناسُ عليها حتى سقطت، فأقام حتى أصلَحها، ثم عَبَرُوا، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمرَ- وأمُّه من بنى سَهْمٍ بن عمرو بن هُصَيْصٍ بن كَعْب- فقاتلهم حتى قُتِلَ، فقال قَطَرِىٌّ: لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور. ولم يعلم عمر بقتل ابنه؛ حتى أفْضَى إلى القوم، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّاد. فصاح به: يانعمانُ، أين ابنى؟ فقال: أحْسَبُه [1](أيها الأمير)[1]. فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابراً مُقْبلا غيرَ مُدْبر، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم حمل على الناس حمْلَةً لم ير مثلها. وحَمل أصحابُه بحمْلته. فقتَلُوا فى وجْههم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحَمَل على قَطَرِىٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ. وانهزمت الخوارج. وانتَهَبَها، فلما استقَرُّوا قال لهم قطَرِىٌّ: أما أشرت عليكم بالانصراف! فجَعلوه وجوهَهم حتى خرجوا من فارسَ.

وتلقَّاهم فى ذَلك الوقتِ الفِزْر بن مِهْزَمٍ العَبْدِىُّ فسألوه عن خبره، وأراد قتلَه. فأقبل على قَطَرِىٍّ فقال: إنى مؤمنٌ مهاجرٌ. فسأله عن أقاويلهم، فأجاب إليها فخلَّوْا عنه، ففى ذلك يقول فى كلمة له:

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خصوْمَتِى[2]	إلى قَطَرِىٍّ ذى الجبين الْمُفَلَّقِ
وحاججْتُهم فى دينهم وحَجَجْتُهُم[3]	وما دينهم غيرُ الهوَى والتَخلُّقِ

ثم إنهم تراجعُوا وتكانفوا.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ألجوا: أصله ألجئوا.

(٣) حاججتهم: نازعتهم.

[قال الأخفش: تكانفوا أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا

وصار بعضهم في كنف بعض]

وعادُوا إلى ناحيةِ أرجَانَ. فسار إليهم عمر. وكَتب إلى مُصْعَب: أما بعدُ فإنى قد لَقيتُ الأزارقَة. فرزقَ الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادةَ، ووَهَبَ له السعادة. ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ. فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَر، وبلغَتْنى عنهم عوْدةٌ، فَيممتهم، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالْتقوا. فألح عليهم حتى أخرجهم. وانفردَ عمر[1] من أصحابه. فَعَمَد له أربعَةَ عشر رجلاً منهم، من مَذْكوريهم وشُجْعانهم وفي يده عمودٌ. فجعل لا يضرِبُ رجلا منهم ضربةً إلا صَرَعهُ. فَركَضَ إليه قُطَرىٌّ على فرس طمرَّة[2]. وعمر على مُهْر فاستثاره قطَري بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ. فَبصُرَ به مُجَّاعةَ فأسرع إليه. فصاحت الخوارجُ بقطرىٍّ: يا أبا نُعامة! إنَّ عدوَّ الله قد رَهقَك. فانحطَّ قطرى عن قَرَبوسه. فطعنه مُجَّاعة. وعلى قطرىٍّ درعان فهتكَهما، وأسرعَ السِّنان في رأس قطرىٍّ، فَكَشَطَ عنه جلده ونَجَا.

وارتحلَ القومُ إلى أَصْبُهَان فأقاموا بها[3] بُرْهَة، ثم رجَعوا إلى الأهواز. وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إصْطَخْرَ. فأمر مُجَّاعةَ فَجَبَى الخراج أسبوعاً. فقال له[4]: كم جَبَيْتَ؟ قال: تِسعَمائَة ألفٍ. فقال: هى لك. فقال يزيد بن الحكم الثقفىُّ لمجاعة:

وَدَعاكَ دَعْوةَ مُرْهَقٍ فأجبتهُ[5] عُمَرٌ وقد نَسىَ الحياة وضَاعا
فَرَددتَ عاديةَ الكتيبة عن فَتى[6] قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أَوْزاعا[7]

---

(١) ساقط من ر.

(٢) ر: «طمر». والطمرة: الطويلة الخفيفة القوائم.

(٣) ساقطة من ر.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) المرهق: الذى أدرك ليقتل.

(٦) العادية: الخيل تعدو.

(٧) أوزاعا: قطعا.

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الـزبير ووَلِىَ حمزة بن عبد الله بن الزبيـر، فوَجَّهَ المهلَّبَ إليـهم، فحـاربهم فـأخرجهـم عن الأهواز، ثـم رُدَّ مـصْعَب والمهـلبُ بالبـصرة، والخوارج بأطراف أصبَهان والوالى عليهـا عَتَّابُ بن ورقَاءَ الرِّيَاحِىُّ، فأقام الخوارج هناك شيئاً يجبونَ القُرَى. ثم أقـبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ، فكَتَب مُصْعَب إلى عمر بن عـبيد الله: ما أنصفْـتنَا. أقمتَ بفارسَ تجبى الخراجَ ومـثل هذا العدوّ يحاربكَ! والله لو قـاتلتَ ثم هربتَ لكان أَعْذر لـك، وخرج مصعبٌ من الـبصرة يريدهم. وأقبلَ عمـر بن عبيد الله يريدهم، فتنحَّـى الخوارجُ إلى السُّوسِ، ثم أتَوا المدائنَ، فقتـلوا أَحْمَرَ طَيِّئٍ. وكان شجـاعاً، وكان من فُرْسانِ عَبْـيد الله بن الحُرّ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

تركـتم فَتى الفِـتْيـانِ أَحْمَـرَ طَيِّئٍ　　　بسَـاباطَ لم يَـعْطِفْ علـيه خـلَيلُ

ثم خرجوا عامـدين إلى الكوفة، فلما خالطوا سوادَهـا، وواليها الحارثُ بن عبد الله القَـباع. فتثـاقل عن الخُروجِ وكان جبَـاناً، فَذَمَرَهُ[1] إبراهيمُ بن الأشْـتَرِ، ولامَهُ الناسُ. فَخَرَج متحامِلا حتى أتى النُّخَيْلة، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

إن القَـبـاعَ سـار سَـيْـراً نُـكْرَا　　　يسـيـرُ يـومـاً ويُقـيـمُ شـهـرَا

وجعل يَعِـدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ. والخوارجُ يـفشون[2]، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلةً، ثم أرادوا قتلَها، فقالتْ: أتَقتلون مَنْ يْنشأُ فى الحلْيَـة وهو فى الخصَامِ غيْر مُـبِين! فقال قال منهم: دعُوها، فـقالوا: قد فَتَنتْكَ، ثم قَدَّمُوها فقَتَلُوها، ثم قَرَّبوا أخـرى. وَهُمْ بحذَاء القباعِ، والجسرُ معقودٌ بينهما، فَقَطعه القبَاعُ، وهو فى ستة آلاف، والمرأةُ تستغيثُ به وهى تَقولُ[3]: عَلامَ تقتلوننى؟ فوالله ما فَسَقتُ ولا كَـفَرْتُ ولَا ارْتَدَدتُ! والناسُ يَتَفَلَتُونَ إلى الخوارج، والقُباع يمنعهم، فلما خاف أن يَعْصـوه أمر عند ذلك بقطع الجِسر. فأقام بين دَباهَا ودَبِيرى[4] خمسـةَ أيامٍ، والْخوارجُ بقربـه، ويقـول للناس فى كل يوم: إذا لقـيتم العدوَّ غداً فأَثْبتُوا أقدامكم واصـبرُوا، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامِى. ثم إشْرَاع الرِّماح،

---

(١) الذمر: الحض.

(٢) ر: «يعيثون». س: يعبثون.

(٢) ر: «وتقول».

(٤) دباها ودبيرى: قريتان من قرى بغداد.

ثم السَّلَّةُ[1]، فَثَكَلت رجلاً أمُّهُ فَـرَّ من الزَّحْفُ! فقال بعضُهم لمّا أكثـر عليهم: أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟ وقال الراجزُ:

إن القُبـاع سـار سَـيْـرًا مَـلْسَـا بين دبـاها ودبِيـرَى خـمـسـا [2]

فأخذ الْـخوارجُ حاجتهـم، وكان شأنُ القُبَـاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انـصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا مـن فورهم إلى أَصْبَهَان، فبعثَ عَـتَّابُ بن وَرْقَاء إلى الزُّبير بـن عليٍّ: أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تقـصدُ فى انصرافـك من كل حرب غيرى. فبعث إليه الزُّبير: إن أدنى الفاسقينَ وأبعدهم فى الحق[3] سَواءٌ.

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبـد الله بن أبى ربيعةَ القبَاعَ، لأنه وَلِيَ البـصرةَ فَغَيَّر على الناس مَكايـيلُهم، فَنَظر إلى مكيـال صغير فى مَـرآة العَيْنِ وقد أحـاط بدقيقٍ استكثَره، فـقال: إن مكيالكم هذا لَقبـاعٌ. والقُبَاعٌ الذى يُخْفى أو يَخْفَـى ما فيه، يقال: انْقَبَعَ الرجلُ، إذا استَتَرَ، ويقال للقنْفُذ القُبَع، وذلك أنه يَخْنِسْ رأسَه.

قال أبو العبـاس: وأقام الخوارجُ يغَادُونَ عتَّاب بن وَرْقَاءَ القـتالَ ويُراوِحُونَه، حتى طال عليـهم المُقامُ، ولم يَظْفَرُوا منه بكَبِيـر، فلما كَثُرَ ذلك عليـهم انصرفُوا، ولا يَمُّرون بقرية بين أصْبَهَانَ والأهْوَازِ إلا استباحوها وقَتَلوا من فيها.

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس فيهم[4]، فاجتمع[5] رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته[6]، فقال لهم قَطَرِيٌّ: إنّ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ فهو فاتكٌ يَطْلُعُ فى أوَّل الْمقَنب[7] ولا يَظْفَرُ بكَبِـير، وإن جاءكم عُمر بن عـبيد الله ففارسٌ يُقْـدمُ، فإمَّا له وإمَّا عليه، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُنَاجزُكمْ حتى تناجِزوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البَلاءُ اللازم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزم المصعَب على توجيه المهَلب، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبد الملك، فلما أحَسَّ به الزُّبير بن عليٍّ خرج إلى الرَّيِّ، وبهـا يزيدُ بن الحارث بن رُوَيْمٍ. فحارَبَه

---

(١) السلة: استلال السيوف.

(٢) الملس: السير الشد.

(٣) ر: «من الحق».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «فأجمع».

(٦) ر: «مشورته»

(٧) المقنب: جماعة الخيل.

ثم حَصَره. فلما طال عـليه الحصارُ خرج إليه، فكان الظّفَرُ للـخوارج، فقتلَ يزيدْ ابن رُؤَيْمٍ. ونادَى يؤمئذ ابنَه حَـوْشَباً ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطيـفَة. وكان عليٌّ بن أبى طالب عليــه السلام دخلَ على الحارث بن رُؤَيْـمٍ يعود ابنَه يزيدَ. فقـال له: عندى جاريةٌ لطيفةْ الْخدمة أبعثُ بها إليك، فسماها يزيدُ لطيفة، فقتلتْ معه يومئذ. وفى ذلك يقول الشاعرْ:

مَــوَاقِـفـنا فــى كــلِّ يوم كـــريهـــة	أَســرُّ وأشـفَى من مَـوَاقِـفَ حَـوْشَبِ
دعــاه يــزيـدٌ والـرِّمــاحُ شــــوَارِعٌ	فلـم يَسْتَـجِبْ بَـل راغ تَرْوَاغَ ثَعْـلَبِ
ولو كـان سَهْمَ النَّـفْس أو ذا حَفـيظَةٍ	رأى ما رأى فى الموتِ عيـسى بن مُصْعَبِ

وقد مَرَّ خبر عيسى بن مُصْعَبٍ مستَقْصًى، وقال آخرُ:

نَجَّـى حَلِيلَـتَـهُ وأسلَمَ شَـيْـخَـه	نصْـب الأسِنَّة حَـوْشَبُ بن يَـزيد

وقال ابن حوشبٍ لبلال بن أبى برْدَةَ يُعَيِّره بأُمه. وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر: يابنَ حَـوْراءً. فقال بلال - وكان جلداً: إن الأمَةَ تُسَـمَّى حَوْراءَ وَجَيْداءَ ولَطيفةَ.

وزَعَمَ الكلْبىُّ أن بلالا كان جَلْداً حين ابْتُلى(١) . قال الكلبىُّ: ويُعْجبنى أن أرَى الأسيـرَ جَلْداً - قال: وقال خـالدُ بن صَفْوانَ له بـحضرة يوسفَ بن عـمرَ: الحمدلله الـذى أزال سُلطانَكَ وهَدَّ رُكْنَك، وغيَّـرَ حَالَك. فوالله لقـد كنتَ شديدَ الحجاب. مستْخـفًا بالشريف. مُظْهِرًا للعَصبيَّة. فـقال له بلالٌ: إنما طالَ لسانُك يا خالَدُ لثلاث معكَ هُنَّ علىَّ: الأمرُ عليـك مقبلٌ وهو عنى مُدْبرٌ. وأنت مُطْلق وأنا مأسـورٌ. وأنت فى طينَتك وأنا فى هـذا البلدَ غريبٌ. وإنما جَـرَى إلى هذا؛ لأنَّه يقال إنَّ أصلَ آل الأهْتَمِ من الحيرةِ، وإنهم أُشابةٌ(٢) دخلتْ فى بنى مِنْقَر من الرُّومِ.

ثم انحطَّ الزُّبير بن علىٍّ على أصْبَهَانَ، فَـحَصَرَ بها عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ الرِّيَاحىَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحَاربه فى بعضـهنَّ، فلما طال به الْحصارُ قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ واللهِ مـا تُؤْتَونَ من قِلّةٍ. وإنكم لفـرسانُ عَشَائـرِكم. ولقد حاربتـموهم

(١) ر: «حيث ابتلى».

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا. كالأوباش والأوشاب قاله المرصفى.

مراراً فانتصفتم منهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلا أن تفْنَى ذخائرُكم. فيموتَ أحدكُمْ فَيدْفنَه أخوه. ثم يموتَ أخوه فلا يَجد مَن يدفنُه، فقاتلوا القوم وبكم قوةٌ، مِن قَبْلِ أن يَضْعُفَ أحدُكُم عن أن يَمْشِي إلى قِرنه. فلما أصبح الغدُ صلّى بهم الصبحَ. ثم خرج بهم[1] إلى الخوارج وهم غارّونَ، وقد نَصَبَ لواءً لجارية له يقال لها ياسمين، فقال: من أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء يَاسمينَ، ومَن أرادَ الجهادَ فليخْرُجْ مَعِي. فَخَرَجَ في ألفين وسَبْعمائَة فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ. فقاتَلوا بجِدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثله. فعقَروا منهم خلقاً كثيراً وقتلوا الزُّبير بن عليٍّ. وانهزمت الْخوارج، فلم يَتَّبِعْهمْ عتَّابٌ، ففى ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَوْمٌ بَحىٍّ تُلافَيْتَه ... ولولاك لاَصْطُلِم العَسْكَرُ[2]

* * *

– قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قوله: «ولولاَك» فى آخر هذا الْخبر إن شاء الله–

وقال رجلٌ من بنى ضَبَّةَ فى تلك الوقعة:

خَرَجْتُ من المدينة مُسْتميتاً ... ولم أَكُ فى كَتيبَة ياسمينَا
أَلَيْسَ من الفضائِل أنَّ قَوْمى ... عدَوْا مُسْتَلْئِمينَ مُجاهِدينَا

وتزعُم الرُّواة أنهم فى أيام حِصارهم كانوا يتوَاقَفُونَ، ويَحْمِلُ بعضهم على بعضٍ، وربما كانت مُواقفَةٌ لغير حرب[3]، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم. وكان رجلٌ من أصحاب عتَّاب يقال له شُرَيحٌ، ويُكْنى أبا هُرَيْرَةَ. إذا تَحاجزَ القومُ مع الْمَساءِ نَادى بالْخوارج وبالزُّبير بن علىّ:

يا بنَ أبى المَاحُوز والأَشْرَارَ ... كيف تَرَوْنَ ياكلاَبَ النّار!
شَدَّ أبى هُرَيرةَ الهرَّارَ ... يَهُرُّكُمْ باللّيلِ والنهار[4]
ألم تَروْا جَيًّا عَلَى المِضمار ... تَمْسِى من الرحمن فى جِوارِ[5]

---

(١) ساقط من ر.

(٢) الصلم فى الأصل. قطع الأذن.

(٣) ر: «بغير حرب».

(٤) أصل الهرير فى الكلب والذئب، إذا كشر كل منهما عن نابه، واستعمل فى الرجل تجاوزاً.

(٥) المضمار: الغاية.

فغاظَهُم ذلـك منه، فكَمَنَ له عُبَيْدَة بـن هلال فضربه، واحْتَمَلَـهُ أصحابه، فظنَّتِ الْخوارجُ أنه قد قُتِل، فكانوا إذا تَواقفـوا نادَوْهُمْ: ما فعَل الهرارُ؟ فيقولون: ما به مِن بأْس، حتى أَبَلَّ من علَّته، فخـرج إليهم فصاح: يا أعداء الله. أَتَرَوْنَ بى بأساً! فصَاحُوا به: قد كُنَّا نَرَى أنَكَ لَحِقتَ بأمّك الهاوِيَة، فى النار الحامية.

***

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ أشياءَ من الـعربية تحتاج إلى الشرح. من ذلك قوله: «ولَوْلاَكَ»، ومنه قوله: «ألم تَرَوْاجَيًّا» ومنه قولهُ: «يَهُرُّكُمْ بالليل والنهار».

أما قوله: «لَولاَكَ» فإن سيبويه يزْعُمُ أنَّ «لَولاَ» تَخْفضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدها الظّاهرُ بالابتداء، فيـقالُ: إذا قلتَ: لولاكَ، فما الدليلُ على أن الكافَ مـخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصـوبةً، وضميـرُ النَّصب كضـمير الْخـفضِ؟ فتقـولُ: إنك تقولُ لنفسك: لولاىَ، ولوكانت مـنصوبةً لكانت الـنونُ قبل اليـاء، كقولـك: رمانى وأعطانى. قال يزيد بن الحكم الثَّقَفِىُّ:

وكمْ مَوْطِنٍ لولاىَ طحْتَ كما هَوَى ... بأجـرَامِـه من قلَّة النِّـيقِ مُنهَـوِى(١)

النيقُ: أعْلى الجبَلِ، وجِرْمُ الإنسان خَلْقُهُ.

فيقالُ له: الضـميرُ فى موضع ظاهِرِه، فكيف يكون مخـتلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلِمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه، نحو «إنَّ» وما كانَ معها فى الباب؟

وزَعَم الأخْفَشُ سَعِيْد أن الضميرَ مـرفوعٌ، ولكنْ وافَقَ ضَميرَ الخفضِ، كما يَسْتَوِى الخفضُ والنصبُ، فيقالُ: فهل هذا فى غير هذا الموضع؟

قال أبو العبـاس: والذى أقوله أنَّ هذا خطأ لا يصـلح، إلا أن تقولَ: «لولا أنتَ»، كما قال الله عزَّ وجـلَّ: ﴿لَوْلاَ أَنْتُمْ لكنَّا مُؤْمنينَ﴾(٢). ومن خالَفنا (٣فهو لابدَّ ٣) يزعمُ أن الذى قلناه أَجْوَدُ. ويَدَّعى الوجه الآخَرَ فيجيزُه على بعده.

وأمَّا «جَىّ»، فالأجْوَدُ فيها أن تقولَ:

ألم تَرَوْا جَىَّ عَلى المضمَار

فلا تُنَوِّنُ، لأنها مـدينَةٌ، والاسمُ أعْجمىٌّ، والمؤنثُ إذَا سمـى باسمٍ أعجمىٍّ على ثلاثـة أحرف ينصـرف إذا كان مؤنثـاً، وإن كان أوسطه سـاكناً. نحـو جُورَ وحِمْصَ ومَاهَ (٤). وما كان مثلُ ذلك، ولو كان اسماً لمذكر لانْصَرَف، فإن صرَفته

---

(١) منهوى: ساقط

(٢) سورة سبأ ٣١.

(١-١) ساقط من ر

(٤) ساقطة من ر.

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلتَه اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا تَرَى أنك تصرفُ نوحاً ولوطاً، وهما أعجميَّان؟ وكذلك لو كان علَى ثلاثةً أحرف كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَماً» لو سمَّيْتَ بها[1]. رجلا فالأعجميُّ بمنزلة المؤنث، لأن امتناعَها واحدٌ.

وأمَّا قولهُ: «يَهرُّكمْ» فإن كلَّ ما كان من المضاعَف على ثلاثة أحرف وكان متعدِّيا، فإن المضارعَ منه على «يَفْعَلُ» نحو شَدَّهُ يَشُدَّهُ، وزره يَزُرُّه، ورده يرُدُّه، وحَلّه يحله. وجاء منه حرفان على «يَفْعِل» و «يَفْعُل»، فيهما جيد: هره يَهِرُّه، إذا كرهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَّه بالحَنَّاء يعلّه، ويَعُلُّه أَجْوَدُ. ومن قال: حَبَبْتُه قال: يَحِبُّه لا غيرُ. وقرأ أبو رَجَاء العُطاردى: ﴿فاتبعُونى يُحْبِبْكُمُ الله﴾[2]. وذلك أنْ بنى تميمٍ تدغمْ فى موضع الجزم، وتَحَرِّكُ أواخره لالتقاء الساكنين.

[ولاية قطرى بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارجَ أداروا أمرَهم بينهم، فأرادُوا توليةَ عَبْيدة بنَ هلال، فقال: أَدُلُّكمْ على منْ هو خيرٌ منّى! مَنْ يُطاعِنُ فى قُبُلٍ، ويَحْمِى فى دُبُرٍ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءَة المازنىَّ. فبايَعُوه. فوقَفَ بهم فقالوا: يا أميرَ المؤمنينَ. امضِ بنا إلى فارس. فقال: إن بفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمَر. ولكنْ نَصيرُ إلى الأهواز. فإن خرجَ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها. فأتَوا الأهواز ثم تَرفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[3]. وكان المصعب[4] قد عزم على الخروج إلى باجُمَيْرا[5] فقال لأصحابه: إنَّ قُطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا، وإنْ خرجنا عن البصرة دَخلها، فَبعَثَ إلى المهلّب فقال: اكْفنَا هذا العدوَّ، فخرجَ إليهم المهلَّب، فلما أَحَسَّ به قطرىٌّ، يَمَّمَ[6] كِرْمَانَ، فأقام المهَلبُ بالأهوازِ، ثم كَرَّ قطرىٌّ عليه وقد استعد. فكان الخوارجَ فى جميع حالاتهم أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلهم، بكثرة السِّلاحِ، وكثرة الدوابّ، وحَصَانَة الجُنَنِ، فحاربَهم المهلّبُ، فنفاهم إلى رام هُرْمُزَ.

وكان الحارث بن عَميرَةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلَّب مُرَاغمًا لعَتاب بن وَرْقاء، يقالُ إنه لم يُرْضه عَن قتله الزبيرَ بن علىّ، وكان الحارثُ بن عَميرَةَ هو الذى تولَّى قتلَه وحاصَ إلَيَه أصحابُه، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدَانَ:

---

(١) ر: «به». (٢) سورة آل عمران ٣١. وهى قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام.
(٣) إيذج: بالمد بين خوزستان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».
(٥) باجميرا: بلد دون تكرت. (٦) ر: «تبسم»

إنَّ المَكارمَ أكْملَتْ أسبابُها ... لابن الليوث الغرِّ من قحطان
للفارسِ الحامي الحقيقةِ مُعْلِماً ... زادِ الرِّفاقِ إلى قُرى نَجْران[1]
الحارثِ بن عَميرةَ الليثَ الذي ... يَحمي العِراقَ إلى قُرى كرْمان
ودَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطَعْنةٍ ... ويموتُ من فُرسانهم مائتانِ.

وتأويلُه: أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أغناها عن التزوُّد، كما قال جريرٌ - وأرادَ ابنٌ له سَفراً، وفي ذلك السَّفَر يحيى بنُ أبي حفصةَ، فقال لأبيه: زَوِّدْني فقال جريرٌ:

أزاداً سوى يَحْيَى تريدُ وصاحباً ... ألا إن يحيى نعْمَ زَادُ المسافرِ
فما تُنْكِرُ الكوماءُ ضَرْبةَ سيفهِ ... إذا أرمَلُوا أو خَفَّ ما في الغَرائرِ[2]

وقوله: «ويموتُ من فرسانِهم» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفعُ على العطف، ويدخل في التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفي مصحف ابن مسعود: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾ والقراءة ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾[3] على العطفِ. وفي الكلام: ودَّ لو تأتِيه فتُحدِّثُه، وإن شئتَ نصبت الثَّانيَ.

* * *

قال أبو العباس: وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراءَ، ثم أتى الخوارجَ خبرُ مَقْتَله بمَسْكِنَ، ولم يأت المهلَّبَ وأصحابَهُ، فتواقَفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارجُ: ما تقولون في المُصْعَب؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ، فلما كان بعد يومين أتى المهلَّبَ قتلُ مُصْعَب، وأنّ أهلَ الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: لانخبركم، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: يا أعداء الله! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ، واليومَ إمامُ هُدًى! يا عَبيدَ الدنيا، عليكم لعنةُ الله!

ووَلي خالد بن عبد الله بن أسيد، فَقدِمَ فدخل البصرة، فأراد عزلَ المهلبِ، فأشيرَ عليه بألا يفعلَ، وقيل له: إنما أَمِنَ أهلُ هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

---

(١) زيادات ر: ويروى

زادَ الرِّفاق وفارسَ الفُرْسانِ

(٢) أرملوا: نفد زادهم.

(٣) سورة القلم ٩.

وعُمَر بـن عُبيد الله بفـارسَ، فقد تَنَحَّى عـمرُ، وإن نَحَّيْتَ المهلـبَ لم تأمنْ على البصـرة الأزارقةَ (١). فأَبـى إلا عَزْله، فَـقدِم المهلَّـب البصـرةَ، وخرج خـالدٌ إلى الأهواز، فأشخَصَه، فلما صار بِكُرْبَجَ دينار لَـقيه قَطَرِىٌّ فمنعه حَطَّ أثقاله، وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطرىٌّ بإزائه، وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلَّبُ: إنَّ قطرياً ليس بأحقَّ بالخندق منك. فَـعبَرَ دُجَيْلاً إلى شقِّ نـهرِ تيرَى، واتبعه قطـرىٌّ، فصار إلى مدينـةِ نَهْرِ تيرَى فـبنَى سورَها وخندقَ عـليها، فـقال المهلَّبُ لخالـد: خَنْدقْ على نَفْسك، فإنى لا آمَنُ علـيك البَيَاتَ، فقال: يا أبا سعيـد، الأمْرُ أعجَلُ من ذلك، فقال المهلّبُ لبـعض ولده: إنى أَرَى أمراً ضائعاً، ثم قالً لـزياد بن عَمرو: خَنْدق علينا، فخندق المهلّبُ وأمَرَ بسُفُنه ففُرِّغَتْ، وأَبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سُفُنَهُ، فقال المهلَّب لفيْروز حُصَيْن: صِـرْ معنا، فقال: يا أبا سعيد، الحَزْمُ مـا تقولُ، غيرَ أنى أكرهُ أن أفارقَ أصحابى. قال: فكُنْ بقُرْبنَا، قال: أمَّا هذه فنعَم.

وقد كـان عبدُ المـلك كتب إلى بشـر بن مروان يأمـره أن يمد خالدا بـجيش كثـيف، أميرُه عـبد الرحـمن بن محمـد بن الأشعَث، فـفعل، فقَـدِمَ عليه عـبدُ الرحمنً، فأقام قَطرِىٌّ يغَاديهم القتـالَ ويَراوحُهم أربعين يوماً، فقال المهلَّبُ لمَولَى لأبى عُيَيْنَةَ: انْتَـبِذْ إلى ذلك النَّاووس[٢] فبتْ عليـه فى كل ليلةِ، فمتى أَحْـسَسْتَ خَبَراً من الْـخوارج أو حركةً أو صَهـيلَ خيل فاعْجَلْ إلـينا. فجاء ليلةً فـقال: قد تَحرَّكَ القوم. فجلس المهلبُ بباب الْخندق، وأَعَدَّ قطرىٌّ سُفناً فيها حطبٌ فأشعلَها ناراً، وأرسلَها على سُفُن خالد، وخَرج فى أَدْبارِهـا حتى خالَطَهُمْ. فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلا قتلـه، ولا بدابَّةٍ إلاَّ عَقَرَها، ولا بفُـسطاطٍ إلاَّ هتَكهُ. فأَمـر المهلَّبُ يزيدَ ابنَه[٣] فخرج فى مائه فارس، فقاتَلَ وأَبْلَى يومئـذ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً، وخرج فَيْرُوزُ حُـصَيْن فى مَواليه، فلم يَزَلْ يرميهم بالنَّشابِ هو ومَن مـعه، فأَثرَ أثرَا جميـلاً، فصُرع يزيد بن المهلّب يومـئذ، وصُرِع عبدُ الـرحمن، فحامى عنـهما أصحابُـهما حتى ركـبهُ، وسَقطَ فَيـرُوزُ حُصَينٍ في

(١) ساقطة من ر.

(٢) الناووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطه من ر .

الْخندقِ، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهَبَ له فَـيروزُ حُصَيْنٍ عشرة آلاف درهمٍ، وأصبح عسكرُ خالدٍ كـأنه حَرَّةٌ سَوْداء، فجعلَ لا يَرَى إلاَّ قَتِيـلا أو صريعا، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كدْنا نَفْتَـضِحُ، فقال: خندق على نفسك، فإلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكْفِنى أمرَ الْخَندق، فجَمعَ له الأحْمَاس(١)، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المَزونيّ لكان الله قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّى المَهَلَّبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمر فيجدونه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعْشى هَمْدانَ لابن الأشعثِ فى كلمة طويلة:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذَكـرنا فى قصر الممـدودِ أن، من مَدَّ المقـصور لا يجوز، مـا يغنى عن إعادته.

ويَـوْمَ أَهْــوَازِكَ لا تَـنْـسَـــــهَ ... ليـس الثـنَا والـذكْـرُ بـالدَّاثـرِ(٢)

ونَذكُر فُيُروز حُصَيْنٍ لِمَا مَرَّ من ذكره:

وكان فيـروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَـيِّدَ البيتِ فى العـجم، كريمِ المحتد، مـشهورَ الآباء، فلما أسلم والى حُصيناً، وهو حُصَـيْنَ بن عبد الله العَنْبَرىُّ، من بنى العَنْبر ابن تميمِ بن مُرَّ، ثم مِنَ وَلَد طَـريفِ بن تميم، وكان فيروزُ حُصَيْنٍ شـجاعاً جواداً، نَبيلَ الصَّورة، جـهيرَ الصوت، وتَرْوِى الرُّواةُ أن رجلا من العرب كـانت أمُّه فتاة، فقاولَ بَنى عمٍّ له، فسبُّوه بالعَجَمِيَّـةَ، ومَرَّ فيروزُ حُصين، فقال: هذا خالَى، فَمَن منكم له خالٌ مـثلُه؟ وظَنَّ الفتى(٣) أن فيروزَ لم يسـمعها، وسَمِعَها فـيروز، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشـترى له منزلا وجاريةً، ووهبَ له عشرة آلاف درهم.

ومن مآثره المعروفـة أن الحجاج بن يوسف لما وقَفَ ابنَ الأشعَث برُسْـتَقَابَاذَ نَادَى منادى الحجاجِ: مَنْ أَتَـى برأس فيروز فله عشَرة آلاف درهمٍ. ففَـصَلَ فيروزُ من الصَّفِّ، فصـاحَ بالناسِ: مَنْ عرفنى فقد اكـتَفَى، ومَنْ لم يعرفْنى فـأَنا فيروزُ

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المتشددون فى القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد. (٣)ساقطة من ر.

حُصين، وقد عـرفتم مالى ووفائى، مَـن أتى برأس الحجاج فله مائـة ألف، فقال الحجاجً: فوالله[1] لقد تركنى أكثـرُ التَّلَفُّتَ وإنَى لبَيْنَ خاصَّتى. فـأتىَ به الحجاج فقال له: أأنت الجاعلُ فى رأسِ أميرك مائةَ ألف درهم[2]؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمْهَدنّك[3]. ثم لأحْـملنّكَ، أينَ المالُ؟ قـال: عندى، فـهل إلى الحيـاة من سبيلٍ؟ قال: لا، قال: فأخرِجْنـى إلى الناس حتى أجمع لك المالَ فلعلَّ قلبك يَرِقُّ علىَّ! فَـفعل الحجـاجُ، فخرج فـيروزُ فـأحلَّ الناس من ودائعه، وأعـتَقَ رقيـقَه، وتَصدّق بماله، ثم رُدَّ إلـى الحجاج فقال: شـأنكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئـتَ، فشُد فى القَصـب الفارسىِّ، ثم سُلَّ حـتى شُرِّحَ، ثم نُضِحَ بالخـلِّ والمِلْح، فما تـأوه حتى ماتَ.

* * *

قال أبو العـباس: ومضَى قطرىٌّ إلى كِرمَـانَ، فانصرف خالدٌ إلـى البصرة، فأقام قطرى بكرمْـانَ أشهراً، ثم عَمَد لفارسَ، وخـرج خالدٌ إلى الأهْواز، ونَدَب للناس رجلا، فَجعلَوا يطلبون المهلّب، فقال خالد: ذَهَب المهلبُ بحظ هذا المصر، إنّى قد ولّيْتُ أخى قِتال الأزارقة، فولّى أخاه عـبدَ العزيز، واستخلف المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائـة، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفـاً، والخوارجُ بدَرَاب جَرْدَ، فَجَـعل عبدُ العـزيز يقولُ فى طريقـه: يزعُمُ أهل البصرة أن هـذا الأمر لا يتمُّ إلا بالمهلَّبِ، فسيعلمون!

قال صَـعْبُ بن زيد: فَلمـا خرج عبدُ الـعزيز عن الأهواز جـاءنى كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال: أجبِ الأمير، فَجئتُ إلى المهَلب وهو فى سطح وعليه ثياب هَرَوِيّةٌ، فقال: ياصَعْبُ، أنا ضائع، كأنِّـى أنظرُ إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافِيَنى الأزارقـة ولاجُنْدَ معى، فابـعثْ رجلا من قِبَلك يأتـينى بخبرهم سـابقاً به إلىَّ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمران بن فـلان، فقلتُ: اصَحبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبر يومٍ يوم،فجعلتُ أورِدُه على المهلب.

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقفَ وقْفة، فقال له النَاسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغى أن تنزل[4]- أيُّها الأميرُ- حتى نطمئنَّ ثم نأخـذَ أُهبَتَنَا، فقال: كلاَّ، الأمرُ قريبٌ،

---

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لأمهدانك. من مهدت الفراش مهدا. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريحا كالفراش الممهود. قاله المرصفى.

٤) ر: «تترك».

فنزلَ الناسُ على غيـر أمره، فلم يُستَتمَّ النّزُولُ حتى وَرَدَ عليـهم سعدُ الطّلائع فى خمسمـائة فارسٍ، كأنهم خيطٌ ممدود. فناهضَـهم عبدُ العزيز، فوقَفـوه ساعة، ثم انهزموا عنه مكيدة، فاتبعهم، فقال له الناسُ: لاتَتَّبِعْهُم فإنا على غير تعْبِيَة، فأبَى، فلم يزَلْ فى آثارهم حتى اقتحموا عقَبـة، فاقتحمها وراءَهُم، والناسُ يَنْهَوْنَهُ، وكان قد جعَـل على بني تميم عَبْسَ بن الشـريمى، الملقَّبَ عَبْسَ الطّعَـان، وعلى بكْرِ بن وائلٍ مُقاتِل بن مسْمَعٍ القيسى، وعلى شُرْطَته رجلاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن نزَار، فنزلوا عن العَقَـبة ونزلَ خَلفهم، وكـان لهم فى بَطْن العقـبة كَمينٌ، فلمـا صَاروا وراءَها خرج عليهم الكَمينُ. وعَـطفَ سعدُ الطّلائع. فترجَّل عَبْسُ بن طَلْـق فَقُتلَ، وقُتل مُقاتِلُ بن مسْمعٍ، وقُتل الضبعى[1] صاحبُ الشرْطة، وانحاز عبدُ العزيز، واتّبعهم الخوارج على فرسخين يقـتلونَهم كيفَ شاءوا. وكان عبد العزيـز قد خرج معه بأمِّ حَفْـصٍ ابنة المُنْذِر بن الجـارُود امرأته، فَـسبَوا الـنساءَ يومـئذ، وأخَـذُوا أسْرَى لا تُحصَى، فقذَفوهم فى غار بعدَ أن شَـدُّوهم وَثاقا، ثم سَدُّوا عليهم بابهَ حتى ماتوا فيه.

وقال رجل حَضَرَ ذلك اليومَ: رأيتُ عبـد العزيز وإن ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تَحيك فى جُنته[2].

- يقال ما أحاكَ فـيه السيفُ، وما يُحِيكُ فيـه، وماحَكَّ الأمرُ في صَدْرى، وما حكى فى صدرِى، ومـا احْتُكى فى صدرى. ويقال: حاك الرجلُ فى مِـشْيَتِه يَحِيكُ، إذا تَبَختَرَ.

ونُودِيَ على السبْىْ يومئـذ، فغُولى بأم حفصٍ، فبَلغَ بها رجـلٌ سبعين ألفاً، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولحـقُوا بالخوارج، فَفرَضَ لكلٍّ واحد منهم خَمْسَمائة، فكاد يأخذها، فَشَقَّ ذلـك على قُطريٍّ وقال: ما ينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكون عنده سبعون ألفاً، إنَّ هذه لفتْنَة[3]، فوثَب إليها الحَديد العبْدى فقتلها، فأتَى به قطرىٌّ فقال له[4]: يا أبا الحديد، مهيمْ! فقال: يا أميرَالمؤمنين. رَأيتُ المؤمنين قد تَزايَدُوا في هـذه المشركـة، فخـشيتُ عـليهم الـفتنة. فـقال قـطَرِىٌّ: قد أصبتَ وأحسنتَ! فقال رجلٌ من الخوارج:

---

(١) ر «الضبيعى». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كَفاناً فتنة عَظُمَتْ وجَلَّتْ بحمد الله سيفُ أبى الحديد
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا على فَرْطِ الهَوَى: هل مَن مَزيدِ؟
فزادَ أبو الحديدِ بنَصْلِ سيفٍ رَقيقِ الحَدِّ فِعْلَ فتًى رَشيدِ

قوله: «أهابَ» يريدُ أعْلنَ، يقال: أهبَتُ به، إذا دَعَوتَهُ، مِثْلُ صَوَّتَ، قال الشاعرُ:

أهاب بأحزانِ الفؤاد مُهِيبُ وَمَاتَت نفوس للهَوى وقلُوبُ

وقوله: «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ[1]، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبر، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ ردْعَ خلُوق[2] فقال: مَهْيَمْ! فقال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أَوْلِمْ ولو بشاة. وكان تَزَوَّج على نواة، وأصحابُ الحديث يَرْوُونَهُ «على نَواةٍ من ذَهب قيمتُها خسمة دراهم». وهذا خطأ وغَلَطٌ. العربُ تقول «نواةٌ» فتعنى بها خمسةَ دراهمَ، كما تقولَ: النَّشُّ لعشرين درهماً. والأوقيَّةُ لأربعين درهما، فإنما هو اسم لهذا المعني.

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّف السعدىُّ ابنَ عَمِّ عْمرو القَنَا، وكان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزة، فلَحِقه عَمرُو القَنَا وهو منهزم، فضحك عَمْرٌو وقال تمثلا:

تَمنَّانى لِيَلْقانى لَقيطٌ أعامِ لَكَ ابنَ صَعصَعَة بن سَعْدِ

ثم صاح به: انْجُ أبا المُصَدَّى! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى.

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو ليزيدَ بن عمرو بن الصَّعق الكلابىِّ، يقوله. يعنى لَقيط بن زُرَارَةَ، وكان يَطلبه، وقوله: «أعَامِ لَكَ» يريدُ يا عَامِرُ، فَرَخَّمَ، وإنما يريدُ الحىَّ تعجباً، أى لكمْ أعْجَبُ من تمنِّيه للقائى!

فَدَعَا بنى عامر بن صعصعة، وهم بنو صعصعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازِنَ، ويقال إن عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ، لا ابن

---

(١) قال المرصفي: يريد كلمة «استفهام» هى مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخلوق: الطيب.

معاوية، وإنهم ناقلةٌ [1] فى قَيْسٍ. ولذلك امتنعت[2] بنو سَعْدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَة، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صفْوَانَ.

وهذا البيتُ وضعه سيبويه فى باب النداءِ الذى معناه مَعْنَى التعجُّبِ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتان العَبْدىِّ:

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ ولكن فى كُلَيبٍ تواضُعْ

على معنى قوله: فللّه دَرُّهُ شاعِراً!

وكان العَلاءُ بن مُطرِّف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما منَ بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميل. والأخرى بنتُ عمه، وهى فلانة بنتْ عَقِيلٍ. فطلّق الضَّبِّيةَ وتخلصَ بهما يومئذٍ، وحَمَلَ الضبيةَ أوّلا، ففي ذلك يقولُ:

ألسْتُ كريماً إذ أقولُ لفْتَيتى قفُوا فاحملوها قبل بنت عَقيلِ
ولو لم يكن عُودِى نُضَاراً لأصْبحَتْ تَجُرُّ على المتْنَيْنِ أمَّ جَمِيلِ[3]

* * *

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ: بعثنى المهلبُ لآتيَهُ بالخبر، فضربت[4] إلى قنطرة أرْبكَ [5] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثة آلاف درهمٍ. فلم أحْسس خبراً، فَسرتُ مُهَجَّراً إلى أن أمْسَيْتُ، فلمَّا أظْلَمنا سمعتُ كَلامَ رجلٍ عرَفْته من الجهاضمِ [6] فقلتُ: ماوراءَكَ؟ فقال: الشرُّ، فقلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أمَامَك، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواءٌ. فقلتُ. لواءُ [7] مَن هذا؟ فقالوا: هذا لواءُ عبد العزيز؛ فتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ وقلت: أصلحَ الله الأميرَ! لا يَكْبُرَنَّ عليكَ ما كانَ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْد وأخْبَثه. قال لى: أوَ كنتَ مَعَنا؟ قلتُ: لا، ولكنْ كأنى شاهدٌ أَمْرَكَ، قال: كأنكَ كنتَ معنا، قلتُ: أرسلنى المهلبُ لآتيهُ بخبرك. ثم تركته وأقبلتُ إلى المهلّب، فقال لى: ماوراءَكَ؟ قلتُ: ما يسُرُّكَ. قد

---

(1) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(2) ر: «تمنعت».

(3) ر: «تخر».

(4) ر: «قصرت»

(5) أربك إحدى قرى خوزستان.

(6) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك.

(7) ساقطة من ر.

هُزِمَ عبدُ العزيز[1]. وقلَّ جيشه. فقال: وَيْحَكَ! وما يَسرُّنى من هزيمة رجلٍ من قريش وقلِّ جيشٍ من المسلمين! قلتْ: قد كان ذاكَ، ساءَك أو سَرَّكَ، فوجَّه رجلا إلى خالد يُخبُرُه. قال الرجلْ: فلما أخبرتُ خالداً قال: كذبت ولؤمْتَ. ودخل رجل من قريشٍ فكذَبنى، وقال لى خالدٌ: والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك. قلت: أصلحَ الله الأمير! إنْ كنتْ كاذباً فاقتلنى. وإن كنتُ صادقاً فأَعْطنى مُطْرَفَ هذا المُتكَلّف. فقال خالدٌ: لبِئسْ مَا أخطَرْتَ به دمَك! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعضُ الفَل.

وقدمَ عبدُ العزيز سوقَ الأهواز، فأكرمَه المهلّب وكساه، وقَدِم معه على خالد، واستَخلَفَ ابنه حبيباً، وقال له: تَحَسَّسْ عن الأخبار، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريباً منك فانصرفْ إلى البصرة. فلم يَزَلْ حَبيبٌ مقيما والأزارقةُ تدنو منه، حتى بَلغوا قنطرة أَرْبُكَ، فانصرفَ إلى البصرة على نهرِ تيرَى، فلما دخلها أعْلَمَ خالدٌ، فغَضبَ عليه، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالٍ بن عامر بن صعصعة، فتزوَّج هناك فى استتاره الهلاليةَ أم عبَّادٍ بن حبيب.

وقال الشاعرُ لخالد يُفَيِّلُ رأيه، أى يُخَطِّئه:

بعثْتَ غلاما من قريش فَروَقةً[2] وتتركُ ذَا الرأى الأصيلِ المَهلّبَا
أبَى الذّم واختارَ الوفاءَ وأحْكمَت قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحارث بن خالد المخزومىُّ:

فَرَّ عبدُ العزيز لَمَّا رأى الأبطالَ بالسفح ونازَلُوا قَطَرِيَّا

ويُرْوَى:

فرَّ عبدُ العزيز إذ رَاءَ عيسَى وابن داودَ نَازلا قَطَرِيَّا
عاهدَ الله إنْ نَجَا مِلْمَنَايَا لَيَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا
يَسْكُنُ الخل والصِّفَاح فمران وسَلْعَا وتارةً نَجْدِيَّا
حيثُ لا يَشْهَدُ القتالَ ولا يسمَعُ يوماً لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قـولُه: «إذ رَاءَ عـيسى»، الأصـل «رأى» ولكنه قَـلب فقـدّم الألِفَ وأخّـرَ الهمزةَ، كما قال كُثَير:

وكلٌّ خـليل رَاءَنـى فـهـو قـائلٌ   من اجلْكِ هذا هامـةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير فى كلام العربِ، وسنذكر منه شيئاً فى موضعه إن شاء الله.

وقولُه: «ملْمَـنايَا» يريدُ من المنايا، ولكنَّه حَـذَفَ النونَ لقربِ مخرجِـها من اللام، فكانتاَ كالحرفـين يلتقيان على لفظ فُيحذفُ أحـدُهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيتْ لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون فى بنى الحارث وبنى العَنْبَر وما أَشبـه ذلك: «بَلْحَارِث» و«بَلعَـنبرِ» و«بَلهُجَـيْمِ» كما يـقولون: «عَلْماءِ بَـنُو فلانٍ» فيحذفونَ إحدَى اللامَيْن.

وقولُه: «ليَعُودَنّ بعَـدَها حُرْمِيًّا» العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فـيقولون «حَرْمِىٌّ» و«حُرْمِىٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيت، وحِرْمَة البيتِ، وقال النابغة الذبْيَانىٌّ:

من قول حِـرْمِيَّةٍ قالـتْ وقد رَحَلُوا   هل فى مُخفِّيكُـمُ مَنْ يَشْتَرِى أَدَمَا[1]

والخَلُّ: هاهنا موضعٌ، وأصلهُ الطريقُ فى الرَّمْلِ.

* * *

وكَتَب خالدٌ إلى عبـد الملك بعُذْرِ عبد العزيز، وقال للمـهلب: ما ترَى عبدَ الملك صانعاً بى؟ قـال: يَعْزِلُكَ، قال: أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِـمى؟ قال: نعم، قد[2] أتَتْهُ هزيمةُ أُمَيَّةَ أخِيك من البَحْرَيْنِ. وتأتيه هزَيمةُ أخيك عَبدِ العزيز من فارسَ!

قال أبو العباس: فكَتَب عبد الملك إلى خالد[3]:

أما بعـدُ، فإنى كنتُ حَـدَدْتُ لك حَدًّا فى أَمْـرِ المهلَّب، فلما ملـكتَ أمرَكَ نبذتَ طـاعتى واستـبددتَ برأيك، فـوليّتَ المُهلَّبَ الجـباية، ووليتَ أخـاك حَرْبَ الأزارقـة، فَـقَـبَـحَ اللهُ هذا رأيـا! أتبـعثُ غـلامـا غـرًّا لم يُـجَـرِّب الحـروبَ للحرب[4]. وتتركُ سيداً شجـاعاً مدبراً حازما قد مارس الحروبَ تَشْـغَلُهُ بِالجباية،!

---

(١) المخف: الخفيف المتاع.   (٢) ساقطة من ر.

(٣) فى س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر فى الأصل. ر.

(٤) ساقطة من ر.

أمَا لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأتاكَ من نكيـرى مالا بقيَّةَ لك معه، ولكنْ تذكرَّتُ رَحِمك فَلَفَتَتْنى عنك، وقد جعلتُ عقوبَتك عزْلَكَ.

وولَى بِشْرَ بن مَرْوَان وهو بالكوفة وكَتب إليه:

أما بعـدُ، فإنك أخو أميـرِ المؤمنين. يجمعك وإيَّـاه مَرْوانُ بن الحكم، وأن خالداً لا مُجْتَمَع له مع أمير المؤمنين دون أمـيَّةَ. فانظرِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ، فَولِّه حربَ الأزارقة، فإنه سيِّـد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ، فأَمْدِدْه[1] من أهل الكوفة بثـمانية آلافِ رجلٍ.

فَشَقَّ عليه ما أَمَره به[2] فى المهلَّب، وقال: واللهِ لأقْتُلَنَّهُ، فقال له موسى بن نُصَيْر[3]: أَيُّها الأميرُ[3]، إنَّ للمهلبِ حفاظاً وبَلاءً ووفاءً.

وخرجَ بشرُ بن مـروانَ يريد البصرةَ، فكتب موسى وعِـكْرِمةُ إلى المهلَّب أن يتلقاهُ لقاءً لا يَعْرِفُه به، فتلقاه المهلَّبُ على بغل، فسلَّم عليه فى غمارِ الناس، فلما جلَسَ بِشْر مَجْلِسَهُ قال: ما فعل أميـرُكم المهلّبُ؟ قالوا: قد تلقاك أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ.

فهَمَّ بشـر أن يُولِّيَ حَرب الأزارقة عُـمَر بن عُبـيد الله، فقال له أسـماءُ بن خارجةَ: إنما ولاك أميرُ المؤمنينَ لِنَرى رأيَك، فـقال له عكْرِمة بن رِبْعى: اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلِمه علَّةَ المهلَّب، فكتب إلـيه يُعْلِمُهُ علَّةَ المهلَّب، وأَنّ بالبصرة من يُغنى غنَاءَهُ، ووجَّـهَ بالكتاب مع وَفْـد أوفَدَهُمْ إليه، رئيـسهُم عبـدُ الله بن حكيمٍ المُجَاشِـعيُّ، فلمَّا قـرأ الكتابَ خَـلاً بعبد الله بـن حكيمٍ فقـال: إنّ لك ديناً ورأياً وحزْمًا، فَمنْ لـقتال هولاء الأزارقة؟ قال: المهلَّبُ. قال: إنه عَـليلٌ. قال: ليستْ علَّته بمانعة[4]. فقالَ عبدُ الملك: أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ ما فعل خالدٌ.

فكَتَبَ [5]إلى بشر[5] يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلَّبَ، فـوجَّه إليه. قال المهلَّبُ: أنا عَليلٌ ولا يُمْكِنُـنى الاختلافُ، فأَمَـر بشرٌ بحمل الدواويـن إليه، فجعل يَـنْتَخِبُ، فاعترض بشـرٌ عليه، فاقتَطَع أكثر نُخْـبته، ثم عزَمَ[6] ألاّ يُقيمَ بعـدَ ثالثةٍ، وقد

---

(١) أمدده: أعنه. (٢) ساقطة من ر.

(٣-٣) ساقط من ر. (٤) ر: «بمانعته».

(٥-٥) ساقط من ر. (٦) ساقط من ر.

أخَذت الخوارج الأهْوازَ وخلَّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُرات، فخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارَ طَاقَ. فأتاه شيخٌ من بنى تميم، فقال أصلحَ اللهُ الأمير إن سنى ماتَرَى فهَبْنى لعيالى قال: على أن تقولَ للأمير إذا خَطَبَ فحثَّكم على الجهادِ، كيفَ تَحثُّنا على الجهاد وأنت تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدة منَّا؟ ففعلَ الشيخُ ذلك، فقال له بشرٌ: وما[1] أنتَ وذاكَ؟ قال: لا شىءَ، وأعطَى المهلَّبُ رجلا ألفَ درهمٍ على أن يأتىَ بشراً فيقولَ له: أيُّها الأمير أعن المهلَّبَ بالشرْطَة والمُقاتلَة، ففعلَ الرجلُ ذلك، فقال له بشرٌ: ما أنتَ وذاكَ؟ قال: نَصيحةٌ حضرَتْنى[2] للأمير والمسلمينَ، ولا أَعُودُ إلى مثلها، فأمدَّهُ بالشُّرْطَة والمُقَاتلة.

وكتب بشرٌ إلى خليفته بالكوفة أن يَعْقد لعبد الرحمن بن مخْنَف على ثمانية آلاف، من كلِّ رُبْعٍ ألفين، ويُوَجه به مَدَداً إلَى المهلَّب، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف الأزْدىِّ فَعَقَدَ له، واختار له من كلِّ رُبْعٍ ألفين، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشْرُ بنُ جَرير البَجَلىُّ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُ الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى، وعلى رُبْعِ كنْدةَ وربيعةَ محمدُ بن إسحاق بن الأشعَث الكنْدىُّ، وعلى مَذْحِجٍ وأَسَد زَحْرُ بنُ قيسٍ المَذحجىُّ، فقدموا على بشر، فَخَلاَ بعبد الرحمن بن مخْنَف، فقال له: قد عرفتَ رأيى فيك وثقتى بك، فكُنْ عند ظَنِّى، انظُرْ هذا المُزونىَّ فخالفه فى أمره، وأَفْسِدْ عليه رأيَهُ، فخرج عبدُ الرحمن ابن مخْنَفٍ وهو يقولُ: مَا أَعْجَب ما طَمع منىَ فيه هذا الغلام! يأمُرنى أن أُصَغِّر شيخاً من مَشايخ أهلى وسيداً من ساداتهم! فلحِقَ بالمهلب.

* * *

فلمَّا أحَسَّ الأزارقةُ بدُنُّوه منهم انكشفوا عن الفرات، فاتبعهم المهلَّب إلى سوق الأهواز، فنفاهم عنها، ثم اتبعهم[3]. إلى رَامَ هُرْمُزَ فَهزَمَهم منها، فدخلوا فارسَ وأَبْلَى يزيدُ ابنهُ فى وقائعه هذه بلاءً شديداً[4]، تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة، فلما صارَ القومُ بفارسَ وَجَّهَ إليهم ابنَه المُغيرة، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبْح: أيها الأمير! إنه[5] ليس برأى قتلُ هذه الأكْلُب، ولَئِنْ والله قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ فى بيتِك، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكلْ بهمً، فقال: ليس هذا من الوفَاء.

---

(١) ر: «ما أنت».
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «نتبعهم».
(٤) ر: «حسنا».
(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلْبَث بـرَامَ هرمز إلا شهراً حـتى أتاهم[1] موتُ بشر، فـاضطرب الجند على ابن مخْنَف، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحاقَ بن الأشْعَث وابن زَحْر واستحلفهُما ألاّ يَبْرَحَا، فحلفَا له ولم يَفيَا، فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسلّلون حتى اجتمعوا بسوق الأهْـواز، وأراد أهلُ البصْرة الانسـلال من المهلَّب، فـخطبهم فقـال: إنكم لستم كأهل الكوفـة، إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالكم وحُرَمِكمْ، فـأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ.

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشر بن مروانَ، فوجَّهَ مَولَى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز، يَحْلفُ فـيه بالله مجتهداً، لـئنْ لم يرجعوا إلى مراكـزهم وانصرفوا عُصاةَ لايظْفَـرُ بأحد منهم إلاَّ قتَلَه، فجـاء مولاه، فجعل يقرأ الكتـابَ عليهم ولا يَرَى في وجوههم قبُـولَه، فقال: إنّي لأرَى وجوهاً ما القبولُ من شَـأْنها. فقال له ابنُ زَحْر: أيُّها العبد، اقرأْ ما فى الـكتاب وانصَرِفْ إلى صاحبك، فإنك لا تدرى ما فى أنفـسنا، وجعلوا[2] يستـحثونه بقراءته. ثم قَـصدُوا قصداً الكـوفة، فنزلوا النُّخَيلةَ، وكتبوا إلى خليفة بشـر يسألونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول فأَبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزَل المهلَّبُ ومَن معه من قُوَّاده وابنُ مـخْنَف فى عَدد قليلٍ، فلم يَنْشَبُوا أنْ ولَىَ الحـجَّاجُ العـراق، فدَخَل الكـوَفَةَ قَـبْلَ البصـرَة، وذلك فى سنة خـمس وسبعـين، فخطبَهم وتهـدَّدَهُمْ، وقد ذكرنا الخطبة مـتَقَدِّماً. ثم نَزَل فـقال لوجُوهِ أهلها: مـا كانت الوُلاةُ تفـعلُ بالعُصاة؟ فـقالوا: كانـت تَضْرِبُ وتَحْبس، فـقال الحجَّاجُ: ولـكنْ ليس لهم عندى إلاَّ السيفُ. إن المسـلمين لو لم يَغْزُوا المشـركين لغزاهُم المشركـون، ولو ساغت المعصيةُ لأهلها ما قُـوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِىَ فَىْءٌ. ولا عَزَّ دينٌ.

ثم جلَسَ لتوجيه الناس، فقـال: قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثاً، وأقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابن مخْنَف بعدها ولا من أهل الثُّغور إلاّ قَتَلْتُهُ[3]. ثم قال لصاحب حَرَسه وصـاحب شُرَطَه: إذا مَضَت ثلاثةُ أيـامٍ فاتخذُوا سيـوفكما عصيًّـا، فجاءَهُ عُمَيْرَ بن ضابَى البُرجُمىِّ بابـنه، فقال: أصلح الله الأمير! إنَّ هذا أنفعُ لكم منى، وهو أشدُّ بنى تَميم أيْداً، وأجمعُهم سلاحاً، وأربطُهم جَأْشاً. وأنا شَيخٌ كبيرٌ عَليل،

---

(١) ر: «أتاه».

(٢) ر: «يستحثونه فى قراءته».

(٣) ساقطة من ر.

واستَشْهَدَ جُلَساءَهُ، فقال له[٢] الحجاجُ: إنَّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ. وإن ضعفك لبَيِّنٌ ولكنِّي أكرهُ أن يَجْتَرِئَ بك الناسُ عليَّ. وبعدُ فأنْتَ ابنُ ضَابِئٍ صاحبُ عثمانَ. ثم أَمَرَ به فقُتِلَ. فاحتملَ الناسُ. وإن أحدَهُم لَيُتْبَعُ بزادِهِ وسلاحِهِ. ففى ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأَسَدِى:

أقولُ لعبدِ الله يوم لَقِيتُهُ ... أرَى الأَمرَ أَمْسَى مُنْصِباً مُتَشَعِّبَا
تخيَّرْ فإمَّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابِئٍ ... عُمَيْراً وإمَّا أن تزورَ المهلَّبَا
هما خُطتا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشهبَا
فَمَا إن أَرَى الحجَّاجَ يَغْمِدُ سيفَهُ ... يَدَ الدهرِ حتى يترك الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أوهِىَ أقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المُضَرَّب السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال:

أَقَاتِلِى الحجاجُ إن لَم أزُرْ له ... دَرابَ وأتْرُكْ عند هندٍ فؤادِيَا

وقد مرت هذه الأبياتُ.

وخرج الناسُ عن الكوفة. وأتى الحجاجُ البصرةَ. فكان عليهم أشدَّ إلحاحا[٢]. وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فتحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه، فأتاه رجلٌ من بنى يَشْكُرَ، وكان شيخاً كبيراً أعورَ، وكان يَجْعَلُ على عينه العوراء صوفة، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَة. فقال: أصلحَ الله الأميرَ! إنّ بى فَتْقاً، وقد عذَرَنى بشْر، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقال: إنك عِنْدى لصَادِقٌ، ثم أَمَر به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ففى ذلك يقول كعبُ الأشقَرِىُّ أو الفَرَزدق:

لقد ضَرَبَ الحجاجُ بالمصرِ ضربةً ... تُقرْقِرُ منها بطنُ كلِّ عَرِيف

ويرى عن ابن مَيْرَةَ قال: إنَّا لَنتغدَّى معه يوماً إذ جاء رجلٌ من بَنى سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا عاص، فقال: له الرجلُ: أنْشدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ فى دَمى، فوالله ما قَبَضْتُ ديواناً قَطُّ، ولا شهدتُ عسكراً، وإنِّى لَحائِك أخذْتُ من تحتِ الحِفِّ[٣] فقال: اضربوا عنقهُ. فلما أحسَّ بالسيف سَجَدَ،

(١) ساقطة من ر. (٢) ر: «حاء».
(٣) الحف: المنسج.

فَلحقَه السيفُ وهو ساجدٌ، فأمسكنا عن الأكل[1]، فأقبل علينا الحجاجُ فقال: مالى أراكم صَفَرَتْ أيديكم واصفَرّتْ وجوهُكم وحدَّ نظركم من قتلِ رجل واحد! إنَّ العاصِىَ يَجمَعُ خلالا: يُخلُّ بمركَزِه، ويَعْصى أميرَه، ويغرُّ المسلمين وهو أجيرٌ لهم، وإنما يأخذُ الأجرةَ لِمَا يَعملُ، والوالى مُخيَّر فيه، إن شاءَ قتَلَ وإن شاء عفَا.

ثم كَتَب الحجاجُ إلى المهلب: أمَّا بعدُ، فإنَّ بشْراً رحمه الله استَكْرَهَ نَفْسَهُ عليكَ، وأراك غَنَاءَهُ عنك، وأنا أريك حاجتى إليك، فأرنى الجدَّ فى قتال عدوّك، ومَنْ خِفْتهُ على المعصيةِ ممّنْ قِبَلَكَ فاقتلْه، فإنى قاتلٌ مَنْ قِبَلى، ومَنْ كان عندى مِنْ وَلِىِ مِنْ هَرب عنكَ فأَعلمنى مكانَه، فإنى أَرَى أن آخذَ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ، وَالسَّمىَّ بالسَّمِىِّ.

فكَتَب إليه المهلَّبُ: ليس قِبلى إلا مُطيعٌ، وإنّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كبَّرُوا الذّنبَ، وإذا أمنُوا العقوبةَ صَغَّروا الذنبَ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكفرَهُم ذلك، فَهَبْ لى هؤلاءِ الذين سَمَّيْتَهم عصاةً، فإنما هم فريقان[2]: أبطالٌ، أرجو أن يُقْتلَ الله بهم العدوَّ. ونادمٌ على ذَنْبه.

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال: اليومَ قُوتلَ هذا العدوُّ. ولمّا رأى ذلك قَطَرِىٌّ قال: انهضوا بِنَا نريدُ السَّرْدَان[3] فَنَتَحَصَّنَ فيها، فقال عُبَيْدَةُ بن هلال: أو نَأتى سَابُورَ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم، فأتى أرّجَانَ، وخافَ أن يكونوا قد تحصَّنوا بالسَّرْدَانِ، وليست بمدينة، ولكنّ جبالٌ مُحْدقة مَنيعةٌ، فلم يُصب بها أحدا، فخرج نحوَهم فَعَسْكَرَ بكازَرُونَ، واستَعدُّوا لقتاله، وخنْدَق على نفسه، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف: خَنْدقْ على نفسكَ، فوجه إليه: خنادِقُنا سيوفُنا. فوجَّه إليه المهلّب: إنى لا آمَنُ عليكَ البيَات، فَقال ابنُه جعفرٌ: ذاك أهونُ علينا من ضَرْطة جمل، إفأقبلَ المهلَّب على ابنه المغيرة، فقال: لم يُصيبوا الرأيَ ولمْ يأخذوا بالوَثيقة، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ، فَبعَثَ إلى ابن مخْنَف يستمدّه، فأمَدّه بجماعة، وجعل عليهم ابنَه جعفرا، فجاءوا وعليهم أقْبيةٌ بيضٌ جُدُدٌ، فقاتَلوا يومئذ حتى عُرِفَ مكانهم، وحاربهمُ المهلَّب، وأَبْلَى بنوه يومئذ كَبَلاء الكوفيِّين أو أشَدَّ، ثم نَظَر إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحٌ بن مِخْرَاقٍ، وهو يَنْتَخِب

---

(١) ر: «الطعام». (٢) ر: «فريسان».

(٣) السردان: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفى ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربَعَمائَة، فقال لابنه المُغيرة: مايُعدُّ هؤلاء إلاّ للبَيَاتِ. وانكَشف الخوارجُ والأمرُ للمهلَّب عليهم، وقد كَثُر فيهم القتل والجراح.

* * *

وقد كان الحجاجُ فى كل يوم يتفقَّدَ العُصاةَ ويُوجِّهُ الرجالَ، فكان يَحْبسهم نهارا، ويَفْتَحُ الحَبْسَ ليلاً، فُينسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّب، وكَانَ الحجاجَ لايَعلم، فإذا رأى إسْراعَهُمْ تَمَثَّلَ:

إنَّ لها لسَائقاً عَشَنْزَرَا إذا وَنَينَ وَنيةً تَغَشْمَرَا

العَشَنْزَرُ: الصُّلْب، والغشمرة[1]: رُكوب الرَّأس. والمُتَغَشْمِرُ: الجادُّ على ما خيَّلَت.

وكَتَب إلى المهلَّب من قبْل الوَقْعة: أما بعدُ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جبايةِ الخراج، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنى ولَّيْتُك وأنا أرَى مكانَ عبد الله بن حكيمٍ المُجاشعى وعَبَّاد بن حُصَيْن الحَبَطِىّ. واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثم رجلٌ من الأزْدِ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا، وإلاَّ أشْرَعْت إليك صَدْرَ الرُّمح.

فشاوَرَ بَنِيه فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب.

فكتب إليه المهلَّب: وردَ على كتابُك تَزعَم أنى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوّ. ومن عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوّ أعْجزُ، وزعمتَ أنك ولَّيتنى وأنت تَرى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجَاشعى وعَبَّاد بن حُصَين الحَبطِىّ، ولو ولَّيتَهما لكانا مُستَحقّيْنِ لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأزد، ولعمرى إنَّ شرًّا من الأزْد لقَبيلَةٌ تنازُعها ثلاثُ قَبائلَ، لم تَسْتَقرَّ فى واحدة منهنَّ. وزعمتَ أنى إن لم ألقَهم فى يوم كذا، فى مكان كذا، أشرعت إلىّ صدرَ الرمح، فلو فعلتَ لَقَلْبتُ إليك ظهرَ المِجنّ، والسلامُ.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ: إنى أخافُ البَيَاتَ على بنى تميمٍ فانْهَضْ إليهم فكنْ فيهم.

---

(١) ر: التغشمر.

فأتاهُم المغـيرة. فقال له الحَـريشُ بن هلاَل: يا أبا حاتمٍ، أيخَـافُ الأميرُ أن يُؤتى من ناحيتنا؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمناً، فإنَا كَافُوهُ ما قِبلَنَا إن شاء الله.

فلما انتصفَ اللـيلُ وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه، سَرَى صَالِحُ بن مخراقٍ فى القوم الذين أعدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ، ومعه عبِيدةُ بن هلال، وهو يقولُ:

إنـى لَمُـذْكِ للـشُّـرَاةِ نـارَهـا ومـانـعٌ ممَّـن أتـاهـا دَارَهـا

وغاسلٌ بالطعْنِ عنها عارَها

فوجـدَ بنى تميمٍ أيقـاظا مُتَحَـارسِينَ، فخـرج إليهم الحَـريشُ بن هلالٍ وهو يقولُ:

لـقـد وَجَـدتم وُقـراً أنْجـادا لاكَـشُـفـا مـيـلا ولا أوْغَـادَا
هَـيْـهـاتَ لاتُـلْفُـونَـنَا رُقـادَا لا بَـلْ إذا صِـيـحَ بـنـا آسَـادَا

ثم حَملَ عـلى القوم فرجَـعوا عنه، فاتبـعهم وصاح بهـم: إلى أينَ كلاَبَ النار! فقالوا: إنما أُعدَّت النارُ لك ولأصحـابك، فقال الحَريشُ: كلُّ مملوك لى حُرٌّ إن لم تَدخلوا النارَ إنْ دَخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ.

قوله: «وَجَدتُم وُقُرًا» جـمعُ وَقُور. والنَّجْدُ: ضدُّ البَليـد، وهو المتيقِّظ الذى لا كَسَل عنـدَه ولافُتورَ، والأميلُ فـيه قولان: قـالوا: الذى لايَستقـرُّ على الدابة. وقالوا: هو الـذى لاسَيْفَ معـه. والأكشفُ: الذى لاتُرْسَ معـه. والأجَمُّ: الذى لارُمْحَ معه. والحاسرُ الذى لادِرْع عليه. والأعزَلُ: الذى لايَتَقَوَّمُ على ظَهْر الدابَّةِ. والوَغْدُ: الضعيفُ.

ثم قال بعضهـم لبعض: نأتى عسكرَ ابن مخْنف فإنـه لاخُنْدقَ عليهم، وقد تَعبَ فرسـانُهم اليومَ مع المهلَّب، وقد زَعـموا أنَّا أهْوَنَ عليهم من ضَـرْطة جَمل، فأَتَوْهُم فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه لهم إلاَّ وقد خَالطُوهم فى عسكرِهم.

وكان ابنُ مِخْنَفٍ شـريفاً، يقولُ رجلٌ من غامدٍ لرجل يعـاتِبُه ويَضْرِب بابن مِخْنَفٍ المُثَل:

تَرُوحُ وتَـغْـدُو كلَّ يومٍ مـعَـظّمـاً كأنـك فينا مِـخْنَفٌ وابنُ مـخنفِ

فتَرجَّلَ عبدُ الرحمن بنُ مخْنَف فجالدَهم فقُتِلَ. وقُتلَ معه سبعون من القرَّاء، فيهم نَفَرٌ من أصحاب علىِّ بنَ أبى طالب صلوات الله عليه، ونفرٌ من أصحاب ابن مسعود. وبَلَغَ الخبرُ المهلّب، وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنَف عندَ المهلَّب، فجاءهم مُغيثا، فقاتلَهم حتى ارْتُثَّ[1] وصرعَ، ووجه المهلَّبَ إليهم ابنَه حبيباً فكَشَفهم، ثم جاء المهلَّب حتى صَلَّى على ابن مخْنَفَ وأصحابه رحمهم الله، وصار جُنْدُه فى جُنْدِ المهلَّب، فضمَّهم إلى ابنه حبيب، فغيرَّهم البصريون، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن:

تركتَ أصحابَنا تَدْمَى نُحورُهُمُ وجئتَ تَسْعَى إلينا خَضفةَ الجملِ[2]

قوله: «خَضْفَةَ الجملِ» يريدُ ضَرْطَةَ الجملِ، يقال: خَضَفَ البعيرُ. وأنشدنى الرِّيَاشىُّ لأعرابىٍّ يذمُّ رجلا اتَّخذَ وليماً:

إنَّا وَجدْنَا خلَفَا بئْسَ الخَلَفْ أغْلَقَ عَنَّا بابَهُ ثم حَلَفْ
لا يُدْخِلُ البوابُ إلا مَنْ عَرَفْ عَبْدا[3] إذا ماناءَ بالحمل خَضَفْ[4]

يقال: ناء بحمله. إذا حمله فى ثقل وتكلف، وفى القرآن: ﴿**ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة**﴾[5]. والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح. وقد مضى تفسير هذا.

فلاَمَهم المهلَّب. وقال: بِئْسَمَا قُلتم! والله مافَرُّوا ولاجَبُنُوا، ولكنهم خَالفُوا أميرَهم. أفلا تذكرون فِراركم يوم دُولاب، وفراركم بدارِس[6] عن عثمان، وفراركم عنى!

* * *

ووَجَّه الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّب يَسْتَحثُّهُ فى مُناجزة القوم، وكتب إليه: إنك لتُحبّ بقاءَهم لتأكلَ بهم. فقال المهلَّب لأصحابه: حَرِّكوهم، فَخرج فرسان من أصحابه إليهم، فخرجَ إليهم من الخوارج جَمعٌ، فاقتتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارجُ: ويْلكمْ أما تَمَلُّونَ! فقالوا: لا، حتى تَمَلُّوا، قالوا: فمن أنتم؟

---

(١) ارتث: حمل من المعركة وبه بقية من الحياة.

(٢) أى يا أبا خضفة. (٣) ر: «عبد».

(٤) زيادات ر: «تقول العرب: حبج الرجل وخبق وخضف وردم. كل ذلك إذا ضرط».

(٥) سورة القصص ٧٦. (٦) دار س: موضع قريب من البصرة.

قالوا: تميمٌ، قالت الخوارجُ: ونحن بنو تمبم، فلما أمسوْا افترقـوا، فلما كان الغَدُ خرج عشَرةٌ من أصحاب المهلَّب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتَفَر كلُّ واحد منهم حَفيرَةً وأثبتَ قَدَمَه فيها، فكلما قُتلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ وقام[1] مكانُه. حتى أعْتَمُوا[2]، فقال لهم الخوارجُ: ارجعوا، فقالو: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم! مَنْ أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم، فرجَع البَراءُ بن قبيصةَ إلى الحجاج، فقال له: مَهْ! قال: رأيتُ قوماً لايُعينْ عليهم إلاَّ الله.

وكَتب إليه المهلَّبُ: إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ: موتٌ ذَرِيعٌ، أو جوعٌ مُضِرٌّ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم.

وكان المهلَّبُ لايتَّكلُ فى الحراسة على أحدٍ. كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقةِ عنده.

وقال أبو حَرْملةَ العَبْدِىُّ يهجو المهلَّب:

عَدمْتُكَ يامُهلَّبُ من أمير ... أمَا تَنْدَى يمينُك للفقير!
بِدُولَابٍ أضعتَ دماءَ قومى ... وطرْتَ على مُواشِكَةٍ دروَرِ[3]

فقال المهلَّبُ: ويحكَ! وا لله إنى لأقيكُمْ بنفسى ووَلَدى. قال: جعلنى الله فداءَ الأمير! فَذَاك الذى نكْرَهُ منك، ماكلنا يُحبُّ الموتَ، قالَ: ويحكَ! وهل عنه مَحِيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نكْرَهُ التَّعجيلَ، وأنتَ تُقْدِمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلَّبُ: أمَا سمعتَ قولَ هُبَيْرة[4] الكَلْحَبَة اليَرْبُوعِى:

فقلتُ لِكأس ألجميها فإنما ... نزلنا الكَثيبَ مِن زَرود لِنَفزَعَا

قال: بلى والله قد سمعتُه. ولكنْ قولى أحَبُّ إلىَّ منه. وهو[5]:

فلمَّا وقفْتُمْ غَدْوةً وَعَدُوُّكُمْ ... إلى مُهجتى وَلَّيْتُ أعداءكم ظَهْرى
وطِرْتُ ولم أحْفلْ مَقالةَ عاجز ... يُساق المَنايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

---

(١) ر: «ووقف».

(٢) أعتموا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له[1] المهلَّب: بئس حَشْوُ الكَتيبَة والله أنتَ! فإن شئتَ أذنتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك، فقال: بل أقيمُ معك أيُّها الأميرُ. فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَرَى حَتْماً عليه أبو سَعيد	جِلادَ القومِ فى أولى النَّفير
إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ	مَشَى فى رِفْلِ مُحكَمَةِ القَتِير[2]

الرِّفل: الذيلِ.

* * *

وكان المهلّب يقول: مايَسُرُّنى أن فى عسكرِى ألْف شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْب، فيقال له: أيها الأميرُ. بيهس ليس بشجاعٍ، فيقول: أجَلْ، ولكنه سَديد الرأى مُحْكَمُ العقلِ، وذو الرأى حَذِرٌ سَؤُولٌ، فأنا آمنُ أن يُغْتَفَل، فلو كان مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ: إنهم يَنْشامون[3] حين يُحْتاجَ إليهم[4]

ومَطَرَت السماءُ مطراً شديداً وهم بسابورَ. وبين المهلب وبين الشراة عَقَبةٌ. فقال المهلَّبُ: مَنْ يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ؟ فلم يَقمْ أحدٌ. فلبس المهلّب سلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُ الله: دعانا الأمير إلى ضبط العقبة. والحظُّ فى ذلك لنا فلم نُطعْهُ، فلبس سلاحَه، واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكر فصاروا إليه. فإذا المهلّب والمغيرة لاثالثَ لهما. فقالوا: انصرفْ أيها الأميرُ، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشُّراة على العقبة، فَخَرج إليهم غُلاَم من أهل عُمَانَ على فرسٍ. فجعل يَحْمِل وفرسُهُ يَزْلَق، وتَلقّاه مُدْرِكُ ابن المهلب فى جماعة معه حتى رَدَّهم.

فلما كان يوم النَّحْرِ والمهلّبُ على المنبر يخطبُ الناسَ. إذا الشَّراة قد تألَّبُوا، فقال المهلَّب: سبحان الله! أفى مثلِ هذا اليومِ يامُغيرةَ! اكْفنيهمْ، فَخَرج إليهم المغيرةُ بن المهلّب وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً فى

---

(١) ر: «وقال المهلب».

(٢) القتير: رءوس مسامير حلق الدروع.

(٣) ينشامون. من انشام الشيء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن ينتفلوا.

(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم»..

شجاعته. وكان الحجاج[1]. إذا ظَنّ برجل أن نفسَه قد أعْجَبَتْه قال له: لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ماعَدَا - وقُرْدُوسٌ من الأزْد.

فَخَرج أمامَ المغيرةَ. وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلّب، فَالْتَقَوْا، وأمامَ الخوارج غلامٌ جامعُ السلاحِ، مَديدُ القامة، كريه الوجهِ، شديدُ الحمْلَة، صحيحُ الفُرُوسيَّة، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهويقولُ:

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ بالخيل أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرى[2]

فخرج إليه سعدُ بن نجد القَرْدوسيُّ من الأزدِ، ثم تَجَاوَلا ساعة، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والتقَى الناسُ، فصُرِعَ يومئذ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن بجد وذُبيانُ السَّخْتَيانيُّ وجماعةٌ من الفُرْسان حتى رَكِبَ، وانكشف الناسُ عند سَقْطة المغيرة، حتى صاروا إلى أبيه المهلّب، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيَانيُّ. فأخبره بسلامتِه. فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته.

* * *

ووجَّه الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبْطئُه فى مناجزة القومِ، وكتب إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعَلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخنادق، وطاولْتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْناً، ولكنك اتخَذْتَ أُكْلاً[3]. وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلاّ أنكرتَنى، والسلام.

فقال المهلّب للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبةَ. والله ماتركتُ حيلةً إلا احتَلْتُها، ولامكيدةً إلاّ أعْمَلْتُها. وما العَجَب من إبطاء النصر وتَراخِي الظّفَرِ. ولكنَّ العجب أن يكونَ الرأىُ لمن يملكهُ دونَ من يُبْصِرُهُ! ثم ناهضَهم ثلاثةَ أيام، يُغاديهم القتالَ، ولا يزالوان كذلك إلى العصر، وينصرف[4] أصحابُه وبهم قَرْحٌ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ، فقال له [الجَرَّاحُ[5]]: قد أعْذَرْتَ.

---

(١) ر: «وكان المهلب». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) الوشيج: مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه فى بعض. (٣) الأكل: الرزق.

(٤) من هنا خرم فى نسخة الأصل ينتهى فى ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

(٥) تكلمة من س

فكَتب المهلّب إلى الحجاج: أتانى كتابك تَستَبْطِئنى فى لقاء القوم، على أنك لاتَظُنُّ بى معصية ولا جُبْناً، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان، وأوعدتنى وَعِيدَ العاصى، فاسأل[1] الجرَّاحَ. والسلامُ.

فقال الحجَّاجْ للجَّراح: كيف رأيتَ أخاك؟ قال: والله مارأيتُ أيها الأمير مثلَه قطُّ، ولاظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابَه أياماً ثلاثةً يَغْدُون إلى الحربِ ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطَاعنون بالرماح. ويَتَجالدون بالسُّيوف، ويتخابطون بالعَمَد. ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئاً. رَوَاحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم. فقال الحجاج: لَشَدَّ مامَدَحْتَهَ أبا عُقْبَةَ! قال: الحقُّ أوْلَى.

وكانت رُكُب[2] الناس قديماً من الخشب. فكان الرجلُ يُضْرَبُ ركابُهُ فيتقطعُ فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ. فأمر المهلَّبُ فضُرِبَت الرُّكُبُ من الحديد. وهو أولُ من أمرَ بطبعها. ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العَنَزِىُّ:

ضَربُوا الدراهمَ فى إمارتهمْ ... وضربت للحدثان والحرب
حَلَقاً ترى منها مَرَافِقَهم ... كَمَنَاكبِ الْجَمَّالةِ الحُرْبِ[3]

وكتب الحجاجُ إلى عَتَّاب بن وَرْقاءَ الرِّياحىِّ من بنى رياحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلة وهو وَالى إصْبَهانَ. يأمُرُه بالمسير إلى المهلَّب. وأن يضُمَّ إليه جُنْدَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف: فكلُّ بلد تَدْخُلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة. فإذا دخلتم بلداً فتحهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][4]، والمهلّب على أهل البصرة.

فقدمَ عَتَّابٌ فى إحدى جمُادَيَيْنِ من سنة ستٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابورَ، وهى من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّب أميرَ الناسِ، وعتابٌ على أصحاب ابن مِخْنَف، والخوارجُ فى أيديهم كِرْمانُ، وهم بإزاء المهلّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى.

---

(١) س: «فسل»

(٢) الركب: جم ركاب. وهو مايعتمد عليه راكب السرج بقدميه.

(٣) أى ضربت حلقا. ومرافقهم. أى معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.

(٤) من س.

فَوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلّبِ رجلين يَسْتَحِثّانه مُناجَزَةَ القوم، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن، من بنى عامر بن صَعْصَعَة، والآخرُ من آل أبى عَقِيل جدِّ الحجاج، فضمَّ زياداً إلى ابنه حَبيب، وضَمَّ الثّقفىَّ إلى يزيد ابنه، وقال لهما: خُذَا يزيدَ وحبيباً بالمناجَزَة، فَغَادَوُا الخوارج فاقتَتَلُوا أشدَّ قتال، فقتلَ زيادُ بن عبد الرحمن، وفُقِدَ الثّقفىُّ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ، فدَعَا به المهلّب ودَعَا بالغَدَاء، فجعل النَّبْلُ يقع قريباً منهم، والثقفىُّ يَعْجَب من أمر المهلّب، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ:

ألاَ ياأصْبحانى قَبْلَ عَوْقِ العَوائق ... وقبلَ اختراط القوم مثلَ العَقَائقِ
غداة حبيب فى الحديد يَقُودُنا ... نخوضُ المنايَا فى ظِلال الخَوافق
حَرُونٌ إذا ما الحرب طار شَرَارها ... وهاجَ عجاجُ الحرب فوق البَوارق[1]
فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أن أمِينَه ... زياداً أطاحتْهُ رِماحُ الأزَارقِ

قوله:

وقَبْل اختراط القوم مثلَ العقائق

يعنى السُّيوفَ، والعقائقُ: جمع عَقيقة، يقال: سيف كأنه عَقيقةُ بَرْق، أى كأنه لَمْعَةُ برق، ويقال انعقّ البرقُ إذا تَبَسَّمَ. وللعقيقة مواضعُ: يقال فلانٌ بعَقيقة الصَّبىِّ[2]، أى بالشَّعْر الذى وُلدَ به لم يحلْقهُ، ويقال: عَقَقتُ الشىء أى قطعتُه، ومنْ ذا فلان يَعُقُّ أبَوَيْه، وكذا عَقَقْتُ عن الصَّبىّ، إذا ذبحتَ عنه، وقال أعرابىٌّ:

ألم تَعْلَمى يادارَ بَلْجاءَ أنَّنى ... إذا أجْدَبَتْ أو كان خِصْباً جَنَابُها
أحَبُّ بلادِ الله مابين مُشْرِف ... إلىَّ وَسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُها[3]
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تميمتىَ ... وأولُ أرض مَسَّ جِلْدِى تُرابُها

فلمْ يَزَلْ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهر، حتى ظَهَرَ شَبيب، فكتب الحجاج إلى عتّابٍ يأمره بالمصير[4] إليه ليوجه إلى شبيب، وكتب إلى المهلَّب

(١) قال المرصفى: «الحرون: لقب حبيب؛ لأنه كان يحرن فى الأرض فلا يبرح». والبوارق السيوف.
(٢) ر: «الصبى» بكسر الصاد وألف مقصورة.
(٣) مشرف: رمل بالدهناء
(٤) س: «بالمسير».

[يأمره][1] بأن يَرْزُقَ الجُنْدَ، فَرَزق المهلّب أهلَ البصرة، وأبى أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتّابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهل الكوفة. فأبى. فجَرتْ بينهما غلْظةٌ. فقال عتابٌ: قد كان يبلُغنى أنك شجاع فرأيتك جَباناً. وكان يبلُغنى أنك جوادٌ فرأيتك بخيلا. فقال له المهلَّب: يابن اللَّخْناء! فقال له عَتَّابٌ: لكنَّك مُعمّ مُخْولٌ[2] فغضبتْ بكْرُ بن وائلٍ للمهلّب للْحلْف. ووَثب ابنُ تَيْمِ بن هُبَيْرة بن أبى[3] مَصْقَلةَ على عتَّاب فشتمه، وقد كان المَهلَّب كارهاً للحلْف، فلما رأى نُصْرَةَ بكر بن وائل سَرَّه الحلْف واغتبَطَ به، ولم يزل يُؤكِّدُه، فغضبت تميمْ البصرة لعتَّاب. وغضبت أزدُ الكوفة للمهلَّب.

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتَّاب، فقال لعتاب: ياأبا ورْقاء، إن الأمير يَصير لك إلى كلِّ ما تُحبّ، وسأل أبَاه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابه، فَصَلَحَ الأمْرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعَتّابُ بن ورقاء يَحْمَدونَ المغيرة ابنَ المهلّب، وقال عَتّابٌ: إنى لأعرفُ فضله على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سودٍ:

ألا أبلْغ أبَا ورْقَاءَ عنَّا[4] … فلولا أننَّا كُنَّا غِضَابَا

على الشيخ المهلَّب إذْ جفانا … للاَقَتْ خيلُكم مَنَّا ضِراباً

وكان المهلب يقولُ لبنيه: لاتَبْدَءوهم بقتالٍ حتى يَبْدءوكم فَيَبْغُوا عليكم. فإنهم إذا بَغَوْا نُصرتم عليهم.

فَشَخَصَ عَتّابُ بن وَرْقَاء إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين، فوجَّهَه إلى شبيب، فقتله شَبيب، وأقام المهلّب على حربهم، فلما انقضى من مُقامِه ثمانيةَ عشر شهراً اختلفوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يَعمل نصالا مسمومة فَيرْمَى بها أصحابَ المهلّب، فرُفِعَ ذلك إلى المهلَّب فقال: أنا أكْفِيكمُوه إن شاء الله، فَوجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قَطَرِىٍّ فقال: ألق هذا الكتابَ فى عسكرِ قَطَرِىٍّ واحْذَرْ على نفسك- وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى- فمضى الرسَولُ، وكان فى الكتاب: أما بعدُ، فإنَ نصالك قد وَصلَتْ إلىَّ. وقد وجَّهْتُ إليك بألف درهمٍ، فاقبِضْها وزِدْنَا من هذه النِّصَالِ، فَوقعَ الكتابُ والدَّراهمُ إلى

(١) تكملة ر. س.
(٢) معم مخول. أى كريم الأعمام والأخوال.
(٣) ر: «أخى».
(٤) كذا فى س، وفى ر: «بنى ورقاء».

قطرىٌّ. فدعَا بأبزَى، فقال: ما هذا الكتابُ؟ قال: لا أدرى، قال: فهذه الدراهمُ؟ قال: ما أعلَمُ علْمها، فأمر به فقُتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغيرُ مَوْلَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ فقال له: أَقَتَلْتَ رجلاً على غير ثقة ولاتَبَيُّن! فقال له: ماحالُ هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرُها كذباً ويجوز أن يكون حقًّا. فقال له قطرىٌّ: قتْلُ رجلٍ فى صلاح الناس غيرُ مُنْكَرٍ، وللإمام أن يحكم كذبا بما رآه صلاحاً. وليس للرعية أن تعترض عليه. فَتَنَكَّرَ له عبدُ ربِّه فى جماعة [معه][1]. ولم يفارقوه.

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلا نصرانيا. فقال له: إذا رأيتَ قَطَرِيًّا فاسْجُد له، فإذا نهاك فقل: إنما سجدت لك، ففعلَ النصرانىُّ، فقال له قطرىٌّ:

إنما السجودُ لله، فقال: ماسجدتُ إلاّ لك، فقال له رجل من الخوارج قد عَبَدَكَ من دون الله، وتَلاَ: ﴿**إِنَّكُمْ وما تعبُدُونَ منْ دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم أَنْتم لها وَارِدُون**﴾[2]) فقال قطرىٌّ: هؤلاء النصارى قد عَبَدوا عيسىَ بن مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانىِّ فقتَلَه، فأنكر ذلك عليه وقال: أقتلْت ذمِّيًّا! فاختلفت الكلمةُ، فبلَغَ ذلك المهلَّبَ، فَوجَّهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّمْ به إليه، فأتاهم الرجلُ فقال: أرأيتم رجلين خرجَا مُهَاجَرين إليكم، فماتَ أحدُهما فى الطريق وبلغكُمْ الآخَر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ماتقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أمَّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجنة، وأمَّا الآخرَ الذى لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يُجيزَها. وقال قومٌ آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنةَ. فكْثر الاختلافُ.

* * *

فخرج قطرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ. فأقام شهراً والقومُ فى اختلافهم، ثم أقبلَ، فقال لهم صالح بن مخَراق: ياقومِ، إنكم قد قررتم أعيْنَ عدوِّكم، وأطمعْتموهُم فيكم. لِمَا ظهرَ من اختلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة.

وخرج عَمرُو القَنَا فنادَى: أيها المُحِلُّونَ [3]. هل لكم فى الطِّرَادِ، فقد طال عهد به! ثم قال

ألَمْ ترَ أنَّا مُذْ ثلاثون ليلةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

---

(١) تكملة من س. (٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(٣) المحلون: الذين لاعهد لهم ولا حرمة.

فَتَهايج القــومُ، وأسرعَ بعضهم إلى بعضٍ، فأبْلَى يومئـذ المغيرة بن المهلب، وصار فــى وَسط الأزارقة، فجـعلت الرِّمـاحُ تَحُطّه[1] وترْفعه، واعْـتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ، وعليه سـاعدُ حديد، فوضع يَدَه على رأسه، فجَعَلـت السيوفُ لاتعملُ فيه شيئـا، واستنقذه فُرْسان من الأزدِ بعد أن صُرِع، وكان الذى صـرَعَهْ عَبيدة بن هِلالٍ، وهو، يقولُ:

أنـا ابن خَـيْـرِ قــومِـه هِـلالِ   شـيـخٌ على دِيـن أبـى بـلالِ

وذاك دينى آخرِ الليالى

فقال رجلٌ للمغيرة: كنَّا نَعْجَب كيف تصْرَعُ، والآن نَعجب كيف تَنْجُو!

وقال المهلَّب لبَنيه: إنَّ سَرْحكم لغـارٌّ، ولستُ آمَنهم عليه، أفوكَلتم به أحداً؟ قالوا: لا، فلم يَسْـتتمَّ الكلام حتى آتاه آت فـقال: إنَّ صالح بن مخْـراق قد أغارَ على السَّرْحِ، فشق ذلـك على المهلَّب، وقال: كلُّ أمرٍ لا أَليه بنفســى فهوَ ضائعٌ، وتذَمَّر علـيهم، فقال له بِـشْرُ بن المغيرة: أرِحْ نـفسَك، فإنْ كنتَ إنما تريـدُ مثْلك فوالله لا يَعْـدلُ أحدُنا شِسْعَ نَعْلـك، فقال: خذوا علـيـهم الطَّريقَ، فثـار بشر بن المغيرة، ومُدْرِكٌ والمفُضّلْ ابنا المهلَّب، فـسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق، فإذا رجلٌ أسَودُ من الأزارقة يَشلُّ السَّرْح[2]. أى يَطْرُدُهُ. وهو يقولْ:

نحـنْ قـمَـعْـناكُمْ بِشَـلِّ السَّـرْحِ   وقـد نَكَأنَا الـقَرْحَ بعـدَ القَـرْحِ[3]

الشَّلُّ: الطَّرْد، ويقال: نَكَأت القَرْحَةَ، مهموزٌ، ونكَيْتُ العَدُوَّ. غيرْ مهموز، مِنَ النِّكاية، ونكَأتُ القَرحةَ نكأ، قال ابنُ هَرْمةَ:

ولا أَرَاهــا تَــزالُ ظــالمــة[4]   تُحْـدثُ لى قَــرْحَـةً وتَـنْكَـؤهَا

ولحقـهُ المفضّلُ ومُدْركٌ، فـصاحَا برجل من طَيِّئ: اكـفنا الأسْودَ، فاعْـتَوَرَهُ الطائىُّ وبَشُـر بن المغيرة فـقتلاه، وأسرَا رجـلا من الأزارقة، فقال المهـلَّبُ: ممَن الرجلُ؟ قال: رجلٌ منْ هَمْدان، قال: إنك لشَيْنُ هَمْدان، وخَلى سبيله.

---

(١) هنا آخر الخرم فى نسخة الأصل، وأوله فى ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

(٢)السرح: المال الذى يسام فى المرعى من الأنعام.

(٣)أقمناكم: قهرناكم.

(٤) أى لا تزال.

وكان عَيَّاشٌ الكندىُّ شجاعاً بئيسا[1] فأبلى يومئذ، ثم مات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلّب: لاوألتْ نفس الجبَان بعد عيَّاشٍ!

وقال المهلَّب: مارأيتُ كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يَزيدُ فيهم!

***

وَوَجَّهَ الحجاج إلى المهلب رجلين: أحدُهما من كَلْب، والآخْرُ من سُلَيم، يَسْتَحِثانه بالقتال، فقال المهلَّب متمثِّلاً:

ومُستَعْجبٍ ممَّا يَرَى من أناتِنَا ... ولو زبنتهُ الحربُ لم يترَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأوْس بن حَجَر، وقوله: «زَبَنَتْهُ» يقول: دَفَعَتْهُ. ولم يترَمرَم، أى لم يَتَحرَّكْ، يقال: قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ.

وقال ليزيدَ: حَرِّكْهُم، فَحَرَّكهُمْ فَتَهَايَجُوا، وذلك فى قرية من قرَى إصْطَخَر، فحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحاب المهلّب فطَعَنه، فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلّب للسُّلَمِيِّ والكَلْبيِّ: كيف نقاتل قوماً هذا طَعْنُهم!

وحَمَل يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسان المهلّب، وهو أحدُ بنى مالك بن ربيعةَ، على فرس له أَدْهَمَ، وبه نيِّفٌ وعشرون جِرَاحة، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلماحَمَلَ يزيدُ ولّى الجمعُ وحَمَاهم فارسان، فقال يزيدُ لقَيْس الخُشَنيِّ مَوْلَى العَتيك: مَنْ لهذَين؟ قال: أنا. فَحَمَلَ عليهما، فعَطَفَ عليه أحَدُهما، فطعنه قيس الخشنيُّ فصَرَعَهُ، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسَقَطا جميعاً إلى الأرضِ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنيُّ: اقتلُونا جميعاً، فحملَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاَء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعَانقُه امرأةٌ. فقام قيسٌ مُسْتَحيياً، فقال له يزيدُ: أمَّا أنت فبارزتها على أنها رجل. فقال: أما أنتَ لو قَتلْتُ أمَا كان يقال: قُتلْتُه امرأةٌ!

وأبْلى يومئذ ابنُ المْنجب السَّدوسى، فقال له غلامٌ يقال له خلاجٌ: واللهِ لَوددْنَا أنَّا فَضَضْنا عَسْكَرهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقِّرهمْ فأَسْتَلبَ مما هناكَ جاريتين. فقالَ مولاه: وكيف تَمنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأخرى، فقال ابنُ المُنْجبِ:

---

(١) البئيس: الشديد البأس..

أخـلاَجُ إنَّـك لن تُعَـانـقَ طفْـلَةَ | شَـرِقـاً بهـا الجَادِىُّ كـالـتِّمْـثَـالِ
حتـى تُلاَقِىَ فى الكتيبَـةِ مُعْلَـمًا | عَـمْرَو الـقَنَا وعَـبِيدَةَ بـنَ هلالِ
وتَرى المُقَعْطَرَ فـى الكَتيبة مُـقْدماً | فى عُـصْبَـةٍ قَـسَطوا مع الضُّـلاَلِ
أو أن يُـعَلِّـمَكَ المـهـلَّبُ غَـزْوَةً | وتَرَى جـبـالًا قــد دنَتْ لجـبـالِ

قولـه: «طَفْلَةً» يقـول: ناعمـةً، وإذا كسـرتَ الطاء فـقلت: «طفلة» فـهى الصغيرة. والجادِىُّ: الزعفرانُ، والكَتيبَةُ: الجيشُ، وإنما سُمِّى الجيش كتيبةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعـضٍ. وبهذا سُمِّىَ الكتابَ. ومنه قولهم: كَتَبْتُ البغلةَ والناقَةَ إذا خَرَزْتَ ذلـك الموضعَ منهـا، وكَتَبْـتُ القِرْبَةَ، والمُعْلَـمُ: الذى قد شَـهَرَ نَفْـسه بعلاَمة، إمَّـا بعمامة صَبِـيغٍ، وإمَّا بمُشَهَّرةٍ. وإمَّـا بغير لك. وكان حمـزةُ بن عبد المُطَّلِب رضوانُ الله عليه مُعْلَماً يومَ بدر بريـشة نعامة فى صدره. وكان أبو دُجَانةَ- وهو سِمَاكُ بن خُرَيشَةَ الأنصارىُّ - يـومَ أحُدٍ لَمَّا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يأخُذ سيـفى هذا بحَقِّه»؟ قـالوا: وما حَقُّهُ يـارسولَ الله؟ قال: «أن يُضْرَبَ بـه فى العدوِّ حتى يَنْحَنِى»، فقال أبـو دُجَانَةَ: أنا، فَدفَعهُ إليه، فلَبِسَ مُشَهَّـرَةً فَأَعلَمَ بها، وكان قومُه يَعْلَمونَ مـابَلَوا منه أنه إذا لبِسَ تلك المُشهَّرَةَ لم يبْقِ فى نفسـه غايةً، ففعل. وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْنِ، فقال رسولُ لله ﷺ. «إنها مِشيَةٌ يُبْغِضُها الله عزوَجلّ إلاّ فى هذا الموضع» ويُرْوَى أنَّ رسـول الله ﷺ سَمِعَ علياً صلواتُ الله عليـه يقولُ لفاطمةَ - ورَمى إليهـا بسيفه، فقال: هاك حَميداً فاغْـسلِى عنه الدَّمَ. فقال رسول الله ﷺ: «لئِنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معكَ سِمَاكُ بنُ خَرشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْفٍ والحارثُ بن الصِّمّةِ». وفى بعض الحديث «وَقَيْس بن الرَّبيعِ» وكلُّ هؤلاء من الأنصار.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وعَمرو القُنَا مـن بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ، وعَبِـيدةُ بن هلال من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائلٍ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّب فى فـخذه فشكَّها مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ، قال: ،لا أدْرى أعَمْرٌو هو أم غيرُه. والمُقَعْطُر من عَبْدِ القَيْس.

وقوله: «قسَطوا» أى جَارُوا، يقال قَسَط فهو قاسطٌ، إذا جار، قال اللهُ جلَّ ثناؤه: ﴿وأمَّا القَاسطونَ فكانوا لجَهنَّم حَطَباً﴾(١). ويقال: أَقْسَط يُقْسِط فهو مُقْسِطٌ، إذا عَدَلَ، قال الله تَعالى: ﴿إنَّ الله يحبُّ المقْسطينَ﴾(٢).

وكان بَدْرُ بن الهُذيل شجاعاً، وكان لَّحانَة، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى ياخَيْلِ(٣) الله ارْكَبى، وله يقولُ القائلُ:

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّب حاجةً عَرَضَتْ تَوَابعُ دُونَه وعَبيد
العبدُ كُرْدُوس وعَبْد مِثْلُه وعِلاَجُ بَاب الأحْمَرينِ شَدِيدُ

كُرْدوسٌ: رَجُلٌ من الأزد، وكان حاجبَ المهلَّب، وقولهُ: «عِلاَجُ باب الأحمرين شديدُ»، العربُ تُسَمِّى العَجَمَ الحمراءَ، وقد مرَّ تفسير ذا.

وقوله: «تَوابعُ» أرادَ به الرجال، فجاز فى الشِّعْر، وإنما رَدهُ إلى أصله للضَّرورة، وما كان من النعوت على «فَاعِل» فَجَمعه «فاعلون» لئلا يلتبسَ بجمع «فاعلة» التى هى نعتٌ. وقد قلنا فى هذا ولَمَ قالوا: فوارسُ وهَالكُ فى الهوالِك.

وكان بشرُ بن المغيرة أبلَى يومئذ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينه وبين بَنى المهلب جَفْوَة، فقال لهم: يابَنى عَمٍّ، إنِّى قد قصَّرْتُ عن شكَاة العاتب، وجاوزْتُ شكَاةَ المُسْتَعْتب(٤)، حتى كأنِّى لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُوم، فاجعلوا لى فرجَة أَعِشْ بها وهَبُونى أمرأً رَجَوْتُم نصْرَهُ، أو خِفْتم لسانَه. فرَجَعوا له ووَصلُوا. وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه.

وولى الحجاجُ كَرْدَماً فارسَ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلَّب:

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا كرْدَمَة العَيْرِ أحسَّ الضَّيْغَما

الضَّيْغَم: الأسدُ، والكَرْدَمةُ: النّفورُ.

* * *

(١) سورة الجن. . (٢) سورة الحجرات ٩
(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساخط. والمستعتب: طالب الرضا.

فكَتَب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصْطَخْرَ ودَرَاب جِرْدَ لأرْزاق الجُنْد ففعل، وقد[1] كان قطَرِىٌّ هَدَمَ مدينة إصْطَخْرَ، لأنَّ أهلها كانوا يكاتبونَ المهلب بأخباره، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا، فاشتراها منه آزادْ مردُ بنُ الهربْذ بمائة ألف درهمٍ فلم يهدمها، فواقعه المهلَّب فهزمه، ونفاه إلى كرمانَ، واتَّبَعَه ابُنه المغيرة وقد كان دفع إليه سيفاً وجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلّب، وأقسم عليه أن يتقلده، فدفعه إلى المغيرة بعد ماتقلّد به، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دمَّاه، فَسُرَّ المهلَّب بذلك وقال: مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ قد[1] دَفعْتُه إلى غيرِكَ من وَلَدى، اكفنى جباية خراج هاتين الكَورتَيْنِ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ، فَجَعلا يَجْبِيَانِ ولا يُعطيَانِ الجُنْدَ شيئاً، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم، وأحْسِبُه من بنى تميمٍ، فى كلمة له:

ولو عَلم ابنُ يوسفَ مانُلاَقى ... من الآفات والكُرَبِ الشّدَادِ

لفاضتْ عينُه جَزَعَا علينا ... وأَصلَحَ ما استطاعَ من الفسادِ

أَلا قُلْ للأميرجزيتَ خيراً ... أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَادِ

فما رزَقا الجنودَ بها قَفيزاً ... وقد ساسَتْ مَطامير الحصادِ[2]

يقال: سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ، إذا وقع فيه السُّوس، ودَادَ وأَدَادَ، من الدُّودِ، ورَوَى أبو زيدٍ: «دِيدَ فهو مَدودٌ» فى هذا المعنى.

فحاربهم المهلب بالسيرَجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جيرفْتَ، واتبَعهم فنزل قريباً منهم، واختلفت كلمتهم.

وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكرىَّ اتهم بامرأة رجلٍ حداد رأوه مراراً يدخل منزلَهُ بغير إذن، فأَتَوْا قَطرياً فذَكروا ذلك لهُ، فقال لهم: إنَ عَبيدةَ من الدين بحيثُ عَلِمْتم ومن الجهاد بحيثُ رأيتم فقالوا: إنَّا لانُقارُّه[3] على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بَعَثَ إلى عَبيدة فأخبره وقال: إنا لانُقارُّ على الفاحشة، فقال: بَهَتونى[4] ياأمير المؤمنينَ. فما تَرَى؟ قال: إنى جامعٌ بينَك وبينهم، فلا تخْضعْ خُضوعَ المذْنِب، ولا تَتطَاوَلَ تطاوُلَ البرىء. فجَمَعَ بينهم فتكلَّموا، فقام عَبيدة

(١) ساقطة من ر.

(٢) المطامير: جمع مطمورة، وهى حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب.

(٣) من المقارة وهى السكون والطمأنينة. (٤) بهتونى: قالوا على مالم أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبَةٌ منكُمْ لاتَحْسَبُوهُ شرًّا لكُمْ بلْ هُوَ خَيْرٌ لكُمْ**﴾[1] الآيات فبكَوْا وقاموا إلَيه فاعْتَنقُوه. قالَ: استَغفرْلنَا. فَفَعلَ. فـقال لهم عبدُ ربِّه الصغيـرُ مولى بنى قيس بن ثَعْلَبَـةَ: والله لقدخَدَعكم، فبايَعَ عـبدَ ربّه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يظْهروا ولم يَجِـدوا على عَبيدة فى إقـامه الحد ثَبتاً.

* * *

وكان قَطْرىٌّ قد استـعمل رجلا من الدَّهَاقين فظهرتْ له أموالُ كـثيرة. فأتوْا قَطَريًّا فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عمَّاله على مثل هذا، فقال قَطَرىٌّ: إنى استـعملته ولـه ضِيَاعٌ وتجارات، فـأَوْغَرَ ذلك صدورهم، وبَـلَغ ذلك المهلّب، فقال: إن اختلافَهم أشدَّ عليهم منِّى.

وقالوا لقطرىّ: أَلاَ تَخْرُجُ بنا إلى عدونّا؟ فـقال: لا، ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتَدَّ! فـاتبعوه يوماً فـأحَسَ بالشَّرِّ، فدخـل داراً مع جماعة من أصـحابه، فصاحوا به: يادابَّة، خْرِج إلينا. فخرج إليهم. فقال: رجَعْتم بَعْدى كفاراً! فقالوا: أَوَلسْتَ دابَةً! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا منْ دابَّة فى الأرض إلاّ عَلَى الله رزقُهَا**﴾[2]، ولكنك قد كفـرتَ بقولك: إنَّا قد رَجَعْنا كفاراً، فتـب إلَى الله عزَّ وَجلَّ، فشاور عَبيدَة. فقال: إن تُبْت لم يَقبلُوا منك، ولكـن قُلْ: إنما استفهمَتُ فقلتُ: أرجعتم بعدى كفاراً؟ فقال ذلك لهم. فقبلوا منه. فرجَع إلى منزله. وعَزَمَ أن يبايعَ المَقعْطَر العَبدىَّ، فكرهه الـقومُ وأَبَوْهُ، فقال له صالح بن مِخـراق عنه وعن القوم: أبغِ لنا غيرَ المقعْـطَر. فقال لهم[3] قطرىٌّ: أَرَى طول الـعهـد قد غيـركُمْ، وأنتم بـصَدَد عَدوِّكُمْ. فاتَّقُوا الله وأَقْـبلُوا على شأنكم. واستعدُّوا للقاء القـوم. فقال صالح بن مخْرَاق: إن النَّاسَ قَـبْلَنَا قد[3] سَامُوا عـثمانَ بنَ عفَّـانَ أَن يَعْزِلَ عنهم سعـيدَ بنَ العاصى فَـفعلَ، ويجب على الإمام أن يُعْـفىَ الرعيةَ مما كَرهـتْ. فأبى قطَرىٌّ أن يعزلَه، فقال له القـومُ: إنّا خلعناك وولّينا عَبْدَ ربِّه الصغيرَ، فـانفصل إلى عبد ربه أكثرُ مـن الشطْر، وجلّهُمْ الموالى والعَـجَمْ، وكان هناك منهم ثمـانية آلاف. وهم القُرَّاء. ثم ندم صالِحُ بنُ مِخْرَاقٍ. فقال لقـطرىٍّ: هذه نفحة من نفحات الشَّيطان.

---

(1) سورة النور ١١ وما بعدها. (٢) سورة هود ٦.

(٣) ساقطة من ر.

فأعْفِنَا من المُقَـعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوّك، فأبى قطرىٌّ إلاّ المقَعْطَر، فَـحَمَلَ فتًى من العرب على صالح بن مخراق، فطعنه فأنفْذه وأجرَّهُ الرمحَ فقتَله.

ومعنى «أَجَرَّهُ الرمحَ» طعنه وترك الرمحَ فيه. قال عَنْترةُ:

وآخـرَ مـنهـمُ أجْـرَرْتُ رمــحى	وفى الـبَـجَـلىِّ مَـعْـمَـلةٌ وَقِــيع

فَنَشِبَت الحربُ بينهم، فتهايجُوا، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم. فلما كان الغدُ اجتمعو فـاقتتلوا قتالا شديداً، فأَجْلت الحربُ عن أَلْفى قـتيلٍ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ العربَ من المدينة. وأقام عبدُ ربـه بها. وصار قَطَرىٌّ خارجـاً من مدينة جيـرفتَ بإزائهم، فقال له عـبيدة: ياأميرَ المؤمنيـن، إن أَقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليـك إلاّ أن تُخَنْدِقَ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة، وجعل يُناوشهم.

وارتحلَ المهلَّب فكان منهم على ليلة. ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه فقال له: أصلح اللّهُ الأميرَ! عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحُـوا، فقال المهلَّب: إنهم لن يصطلحوا، ولكن دَعْـهُمْ، فإنهم سيـصيرون إلـى حال لايفلحـون معها، ثـم دَسَّ رجلا من أصحابه فقال: إيت عَسْكرَ قطَـرىٍّ فقلْ: إنى لم أزلْ أَرَى قطريًّا يُصيب الرّأىَ حتى نزلَ منزلَه هذا فبانَ خَطَؤه، أنقيمُ بين المهلَّب وعَبْد ربِّه. يغاديه هذا القتالَ ويُراوحهُ هذا! فنمى الـكلامُ إلى قطَرىٍّ. فقـال: صَدَقَ. تَنَحَّـوْا بنا عن هذا الموضـع، فإن اتّبَعَنَا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّةَ: ياأمير المؤمنين، إنْ كنتَ إنما[1] تريدُ اللّهَ فأَقْدمْ عـلى القوم، وإن كنت إنما[1] تريد الدنيا فأعْلِمْ أصحابك حتى يَسْتأمنوا، وأنشأ الصَّلْت يقولُ:

قُل لـلـمُحـلّين قـد قَرَّتْ عُـيـونُكُمُ	بفـرْقة الـقومِ والبَـغْـضاء والهَـرب
كنـا أَنَاسـاً على ديـنٍ فـغَـيَّـرَنَا	طولُ الجَـدال وخَلْطُ الجِّدِ بـاللعب
ما كـان أَغنَى رجالا ضَـلَّ سَعْيُـهُمُ	عن الجـدال وأغنـاهُم عن الْخَـطَب
إنى لأَهْونَـكُمْ فى الأرض مُضْـطَرباً	مالِى سِوَى فَرَسِى والرمْحِ مِنْ نشَب

ثم قال: أصبحَ المهلّب يرجو منّا ما كنَّا نطمعُ فيه منه، فارتحل قطرىٌّ، وبلغ ذلك المهلَّب، فقال لِهُريم بن عَدِىٍّ بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشِعِىِّ: إنى لا آمَنُ أن يكون

---

(١) ساقطة من ر.

قطرىٌّ كادَنا بتركِ موضعه. فاذهب فَتَعَرَّفِ الخبر، فمضَى هُرَيْمٌ فى اثنى عشر فارساً. فلم ير فى العسكر إلاّ عبداً وعلْجاً. فسألهما عن قطرى وأصحابه، فقالا: مَضَوْا يرتادون غيرَ هذا المنزلِ. فرجعَ هُرَيمٌ إلى المهلَّب فأخبره، فارتحلَ المهلَّب حتى نزلَ خندَقَ قطرىٍّ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالغداة، وأحياناً بالعشىِّ، ففى ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ، يقالُ له المُعْنق، وكان فارساً:

ليتَ الحرائرَ بالعراقِ شَهِدْنَنا ... ورأيْنَنا بالسَّفْحِ ذي الأجبْالِ
فَنكَحْنَ أهلَ الجزْءِ من فرْسانِنا[1] ... والضَّارِبينَ جَماجمَ الأبْطالِ

* * *

ووجّه المهلّب يزيدَ إلى الحجاج يُخْبِرُه أنه قد نَزَلَ منزلَ قطرىٍّ، وأنه مقيمٌ على عبدِ ربِّه. ويسألُه أن يُوَجِّهَ فى أثْرِ قَطَرِىٍّ رجلا جَلْداً فى جيشٍ، فسَرَّ ذلك الحجاجَ سروراً أظْهرهُ، ثم كتب إلى المهلّب يستحثُّه مع عُبَيْدِ بنِ مَوْهَبٍ وفى الكتاب:

اما بعدْ. فإنكَ تَتَراخَى عن الحرب حتى تأتَيك رُسُلى، فَترجعَ بُعذْرك، وذلك أنّك تَمسكُ حتى تَبْرأَ الجراحُ، وتُنْسَى القتلَى، ويَجمَّ النَّاسُ[2]. ثم تلقاهم فَتَحْتَملُ منهم مثلَ مايَحْتَملُون منك من وَحْشَةِ القتل، وأَلَمِ الجراح، ولو كنتَ تلْقاهم بذلك الجدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ، والقرْنُ قد قُصِمَ[3]. ولَعَمرى ما أنتَ والقومُ سَواء؛ لأنَّ من ورائك رجالاً وأمامَك أموالاً. وليس للقوم إلاّ مامعهم. ولا يدْرَكُ الوَجيفُ بالدَّبيبِ، ولا الظّفَرُ بالتَّعْذير.

فقال المهلّبُ لأصحابه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أراحكُمْ من أقران أربعَة: قطرىّ ابن الفَجَاءَة. وصالح بن مخْراق، وعَبيدةَ بن هلاَل، وسعْد الطلائع، وإنما بينَ أيديكُم عبدُ ربِّه، فى خشارٍ من خُشَارِ[4] الشيطانِ. تقتلونَهم إن شاء الله. فكانوا يَتَغادَوْنَ القتالَ ويَتَراوَحُون، فتصيبُهم الجراحُ، ثم يتحاجَزُون كأنما انصرفوا من

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء فى الحرب.
(٢) يجم الناس: يسترخون.
(٣) قصم قرن الحيوان: كسره، ضربه مثلا لهلاك القوم.
(٤) الخشار: الرديء من كل شيء.

مجلس كانوا يتحدثون فيه. فيضحك بعضهم إلى بعض، فقال عُبَيْد بنُ مَوْهب للمهلّب: قد بان عذرُكَ. وأنا مخبِرٌ الأميرَ. فكتب المهلّب إليه:

أمَّا بعدُ: فإنى لم أعط رسلَك على قول الحقّ أجراً، ولم أحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقين. ذكرتَ أنِّى أجمُّ القومَ، ولابدَّ من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتالُ فيها المغلوب، وذكرتَ أنَّ فى ذلك الجَمام مايْنسى القتْلى، وتبرأ منه الجراحُ، وهيهاتَ أن يُنْسَى مابيننا وبينهم، تأبى ذلك قتْلَى لم تَجنَّ، وقروحُ لم تَتَقرَّف(٢). ونحنُ القوم على حالة، وهُم يرْقُبونَ منَّا حالات، إن طَمعُوا حَارَبُوا. وإن ملُّوا وَقفُوا، وإن يَئسُوا انصرَفُوا. وعلينا أن نُقاتلهم إذاَ اقاتلوا، ونَتَحَرَّزَ إذا وَقفُوا، ونَطْلُب إذا هَرَبُوا، فإن تركْتَنى والرأى كان القَرْنُ مَقْصوماً، والداءُ بإذن الله مَحْسُوماً، وإن أعجلتَنى لم أطعْكَ ولم أعص، وجعلت وَجْهى إلى بَابِك. وأنا أعوذ باللهِ من سخَطِ اللهِ، ومَقتِ الناسِ.

* * *

ولما اشتدَّ الحصارُ على عبد ربِّه قال لأصحابه: لاتفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال، فإن المسلمَ لايفتقر مع الإسلام إلى غيره. والمسلمُ إذا صَحَّ توحيده عزّ بربه. وقد أراحكُم الله من غلْظَة قطَرِىٍّ. وعَجَلَة صالح بن مخراق ونخْوته، واختلاط عَبيدَة بن هلال، ووَكَلَكُم إلى بَصائركمْ فالقَوْا عدُوَّكم بصبر ونية، وانتقلوا عن منزلكم هذا، مَنْ قُتِلَ منكم قتِلَ شهيداً، ومَنْ سَلم من القتل فهو المحرومُ.

وقَدمَ فى هذا الوقت على المهلّب عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بن أبىْ الصَّلْت الثقفىُّ، يَسْتَحثُّه بالقتال، ومعه أَمينَان، فقال له: خالفتَ وصيةَ الأمير، وآثرتَ المدافعةَ والمطَاولةَ، فقال له المهلّب: ما تركتُ جُهْداً، فلما كان العَشىُّ خرج الأزارقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وَأموالَهم وخفَّ مَتَاعهم لينتقلوا، فقال المهلّب لأصحابه: الزموا مَصَافَّكُمْ، وأَشْرِعُوا رماحكم(٢)، ودَعوهم والذَّهَابَ. فقال له عُبَيْدٌ: هذا لعمرى أيسَرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهم عن وَجْهِهم(٣). وقال لبنَيه: تَفَرَّقُوا فى الناس،

---

(١) لم نتقرف: لم تنقشر ولم تيبس.

(٢) أشرع الرمح: صوبه. (٣) «وجههم».

وقال لعُبَيْدِ بن أبى ربيعة: كنْ معَ يـزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأخْـذ، وقال لأحدِ الأمينَيْنِ: كن مع المـغيرةِ ولا تُرَخصْ له فى الفُتـور، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، حتى عُقـرَتِ الدوابّ وصُرِعَ الفُرسـانُ، وقُتِلَتِ الرجال، فـجعلت الخوارجُ تقـاتِلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوط والعلْق الخسيسِ أشد قتال، وَسَقَطَ رمحٌ برجلٍ من مراد من الخوارجِ، فقاتَلوا عليه حتى كَـثُر الجراحُ والقتلُ، وَذلك مع المَغْربِ، وَالُمرادِىُّ يقولُ:

الـلَيْـلُ لـيْل فـــيـــه وَيْلٌ وَيـل وسـالَ بـالقـوم الـشُّـرَاةِ السَّـيَلُ

إن جاز للأعداءِ فينا قَوْلُ

فلمـا عظـم الْحطْب فـيـه بعثَ المـهلَّب إلى المـغيـرة(١: خَـلِّ لهـم عـن الرمح، عليهم لعنة الله١). فخلوا لهم عنه.

ثم مَـضَتِ الخوارج حتـى نزلوا على أربعـةِ فراسخَ من جـيرُفْتَ، ودخلـها المهلَّب، فأمر بجَـمع ما كان لهم فيها من المَتَاع ومـا خَلَّفُوه من دقيق[٢] وختَم عليه هو والثّقفىُّ والأمينَان، ثم اتَّبعهم، فـإذا هُم قد نَزلُوا على عينٍ لا يَشْرَب منها إلاّ قوىٌّ، يأتى الرجلُ بالَدَّلْوِ قد شدّها فى طَرَف رمحه فيـستْقى بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهُم القتالَ، وضمَّ الثقفى إلى يزيدَ، وأحدَ الأمينَيْن إلى المغيرةِ، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهـار، فقال المهلّب لأبى عَلْقمـة العَبْدىِّ- وكان شجاعـا عاتياً: اَمْدِدْ بِـخَيْلِ الْيـحْمَد، وقُـل لهم: فَلْيُـعيرُونَا جـمَاجـمَهمْ سـاعة، فقـال له: إنّ جَمَـاجَمَهُمْ ليـست بفَخـار فتُعَـار، وليستْ أعناقُـهم كَرادن[٣] فتنبُـت- قال أبو العباس[٤]: تقول العربُ لأعْذَاق النَّخْل: كرادِن، وهو فارسىٌّ أعرِبَ-

وقال لحبيب بن أَوْسٍ: كُرَّ على القوم، فلم يفعلْ، وقال:

يقـولُ لـىَ الأمـيـرُ بغـيـر عـلمٍ تَـقَـدمْ حـيـن جَـدَ به المِـرَاسُ
فـمـالى إنْ أطَـعْتُـكَ من حيـاةٍ ومـالـى غَـيْـرَ هـذا الرأس راس

(١-١) ر«خل عن الرمح عليهم لعنهم الله» والأجود ما أثبته عن الأصل، س.
(٢) ر: «رقيق». وما أثبته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».
(٤) ر: «أبو الحسن الأخفش». وما أثبته من الأصل، س.

نَصب: غير، لأنه استثناءٌ مُقدّمٌ، وقد مَضَى تفسيرُه.

وقال لَمعْن بن المغـيرة بن أبى صفْرَةَ: احْملْ، فـقال: لا، إلاّ أن تزوّجَنى أمَّ مالك بنت المهلَّب، ففعلَ، فحملَ على القوم فكَشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

لـيـتَ مَنْ يَـشْـتـرى الغَــداةَ بمالٍ هُــلْكُـه اليـومَ عندَنا فــيرانـا
نَـصِـلُ الكَـرَّ عــنـدَ ذاكَ بطَـعْـنٍ إنَّ لِلْـمَــوْتِ عـنـدَنــا أَلْـــوَانَا

ثم جَالَ الناسُ جوْلَة عنـد حَمْلة حَمَلَها عليهم الخـوارجْ، فالتفتَ عند ذلك المهلّب إلى المغيرة فقال: ما فَعَل الأميـنُ الذى كان معك؟ قال: قتلَ، وكان الثقفى قد هَـرَبَ، وقال ليزيـدَ: ما فعلَ عُـبَيْـدُ بن أبى ربيعـةَ؟ قال: لَم أَرَه منذُ كـانت الجولةْ، فقال الأميـنُ الآخرْ للمغيرة: أنت قتلتَ صاحبى، فـلما كان العَشِىُّ رجَعَ الثقفىُّ، فقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ:

مـا زلتَ يا ثَقَـفِىُّ تَـخْطب بينَنَا وتـغُـمُّـنا بـوصيَّـــة الحـجَّــاجِ
حـتى إذا مـا الموتُ أقـبلَ زَاخـراً وسـمَـا لنا صـرْفـاً بغَـيـر مـزَاجِ
ولَّيْـت يا ثَـقَـفىُّ غـيـرَ مُنَاظرٍ تَنْـسَـابُ بـينَ أَحـزَّة وفـجَـاجِ
ليستْ مقارعَـةُ الكماة لدَى الوَغى شُـرْبَ المُـدامَـةَ فى إناَء زُجـاجِ

قوله: «بَـينَ أحزَّة» هو جـمع حَزيزٍ، وهو مَـتْنٌ يَنْقَادُ مَـن الأرَض ويَغلظ، والفِجَاجُ: الطُّرقْ، واحدُها فَجٌّ.

وقال المهلَّبُ للأمين الآخر: ينبغى أن تَـتَوَجَّهَ مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتَى تبيِّتوا عسكرَهم، فقال: ما تُريدُ أَيُّهـا الأميرُ إلا أن تَقْتُلَنى كما قَتَلت صاحبى قال: ذاكَ إليكَ، وضـحك المهلَّبُ، ولم تكُنْ للقوم خِنَـادق، فكان كلٌّ حذراً من صاحبه، غير أن الطعامَ والعُدَّة مع المهلبِ، وهم فى زهاء ثلاثين ألفاً، فلما أصبح أَشْرَفَ على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمح مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدماء. وهو يُنْشد:

جزَانى دوَائى ذُو الْخمَار وصنْعتى إذا بات أطْـواءً بَنـى الأصـاغــرُ
أخـادعُـهم عـنهُ ليُـغْـبقَ دُونَـهم وأعْلَـمُ غيـرَ الـظَّنّ أنّى مُـغَـاوِرُ
كـأنِّىَ وأبـدانَ السِّـلاح عَـشـيَّـةً يَمـرُّ بنا فـى بطنِ فـيْحَان طـائرُ

فدعاه المهلّب فـقال: أتميمىٌّ أنت؟ قال: نعم، قـال: أحَنْظَلىٌّ؟ قال: نعم، قال: أَيَرْبوعى؟ قـال: نَعمْ. قال: أثعلَبىٌّ. قال: نعم. قـال: أَمِنْ آل نُوَيْرَة؟ قال:

نَعم. أنا مِنْ وَلَدِ مالك بن نَوَيْرَةَ، وسبحانَ اللهِ أيُّها الأميرُ! أيكونُ مثْلِى فى عسكرك لا تعرفه! قال: عرفْتُك بالشِّعْر.

قوله «ذو الخِمَار» يعنى فرساً وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالك بن نُويرة، قال جريرٍ يهجو الفَرَزْدقَ:

بيربوع فَخَرْتُ وآل سَعْد ... فلا مَجدى بَلَغْتَ ولا افتخارى

بيربوعٍ فوارسُ كلَ يومٍ ... يُوارى شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبار

عُتَيْبة، والأحَيْمر وابنُ عَمْرو ... وعَتَّابٌ، وفارسٌ ذى الخِمَار

قوله: «أطْواء» يقال: رجلٌ طَوِى البَطنِ، أى مُنْطَو، يُخْبِرُ أنه كان يؤثِر فَرَسَه على وَلَده، فيشبعُه وهم جياع، وذلك قوله:

أخادعُهُمْ عنه ليغْبقَ دونهمْ

والغَبُوقُ شرْبُ آخر النهارِ، وهذا شيءٌ تفخر[1] به العربُ، قال الأشْعَرُ الجُعْفىُّ:

لكِنْ قَعِيدَةَ بيتنا مَجْفُوَّةً ... بَاد جَنَاجِنُ صَدْرِها ولَهَا غنى[2]

تقفى بِعِيشَةَ أهلها وَثَّابَةً ... أو جُرْشُعاً نَهْدَ المرَاكِلِ والشوى[3]

* * *

قال: فَمكُثوا أياماً على غير خَنادقَ يتحارسون ودوابُّهم مسْرَجة، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلةُ التى قُتل فى صبْحتها[4] عبدُ ربِّه جَمَعَ أصحابَه وقال: يامعشرَ المهاجرين، إنَّ قطريا وَعَبِيدةَ هَرَبَا طَلَب البقاء، ولا سبيلَ إليه، فألقوْا عدوَّكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يَغْلبنَّكم على الموت، فتَلقَّوْا الرماح بنُحوركم، والسيوفَ بوجوهكم، وهَبُوا أنفسكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة.

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلّبَ فقاتلوه قتالا شديداً، نُسىَ به ما كان قبْله، فقال رجل من الأزْدِ من أصحاب المهلَّب: منْ يبايعنى على الموت؟ فبايعه أربعونَ رجلاً

(١) ر: «تفتخر». (٢) الجناجن: عظائم الصدر.

(٣) الجرشع: المنتفخ الجنبين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.

(٤) ر: «صبيحتها».

من الأزد وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رِزَامٍ الحارثىُّ لأصحاب المهلّب: احمْلوا، فقال: المهلب: أعرابى مجنونٌ! وكان من أهل نَجرْان، فحَمَلَ وحدَه، فاخترق القوم حتى نَجَمَ من ناحية أخرى ثم رجع، ثم كَرَّ ثانية ففعَل فَعْلَته الأولى، وتهايجَ الناسُ، فَتَرَجَّلت الخوارجُ وَعَقَروا دوابَّهم، فناداهم عَمْرُو القَنَا- ولم يَتَرَجَّل هو وأصحابُه من العرب، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعمائة: موتوا على ظهور دوابّكم ولا تَعْقروها فقالوا: إنَّا إذا كنَّا على الدواب ذَكَرْنَا الفرارَ.

فاقتتلوا، ونادى المهلب بأصحابه: الأرضَ الأرضَ، وقال لبنيه: تَفَرَّقُوا فى النَّاسِ لِيَرَوْا وجوهَكم، ونادى الخوارجُ: أَلاَ إنّ العَيالَ لمن غَلب. فَصبَر بَنو المهلَّب، وَصَبَر يزيدُ بين يَدىْ أبيه، وقاتل قتالاً شديداً أَبلى فيه، فقال له أبوه: يابُنَّى إنى أَرَى مَوْطِناً لا يَنْجُو فيه إلاَ من صَبَرَ، وَمَا مَرَّ بى يومٌ مثلْ هذا مُنْذُ مارَسْتُ الحروب.

وكَسَرَت الخوارجُ أجفانَ سيوفها، وتَجاولوا، فأَجْلَتْ جَوْلَتهم عن عَبد ربِّه مقتولاً، فَهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصحابُه، واستأمنَ قومٌ، وأجْلَت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وَجَرْحَى كثيرٍ من الخوارج، فأَمَرَ المهلّب بأن يُدْفَعَ كلّ جريح إلى عشيرته، وظَفِرَ عسكرهم فَحوَى ما فيه، ثم انصرفَ إلى جيرفْتَ، فقال: الحمد لله الذى رَدّنا إلى الخَفْض والدعَة، فما كان عيشنا بعيشٍ، ثم نَظَرَ إلى قومٍ فى عسكر لم يعرفْهُم، فقال: ما أشدَّ عادة السلاح! نَاوِلْنى دِرْعى. فلبسها ثم قال: خُذُوا هؤلاء، فلما سِيرَ بهم إليه قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم جئنا لِنطْلُب غِرَّتَك لنَفْتك بك، فأمر بهم فقُتلوا.

* * *

قال أبو العباس: وَوَجَّهَ المهلَّب كَعْب بن مَعْدَانَ الأشْقرى، ومرَّةَ بن تليدٍ الأزدىَّ. من أزدِ شنوءةَ. فوفد على الحجاج، فلما طَلَعَا عليه تقدّم كعْب فأنشده:

يا حَفْصَ إنى عَدَانى عنكم السفر ... وقد سَهِرْتَ فأَوْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ (١)

فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ أم خطيب؟ قال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرنى عن بَنى المهلب، قال: المغيرةُ فارِسُهم وسيِّدُهم، وكَفَى

---

(١) وضع الشطر الثانى فى ر بين علامتى الزيادة، وهو غير زائد فى الأصل، س.

بيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادُهم وسخيُّهم قَبيصةُ، ولا يَسْتَحْيِي الشجاعُ أن يَفِرَّ من مُدْرِك، وعبدُ الملك سمٌّ نَاقعٌ، وحبيب موت زُعافٌ، ومحمدٌ ليثٌ غاب، وكفاك بالمفضّلِ نَجْدَة! قال: فكيف خَلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خلفْتُهم بخير، قد أدركوا ما أَملُوا، وأمنوا ماخافوا. قال: فكيف كان بَنُو المهلّب فيهم[1]؟ قال: كانوا حماةَ السَّرْحِ نهاراً. فإذا أَلْيَلُوا ففُرسانُ البَيَات، قال: فأيُّهم كان أَنْجدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَة المفرَغة، لا يُدْرى أين طرفها، قالَ: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنَّا إذا أخذنا عفَونَا، وإذا أَخَذَوا يئسنا منهم. [2]إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم[2] آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبة للمتقين، كيف أفلَتكُمْ قطريٌّ؟ قال: كدْناه ببعض ما كادَنَا به، فَصرنْا منه إلى التى[3] نُحب، قال فهَلا أتّبعتموه؟ قال: كَان الحدّ عندنا آثرَ من الفلّ. قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد، وله منّا برُّ الولد، قال: فكيف اغْتباطُ الناس؟ قال: فَشَا فيهم الأمْنُ، وشملَهُمُ النَّفلُ، قال: أكنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيب إلاَّ الله، قال: فقال: هكذا تكونُ والله الرجالُ! المهلَّب كان أعلَمَ بك حيث وَجَّهَكَ.

وكان كِتَابُ المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافى بالإسلام فَقْدَما سواهُ، الذى[4]وصل المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألاّ ينقطع المزيد منه[4] حتى يَنْقَطِع الشُّكْر من عباده.

أمَّا بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بَلغَكَ، وكنا ونحن وعدوُّنا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يَسُوءنا، ويسوءهم منَّا أكثرُ مما يَسُرُّهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان عَلَنَ أمرهُم حتى ارتاعتْ له الفَتَاةُ. ونُوِّمَ به الرَّضِيعُ، فانتَهزْتُ منهم الفُرْصةَ فى وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوَاد، حتى تعارفَت الوجوهُ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجلَه. ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[5].

---

(١) ر: «فيكم».

(٢-٢) كذا فى الأصل، س. وفى ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(٣) ر. «الذى».

(٤-٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر «الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه». (٥) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أمَّا بعـد، فإن الله عـزَّ وجلَّ قد فَـعَلَ بالمسلمين خيـرًا، وأراحهم مـن حَدّ الجهاد، وكنتْ أعلمْ بما قِبَلكَ. والحمد لله رب العالمين ـ فإذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فاقـسم فى المجاهدين فـيْئَـهُمْ، ونفلِ الناس على قَدْرِ بلائهمْ، وفَـضِّل مَنْ رأَيْتَ تفضيله، وإن كانتْ بقَيتْ من القوم بَقيةٌ فخَلِّف خيلا تقومْ بإزائهم، واستَعْمل على كَرْمَانَ مَنْ رَأَيْتَ وَوَلِّ الخيلَ شهمًا من ولَدكَ، ولا تَرَخَّصْ لأحد فى اللحَاقِ بمنزله دون أَنَ تَقْدَم بهم علىَّ، وعَجِّل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرْمَانَ. وقال له: يا بُنَىَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ، إنما لَكَ من مال كرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج، ولن تُحتَمَلَ إلاَّ على ما احتُملَ عليه أبوك، فأَحْسنْ إلى مَنْ مـعك، وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجـهه إلىّ، وتَفضَّلْ على قَوْمِك(١ إن شاء الله١).

* * *

قال أبو العـباس: وَقَدمَ المهلبُ عـلى الحجَّاج فـأجلسه إلى جانبـه، وأظهر إكرامَه وبرَّهُ، وقال: ياْ أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لَقيطُ الإيادىُّ:

وقـلَدوا أمـــــــــركم لله دَرُّكـمْ	رَحْبَ الذِّراعِ بأمْرِ الحرْبِ مُضْطَلعَا
لا يَطعَمُ النـومُ إلاَ رَيْثَ يبعـثـهْ	هَمٌّ يكادُ حَشـاهُ يَقـصِمُ الضّلَعَـا
لا مُتْـرَفًا إنْ رخاء العيش سـاعَدَهُ	ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَـشَـعَـا
مــازال يَحْلُبْ هذا الدهـر أَشْطُرَه	يكون مُـتَّـبعًـا طورًا وَمُـتَّـبعَـا
حتى استـمرَّتْ على شَـزْر مَريرَتُه	مُسْتَحْكِمَ الرأى لا قَحْمًا ولا ضَرَعَا

فقام إليـه رجل، فقال: أصلحَ اللهُ الأمير! والله لكأَنى أسـمعُ الساعةَ قطَريًّا وهو يقولُ: المهلَّب كما قال لَقيطُ الإيادِىُّ. ثم أنشد هذا الشعرَ، فسرَّ الحجَّاجُ حتى امتلأ سرورًا.

قـوله: «نَفِّل» أى اقْـسِمْ بينهـم، والنفَلُ: العطيـةُ التى تَفْـضُلُ. كـذا كـان الأصلْ. وإنما تفضَّل الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لَبيدُ:

(١ ـ ١) ساقط من ر.

إنَّ تقْـــوى ربِّنا خَـــيْـــرُ نـفَلْ   وبـإذنِ اللهِ رَيْثُ وَعَـــــجَـلْ[(١)]

وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾، ويقال: نفَّلْتكَ كذا وكذا. أى أعطيتُك، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجبًا.

وقول الإيادىِّ: «رَحْب الذراع». فالرَّحْب: الواسع، وإنما هذا مَثَلٌ.

يريد واسعَ الصَّـدر متـباعد مـا بين المَنْكِبَـيْن والذراعين، وليس المعنى على تَباعد الخلْق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحِـيـبُ الذراع بالتى لا تَشِـيُنه   وإن قيلَت العَوراْء ضـاق بها ذَرْعا

وكـذلك قـوله جل وعـز: ﴿يَجْعَلُ صَـدْرَهُ ضَيِّـقًا حَـرَجًا﴾[(٢)]. وقوله: «مضطَلِـعًا» إنما هو «مُفْـتَعِل» من الضَّليع، وهـو الشديد. يريد أنه قـوىٌّ على أمر الحرب، مستقل بها. وقوله: «يكون متَّبعًا طوراً ومتَّبعَا» أى قد اتَّبعَ الناسَ فعَلم ما يَصْلُحُ به أمـرُ الناس. واتَّبع فعَلمَ مـا يصلِحُ الرئيسَ. كمـا قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: قـد ألْنَاوَإيل[(٣)] علينا. أى قـد أصلَحْـنا أمْـورَ الناسَ. وأصْلحَتْ أمُورُنا. وقوله: «على شَـرز مَريرتْه» فهذا مَثَلٌ، يقال: شَـزرْتُ الحبل، إذا كَرَّرْتَ فتْله بعـد استحكامه راجـعًا عليه. المَريرةَ: الحبلْ، والضّـرَعُ: الصَّغيرْ الضـعيفْ، والقحْم: آخْر سِنَّ الشيخ، قال العجَّاج:

رأينَ قَـحْـمًـا شـابَ واقلَحـمَّـا   طالَ عليــه الدهرُ فــاسْلهَــمَّـا

وَالْمُقْلَحِمُّ مثل القَحْمِ. وهو الجافُّ، ويقـال للصبىّ مُقلَحمّ. إذا كان سيِّىء الغذاء، أو ابنَ هرِمَيْن، ويقال: رجلٌ إنَقَحْلٌ وامرأة إنقَحْلةٌ. إذا أَسَنَّ حتى يَيْبَسَ. والمسْلَهِمُّ: الضامر. قال الشاعر:

* لَمَّا رَأَتْنى خَلقًا إنقحْلا *

ويقال فـى معنى: «قَـحْمِ» قَحْرٌ، ويقـال: بعيـرٌ قُحَـاريةٌ، فى هذا المعنى. وقـوله: لا يَطْعَمُ النَّومَ إلا رَيثَ يَبْـعَـثُـهُ هَمّ. فـ«ريث» وعَـوَضٌ مما يضـاف إلى الأفعال، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ يسيرًا حتى يَبعثَه الهمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

---

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) من الإيالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماءَ الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هذا يومُ يَنْفعُ الصادقينَ صدْقهُمْ﴾[١]، فأسماء الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل، نحو قولك: آتيكَ يومَ يخَرج زيدٌ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله، وما كان منها فى معنى الماضى جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر، فتقول: جئتكَ يومَ زَيدٌ أميرٌ، ولا يجوز ذلك فى المستقبل، وذلك لأن الماضىَ فى معنى «إذ»، وأنت تقول: جئتك إذا زيدٌ أميرٌ، والمستقبلُ فى معنى «إذَا»، فلا يجوز أن تقول: أجئتُك إذا زيدٌ أمير، فلذلك لا يجوزُ: أجئتك يومَ زيدٌ أميرٌ. فأما الأفعال فى «إذَا» و«إذ» فهى بمنزلة واحدة، تقول: جئتك إذْ قام زيد، وأجيئك إذَا قام زيد، فهذا واضحٌ بَينٌ، ومما يضَافُ إلى الفعل «ذو» فى قولك: افعَلْ ذاكَ بذِى تَسْلَمُ، وافعَلاَه بذِى تسلَمَانِ، معناه: بالذى يُسَلمكماَ، ومن ذلك «آية» فى قوله:

بآية تقْدِمُون الخيلَ شُعْثًا كأنّ على سَنابكها مُدَامَا[٢]

والنحو يتَّصلْ ويكْثُر، وإنما تركنا الاستقصاءَ لأنه موضعُ اختصار، [٣]وقد أتينا على جميع هذا فى الكتاب المقتضب[٣]. فقال المهلّب: إنَّا والله ما كُنا أشد على عدونا ولا أَحَدًّ، ولكنْ دمَغَ الحق الباطلَ، وقَهرَت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى. وكان ما كرهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العجلة. فقال له الحجاج: صدقتَ، اذكُرْ لى القوم الذين أبلوْا، وصِفْ لى بَلاَءَهُمْ، فأمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج، فقال لهم المهلَّبُ: ما ذَخَرَ الله لكم خيرٌ لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله. ثم ذكرهم للحجاج على مَرَاتبهم فى البَلاء وتَفاضلِهمْ فى الغَنَاء. وقدَّمَ بَنيه: المُغيرةَ، ويزيد، ومُدْركا، وحَبيبًا، وقَبيصةَ، والمُفضَّلَ وعبدَ الملك، ومحمدًا وقال: إنا والله لو تقدّمَهُمْ أحدٌ فى البلاء لقدّمتهُ عليهم، ولولا أَنْ أظلمَهم لأخرتُهم. قال الحجاجُ: صدقت. وما أنتَ بأعلمَ بهم منى، وإنْ حضرت وغِبْت إنهم لَسُيوفٌ من سيوف الله. ثم ذكرَ مَنْ ابن المغيرة بنَ أَبى صُفْرَة والرقَادُ وأشباهَهُما، فقال الحجَّاج: أين الرُّقادُ؟ فدخلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنأُ[٤]، فقال المهلَّبُ هذا فارسُ العرب، فقال الرقادُ: أيها الأمير، إنى كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب، فكنت

---

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيبويه فى الكتاب (١ : ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣ ـ ٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنأ؛ وهو ميل فى الظهر.

كبعض الناسِ، فلما صرتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبر ويجعلُنى أسوَةَ نفسه وولده ويجازينى على البلاء، صرتُ أنا وأصحابى فُرْسانًا، فأمر الحجَّاجُ بتفضيل قومٍ على قومٍ على قَدْرِ بلائهم، وزادَ ولَدَ المهلبِ ألفينِ، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيها بذلكَ.

قال يزيد بن حَبْنَاء من الأزارِقَة:

دَعى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بدائمٍ ... ولا تعجَلى باللومِ يا أمَّ عاصِمِ
فإذْ عَجِلَت منك الملامة فاسمَعى ... مقالةَ مَعْنىٍّ بحقِّك عالِمِ
ولا تَعْذُلينا فى الهَدية إنما ... تكون الهدايَا من فضولِ المغانم
فليس بمُهْدٍ مَنْ يكون نَهَارُهُ ... جِلادًا ويُمسى ليلَهَ غير نائمِ
يريدُ ثوابَ اللهِ يومًا بطَعْنة ... غموس كشَدْقِ العَنْبَرِى بن سالمِ
أَبيتُ وسِرْبالى دِلاصٌ حَصينةٌ ... ومغفَرُها والسيفُ فوق الحيازم[1]
حلفتُ برب الواقفين عَشيَّةً ... لَدَى عرفات حَلْفَة غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقيتهُم ... بسابور شغلَ عن بروز اللَّطائِمِ
توقَّدُ فى أيديهم زاعبيَّةٌ ... ومُرْهَفَةٌ تَفْرى شئُونَ الجمَاجِمِ

قلت: «مَنْ يكون نهارُه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غيرَ نائم» يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره. ولكنه جعلَ الفعلَ لليلِ والنهارِ على السَّعة، وفى القرآن: ﴿بل مكرُ الليلِ والنهار﴾[2]. والمعنى بل مكرُكم فى الليل والنهار، وقال من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوص:

أمَّا النهارُ ففى قَيْدٍ وسلسلةٍ ... والليلُ فى جوفِ مَنحوتٍ من السَّاجِ

وقال آخر:

قد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلاَن فى السُّرى ... ونِمْتِ وما ليلُ المطىّ بنائِمِ

ولو قال: «مَنْ يكونُ نهارَه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غير نائم».

لكان جيدًا، وذاك أنه أراد من يكون نهاره يجَالدُ جلادًا، كما تقول: إنما

---

(١) الدلص من كل شىء البراق، ومنه سميت الدرع دلاسا.
(٢) سورة سبأ ٣٣.

أنت سيَراً، وإنما أنتَ ضربًا، تريد تَسير سَيْرًا، وتضرب ضربًا، فأضْمِر لعلمِ المخاطَب أنه لا يكون هو سيرا، ولو رَفَعَه على أن يجْعَلَ الجلاَدَ فى موضع المجالِدِ، على قوله: أنت سيْرٌ، أى أنت جائزٌ كما قالت الخنساء:

* فإنما هيَ إقبالٌ وإدْبَار *

وفى القرآن: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُم غَوْرًا﴾[1] أى غائرا، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال: «ويُمْسى ليلَه غير نائم» لجازَ، يصير اسمه فى «يمْسى»، ويجعل «ليلَه»، ابتداءً، و«غير نائمٍ»، خبره على السعة التى ذكرنا.

وقوله: «غُموس» يريدْ واسعةَ محيطَة، والعَنْبَرِىُّ بن سالم رجلٌ منهم كان يقال له الأشدَقُ، واللَّطَائم: واحدتها: لَطيمةٌ، وهى الإبلْ التى تَحْملْ البزَّ والعطْرَ. وقوله: «تَوَقَدُ فى أيديهِمْ زاعبيَّةٌ» يعنى الرِّماحَ، والتَوَقدُ للأسنَّة، والزَّاعبيةَ منسوبةٌ إلى زاعب، وهو رجل من الخَزْرَجِ كان يعملْ الرماحَ. وتَفرى: تقدُّ، يقال فَرَى إذا قَطَعَ، وأَفَرى إذا أَصْلحَ.

وقال حَبيبْ بن عَوفٍ من قُوَّاد المهلَّب:

أبا سَعيد جَزَاكَ اللهُ صالحةً ... فقد كَفَيْتَ ولم تَعنْف على أحَدِ
دَاوَيْتَ بالْحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقمعُوا ... وكنتَ كالوالدِ الحَانى على الولدِ

وقال عَبيدَة بن هلال فى هربهم مع قطرى:

مازالت الأقدارُ حتى قَذَفْننى ... بقُومَس بين الفُرَّخَان وصُول

ويُرْوَى أنَّ قَاضِىَ قطَرِى، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سمع قول عَبيدة ابن هلال:

عَلاَ فوق عَرْشٍ فوقَ سبعٍ ودُونَه ... سَماءٌ تَرى الأَروَاحَ من دُونها تجْرِى

فقال له العبدىُّ: كَفرتَ إلاَّ أَنْ تأتىَ بمَخرَج، قال: نعم، رُوحُ المؤمن تعرُجُ إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكُر رجلا منهم:

---

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوى وترفعه الرِّماحُ كأنه شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مخالب ضارِ[1]
فثوى صَرِيعًا والرماحُ تنوشُه إنَّ الشُراةَ قَصيرةُ الأعْمارِ

تَنُوشُهُ: تأخذُه وتتناولُه، وقال الله عز وجل: **﴿وأَنَّى لَهُمُ التناوُش مِنْ مكان بَعيد﴾**[2] أى التناولُ، ومثلُ بيته هذا قولُ حَبيب الطائى:

فَيمَ الشَماتَةُ إعلانًا بأُسْدِ وَغى أفْنَاهُمُ الصَّبْر إذْ أبقاكُم الجزَعُ

وقال أيضًا فى شبيهٍ بهذا المعنى:

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانَ الموت أَنْفسكُمْ ويَسْلَم الناسُ بَيْنَ الحوض والعَطَن
فالماءُ ليس عَجيبًا أن أعذبه يَفْنَى ويَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأسِن

وقال أيضًا:

عليك سلام الله وَقفًا فإننى رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ

وقال القاسمْ بن عيسى:

أُحِبُّكِ يا جَنانُ فأَنْت مِنِّى مكانَ الرُّوح من بَدَن الجبان
ولَوْ أنى أقول مكانَ رُوحى لَخِفْتُ عليك بادرةَ الزمان[3]
لإقدامى إذا ما الحرب جاشت وهَاب حُمَاتَها حَرُّ الطعَان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى:

أكانَ الجبانُ يُرى أنَه يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارِ الأجلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان ويَسْلَمُ مِنْهَا الشجاعُ الْبَطلْ

* * *

رجع الحديث:

وقال رجل من عبد قيس من أصحاب المهلّب:

سَائِلْ بنا عَمْرَو الْقَنَا وَجنُودَه وأبَا نعامةَ سَيِّدَ الكُفّارِ

أبو نعامَة: قطرىّ.

* * *

(١) الشلو: العضو. (٢) سورة سبأ ٥٢.
(٣) بادرة الرجل: ما بدر منه من قول أو فعل.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظلىّ من أصحاب المهلَّب:

إنى امرُؤٌ كفَّنى ربِّى وأكرمَنى ... عن الأمور التى فى رَعْيِهَا وَخَمُ
وإنما أنا إنسانٌ أعيشُ كما ... عاشتْ رجال وعاشَتْ قَبْلَهَا أمَمُ
ما عاقنى عن قُفُولَ الْجُنْد إذ قفلوا ... عنى بما صنعوا عَجْزٌ ولا بكَمُ
ولو أردتْ قُفولاَ ما تَجهَّمنى ... إذْنُ الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إنّ المهلَّب إن أَشْتَقْ لرؤيَتِه ... أو أمتدحْه فإنّ الناس قَدْ علموا
إن الأريب الذى تُرْجَى نوافله ... والمستَعانَ الْذى تَجْلَى به الظُّلَمُ
القائلُ الفاعلُ الميمون طائره ... أبو سعيد إذا مَا عُدَّت النعم
أزْمَانَ أَزْمَانَ إذ عَضَّ الحديد بهم ... وإذْ تَمنَّى رِجالٌ أنهم هُزِموا

* * *

قال أبو العباس: وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشىء بالشىء، ويقترح المقترح ما يفسَخُ به عزمَ صاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيلُه عن طريقه.

ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مرَّ من أخبار الخوارج شىء مرَّ كما مرَّ غيره، ولو نَسَقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا خَبَرُ نَجْدَة، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشبيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة